إعجاز القرآن

فواتح سور القرآن

الدكتور حسين نصار
عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة سابقا

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الأولى

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٤٠٠٤
الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 353 - 006 - x

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية – قطعة ١٣٩ – شارع ٣٩ – مدينة ٦ أكتوبر
☎ : ٨٣٣٨٢٤٠ – ٨٣٣٨٢٤٢ – ٨٣٣٨٢٤٤
e-mail : pic@6oct.ie-eg.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أجمع المسلمون – ومازالوا يجمعون – على « إعجاز القرآن » ثم تفرقت السبل بمن سعى إلى الاهتداء إلى سبب هذا الإعجاز أو ما سموه « وجهه » . فسار جمهورهم وراء شعار المستوى الأدبى الفردى الذى بلغه القرآن ، وسموه « الإعجاز البيانى » و« البلاغى » و« اللغوى » و« الأدبى » والنظم عند كبار البلاغيين والمتكلمين من القدماء . وسارت طوائف متفاوتة العدد ومختلفة الآراء وراء شعارات أخرى كثيرة ، بلغت فى كتاب « معترك الأقران فى إعجاز القرآن » للسيوطى أربعة وثلاثين وجها . ولم يقنع العلماء بما ذكر بل أضافوا إليه ، ومازالوا يضيفون إلى عصرنا هذا . وتدل الدلائل على أنهم سيستمرون فى الإضافة مابقيت الحياة .

وجاء زمن عزمتُ فيه على التأريخ للتفكير العربى فى بعض هذه الوجوه . وقد أنجزت فعلا كتبا تعالج « الإنباء بالغيب » و« الصرفة » و« الفواصل » و« القسم » . واليوم أقدم للقارئ كتاب « الفواتح » .

والمنهج فى جميع هذه الكتب واحد ، يسعى إلى كشف أقدم مَن تعرض لجانب من جوانب الوجه الذى أعالجه . ويتنقل بكل واحد من هذه الجوانب فى العصور الإسلامية المتعاقبة ، لرصد ماطرأ عليه من انكماش أو تضخم أو تحول أو تغير ، وتتبع كل ماخضع له من تحولات .

ومن أجل الوفاء بمتطلبات هذا المنهج التزمت مايلى :

– الاقتصار على ماجاءنا باللغة العربية ، على الرغم من معرفتى اليقينية بأن كثيرا من أصحابه ليسوا من أصول عربية العِرق ، ومن معرفتى اليقينية بوجود مسلمين كتبوا بلغات آسيوية وأوربية وأفريقية كتابات لها قيمتها الفائقة ، ومن

معرفتى اليقينية بوجود غير مسلمين (من المستشرقين) لهم جهودهم التى لا يمكن تجاهلها مؤيدة لما كتب العرب أحيانا ومفندة أحيانا أخرى .

فإذا ترجم أحد من العرب شيئا من كتابات هؤلاء الأقوام ، عُنيت به ، وأخضعته لدراستى ، لأنه دخل مجال التفكير العربى .

– ورتبت المفكرين القدامى على سنى وفياتهم ، لعدم معرفة الوقت الذى أصدروا فيه كتبهم فى أكثر الأحيان . أما المحدثون فقد رتبتهم تبعا لزمن إصدار أول طبعة من كتبهم ، إلا إذا تعذر علىّ الاهتداء إليها .

ومن أجل الاختصار وبعض الأمور الأخرى راعيت مايلى :

– ألا أذكر فى المتن أسماء من اتفق فى الرأى مع صاحب القول الأقدم ، وأقنع بذكرهم فى الحواشى .

– أن ألتزم التسلسل التاريخى فى الحواشى أيضا .

– اضطررت أحيانا إلى تقديم من هو أحدث من غيره . ولكننى لم أفعل ذلك إلا عندما وجدته ينسب القول إلى أحد القدامى على حين لم ينسبه غيره إلى أحد ، وكذا عندما تعذر علىّ الحصول على الكتاب الأقدم ، إما لأنه مازال مخطوطا . وإما لأنه كتاب كبير ومن اقتبس منه لم يحدد موضع اقتباسه ، وإما لسبب آخر .

– لم أورد الأقوال التى ذكرتها برمتها وإنما تصرفت فيها بالاختصار غالبا ، حتى لا يمتلئ الكتاب بالنصوص . وراعيت فى التصرف ألا يغير مدلول النص المقتبس .

– التزمت فى الحواشى مايسميه النحاة بالحكاية ، فلم أخضع أسماء المؤلفين والكتب لعوامل الإعراب الواجبة .

– أضفت ضميمة ذكرت فيها سنى وفيات الأعلام الذين وردت أسماؤهم فى الكتاب ، ليتابع القارئ التطور التاريخى للأفكار .

وفى الكتاب الذى بين يدى القارئ الآن أؤرخ للتفكير العربى الذى دار حول فواتح سور القرآن عامة ، والحروف المقطعة خاصة .

وطبيعة بشرية أن يحب الإنسان الافتتاح الجميل ، من الصباح الصحو ، والتحية العذبة ، والوجه البشوش ، والبسمة الرائقة ، واللقاء الودود ؛ فيَفيض عليه شعور مريح ، وتفاؤل غامر . لا يقتصر ذلك على زمان معين ، أو مكان محدد ، أو وقائع حسية ، بل يتجاوزها كلها إلى مايثير فى جوانحه طربا لممارسته ، ويهيج فيه شوقا لمتابعته .

فلا عجب أن نجد الأدباء والنقاد يفطنون – منذ وقت جد مبكر – إلى أهمية مطالع الأعمال الأدبية : قصيدة كانت – فى جاهليتهم – أو خطبة ، ثم رسالة أو مقالة أو حكاية ، فى الإسلام ، ولأمر واضح الدلالة افتتح الشعراء قصائدهم بالنسيب والوقوف على الأطلال ، والكُتّاب رسائلهم بالتحميدات ، والحكّاءون حكاياتهم بالصلاة على النبى (الزين) .

ومن ثم نجد أقوال النقاد تتوالى فى التوصية بالفواتح . روى أبو هلال العسكرى أنهم كانوا يقولون : « أحسِنوا معاشر الكتاب الابتداءات ، فإنهن دلائل الإعجاز » [١] .

وعدوا الشعر قفلا ، أوله مفتاحه [٢] . فالمطلع أول مايقع فى السمع من القصيدة ، والدال على مابعده ، المتنزل من القصيدة منزلة الوجه والغُرة . فإذا كان بارعا ، وحسنا بديعا ، ومليحا رشيقا ، وصُدر بما يكون فيه من تنبيه وإيقاظ لنفس السامع ، أو أُشرب بما يؤثر فيها انفعالا ، ويثير لها حالا من تعجيب أو تهويل أو تشويق ، كان داعيا إلى الإصغاء والاستماع إلى مابعده [٣] .

ولم تكن عناية المشتغلين بفواتح القرآن أقل من عناية الأدباء بمطالع الشعر . فقد عقد العلوى مثلا فصلا من فصول كتابه « الطراز » للمبادئ والافتتاحات ، حتّم فيه على كل من يتصدى لمقصد من المقاصد أن يكون مفتتح كلامه ملائما

---

(١) الصناعتين ٤٣١ .

(٢) المثل السائر ٢/٢٣٦ . الطراز ٢/٢٦٦ .

(٣) الصناعتين ٤٣٥ . الجامع الكبير ١٨٨ – ٩ . القرطاجنى ٣٠٩ – ٣١٠ . بكار ٢٦٧ – ٢٦٩ . وانظر ما أطلقه الزمخشرى من صفات على القرآن إلى جانب الصفات المذكورة هنا .

لذلك المقصد دالّا عليه . وذهب فيه إلى أن هذا الفصل ركن من أركان البلاغة ، تجب مراعاته فى النظم والنثر كليهما ، ويستحب التزامه فى الخطب والرسائل والتصانيف [أى فى جميع أجناس الأدب] . فحيث يكون المطلع جاريا على ذلك فهو من الافتتاح الحسن ، وحيث يكون جاريا على عكسه فهو معدود من القبيح (١) .

واتفق السيوطى مع العلوى فى كون الافتتاحات من أحسن البلاغة عند علماء البيان ، غير أنه وسع مفهوم الاعتناء بها ، فحدّده بأن يُتأنّق فى أول الكلام ، لأنه أول مايقرع السمع . فإن كان محرَّرا قِبَل السامع قَبِل الكلام ووعاه ، وإلا أعرض عنه وإن كان فى نهاية الحسن . فينبغى أن يُؤتَى فيه بأعذب اللفظ وأرقّه ، وأجزله وأسلسه ، وأحسنه نظما وسبكا ، وأصحه معنى وأوضحه ، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير والمُلبِس أو الذى لا يناسب (٢) .

وتكشف النظرة السريعة إلى فواتح سور القرآن أنها تنقسم قسمين :

١ - فواتح بالألفاظ اللغوية المألوفة ذات المعانى المحددة المعروفة .

٢ - فواتح بحروف إما مفردة أو كثيرة لاتتآلف فى كلمات لغوية .

وقد عنى العلماء عناية بالغة بالقسم الثانى خاصة ، فأبانوا طريقة قراءة هذه الحروف ، وكتابتها ، وعدها فى الآيات ، ولا سيما الزمخشرى .

قال الزمخشرى : حكمها مالم تلها العوامل أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد ، فيقال : ألف ، لام ، ميم ، كما يقال : واحد ، اثنان ، ثلاثة . فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب ، تقول : هذه ألفٌ ، وكتبت ألفا ، ونظرت إلى ألفٍ . وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب ، قبل أن يَحدث فيه - بدخول العوامل - شىء من تأثيراتها ، فحقك أن تلفظ به موقوفا (٣) .

---

(١) الطراز ٢٦٦/٢ - ٧ .

(٢) معترك ٧٤/١ - ٥ . الإتقان ١٢٢/٢ . شرف الدين ٨٧ .

(٣) الكشاف ٧٨/١ ، ١٠٦ . الزركشى ١٧٢/١ . القرطبى ١٥٦/١ . رضا ١٠٣/١ . زرزور ١٤٠ .

وأوضح رشيد رضا العبارة فى قوله : (المص) : هذه حروف مركبة فى الرسم بشكل كلمة ذات أربعة حروف ، ولكنها تقرأ بأسماء هذه الأحرف ساكنة هكذا : ألفْ ، لامْ ، ميمْ ، صادْ [١] .

وتساءل الزمخشرى : مابالها مكتوبة فى المصحف على صور الحروف أنفسها لا على صور أسمائها ؟

وأجاب : لأن الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف ، واستمرت العادة متى تهجّيت ومتى قيل للكاتب : اكتب كيت وكيت ، أن يلفظ بالأسماء وتقع فى الكتابة الحروف أنفسها ، عُمل على تلك الشاكلة المألوفة فى كتابة الفواتح . وأيضا فإن شهرة أمرها ، وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها ، وأن اللافظ بها غير متهجاة لا يَحْلى بطائل منها ، وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ماهو عليه من مورده أمنتْ وقوع اللبس فيها . وقد اتفقت فى خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التى بنى عليها علم الخط والهجاء . ثم ماعاد ذلك بنكير ولا نقصان ، لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ . وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف [٢] .

وتساءل الزمخشرى أيضا : ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح دون بعض ؟

وأجاب : هذا علم توقيفى ، لا مجال للقياس فيه ، كمعرفة السور . أما (الم) فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها ، وهى ست . وكذلك (المص) آية ، و(المر) لم تعدّ آية ، و(الر) ليست بآية فى سورها الخمس ؛ و(طسم) آية فى سورتيها ، و(طه) و(يس) آيتان ؛ و(طس) ليست بآية . و(حم) آية فى سورها كلها ؛ و(حم عسق) آيتان ، و(كهيعص) آية واحدة ، و(ص) و(ق) و(ن) ثلاثة لم تعد آية . هذا مذهب الكوفيين ، ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية .

فإن قلتَ : فكيف عد ماهو فى حكم كلمة واحدة آية ؟

قلتُ : كما عُدّ (الرحمن) وحده ، و(مدهامتان) وحدها آيتين على طريق التوقيف [٣] .

---

(١) المنار ٢٦٢/٨ .

(٢) الكشاف ٩٤/١ - ٩٥ . الزركشى ١٧٢/١ .

(٣) الكشاف ١٠٥/١ - ١٠٦ . الزركشى ١٧٠/١ - ٢٦٧/١ .

وقد أجمع كل من تعرض لهذا القسم من الفواتح على استعصائه على الإدراك ، أو احتياجه فيه إلى تدبر طويل ، وإلى أن مايهتدى إليه المتدبر ليس بالأمر اليقينى .

ولذلك عدها المفسرون من أعوص القضايا القرآنية ، التى حيرت العلماء . ولعل من أصدق من عبر عن الموقف حيالها د. محمد غلاب فى قوله : من النواحى القرآنية الخفية المهمة ، التى أهاجت غريزة حب الاستطلاع عند المستشرقين [بل أقول : عند الناس جميعا] ، وأثارت فى نفوسهم رغبة البحث فى القرآن . ودفعت فضولهم إلى تعقب أسراره ومخبوءاته : ناحية فواتح السور ... ولا جرم أن لهم العذر فى ذلك كل العذر ، فلطالما قذفت هذه الفواتح – منذ فجر الإسلام – بالرهبة فى القلوب . ولشدّ ما أفعمت النفوس بالهيبة والجلال أحيانا ، وبالرعب والفزع أحيانا أخرى (١) .

ولا يخامرنى أدنى شك فى أن هذا القسم هو الذى جذب انتباه كل من استمع إلى القرآن أو تلاه أو تصدى لفهمه وتفسيره منذ عهد نزوله . فسبق الحديث عن هذه الحروف الحديث عن القسم الآخر .

وقد انقسم الناس حياله إلى طائفتين : طائفة اقتنعت بأنه لا سبيل إلى إدراك دلالتها ، وأخرى اجترأت على الخوض فيها . فتباعدت الطرق بهم ، وأعطونا كثيرا من الدلالات التى لقى بعضها قبولا واسعا ، وبعضها قبولا ضيقا ، ولم يلق بعضها القبول إلا من صاحبها . ومهما يكن من شىء ، فالأمر المؤكد أنه لم يقع بواحد مما قالوا من تأويلات إلى اليوم يقين يضمها كلها ، ويُسكت المخالفين .

* * *

---

(١) نظرات ٣٥ – ٣٦ .

القسم الأول
الفواتح الحرْفية



الفصل الأول

دلالات الحروف

المتشابه

لعل الحيرة والتوقف كانا الاتجاه الأقدم فى السعى إلى معرفة مدلول هذه الحروف ، تلك الحيرة التى يكشف عنها قول أبى بكر الصديق : فى كل كتاب سر ، وسر الله فى القرآن أوائل السور (١) .

وقد أورد الطبرى وغيره نص هذا القول أحيانا ومعناه أحيانا أخرى دون عزو إلى صاحبه (٢) .

ويماثل قول أبى بكر ماحكاه أبو الليث نصر بن محمد السمرقندى عن عمر وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا : الحروف المقطعة من المكتوم الذى لا يفسَّر (٣) .

واتفقوا أن عليا قال : إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى (٤) ، وأنه أراد بذلك ما أراده أبو بكر ، وإن كانت كلمته توحى – إلى جانب ذلك – بالامتياز والنقاء .

---

(١) البغوى ١/٤٤ ، ابن الجوزى ١/٢٠ ، الرازى ٢/٣ . القرطبى ١/١٥٤ ، ١١/١٦٥ . الخازن ١/٢٦ . ابن جزى ١/٦٠ . ابن كثير ١/٣٦ . البيضاوى ١/١٤ . الزركشى ١/١٧٣ . النيسابورى ١/ ١١٩ . الشربينى ١/١٥ . أبو السعود ١/٢٤ . الشوكانى ١/٢٩ . الآلوسى ١/١٠٠ . الصالح ٢٣٦ . شرف ٣٧ . عبد التواب ١٨٢ . البوطى ١٠٧ . عائشة ١٣٥ . إسماعيل ٢٦٥ . حمادة ٢٠٩ . العمرى ١١٢ . زرزور ١٤٠ . خليف ٨٠ . كفافى ١٣٣ . فودة ٢٧١ ، شقرف ٥٤ . العدل ١٢ .

(٢) جامع ١/٦٨ . ابن عطية ٩/٤٢٢ . القرطبى ١٥/١٤٣ . الخازن ٢/٩ . حمودة ٣/٢٧٩ . صبيح ١٠٠ .

(٣) ابن مسعود ١٨ . ابن عطية ١/١٣٨ . الرازى ٢/٣ ، ٨ . القرطبى ١/١٥٤ . ابن كثير ١/٣٦ . البيضاوى ١/١٤ . الشوكانى ١/٢٩ . الصالح ٢٣٦ . فودة ٢٧١ . العدل ١٢ .

(٤) البغوى ١/٤٤ . الرازى ٢/٣ . القرطبى ١/١٥٤ . الخازن ١/٢٦ . ابن كثير ١/٣٦ . البيضاوى ١/١٤ . النيسابورى ١/١٩ . الشربينى ١/١٥ . أبو السعود ١/٢٤ . الشوكانى ١/٢٩ . المنار ٨/٢٦٧ . الصالح ٢٣٦ . شرف ٣٨ . إسماعيل ٢٦٥ . أحمد ٢٠٩ . العمرى ١١٢ . زرزور ١٤٠ . فودة ٢٧١ . شقرف ٥٤ .

ولم يكتف الطبرسى بعلى ، وأضاف إليه أئمة الشيعة ، قال : هذا هو المروى عن أئمتنا [١] .

ومن ثم حكم ابن عباس بأن العلماء عجزوا عن إدراكها [٢] .

وعاد الشعبى إلى مقولة الصديق وزادها تفصيلا . قال داود بن أبى هند : كنت أسأل الشعبى عن فواتح السور فقال : ياداود ، إن لكل كتاب سرا ، وإن سر القرآن فواتح السور ، فدَعْها وسلْ عما سوى ذلك [٣] ، فهى من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه [٤] ، فنحن نؤمن بظاهرها ، ونكِل العلم فيها إلى الله [٥] ، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها [٦] .

---

(١) مجمع ٣٢/١

(٢) الرازى ٣/٢ . القرطبى ١٤٣/١٥ . الخازن ٣٩٣/٣ ، ١٤٣/١٥ . ابن خلدون ١٠٥٠ - ١٠٥١ . النيسابورى ١٢٠/١ . أبو السعود ٢٤/١ . الشوكانى ٢٩/١ . الآلوسى ١٠٠/١ ، ٢٣/ ١٦١ . إسماعيل ٢٦٥ .

(٣) البغوى ٤٤/١ . ابن عطية ١٣٨/١ . ابن الجوزى ٢٠/١ . الرازى ٣/٢ . القرطبى ١/ ١٥٤ . ابن كثير ٣٦/١ . النيسابورى ١٢٠/١ . معترك ١٥٥/١ . الإتقان ١٠/٢ . الشربينى ١٥/١ . الآلوسى ١٠٠/١ . المنار ١٢٢/١ . غلاب ٣٨ . زرزور ١٤٠ . خليف ٨٠ . شقرف ٥٤ . العدل ١٢ .

(٤) البغوى ٤٤/١ . الجبرى ٦٠ . ابن عطية ١٣٨/١ . ابن الجوزى ١٢٠/١ . الرازى ٣/٢ . الطبرسى ٣٢/١ . القرطبى ١٥٤/١ ، ١٤٣/١٥ . النسفى ٩/١ . ابن جزى ٦٠/١ . ابن كثير ٣٥/١ البيضاوى ١٤/١ . الزركشى ١٧٣/١ . الخازن ١٥٤/١ ، ٢٠٩/٢ ، ٣٩٣/٣ . ابن خلدون ١٠٥٠. معترك ١٥٥/١ . أبو السعود ٢٤/١ . الصالح ٢٣٦ . غلاب ٣٨ . عائشة ١٣٥ . إسماعيل ٢٦٥. العدل ١٢ .

(٥) البغوى ٤٤/١ . ابن عطية ١٣٨/١ . الخازن ٢٦/١ . ابن كثير ٣٦/١ . الزركشى ١٧٣/١ . ابن خلدون ١٠٥١ . الشربينى ١٤/١ . الشوكانى ٢٩/١ . المنار ١٠٣/١ . شرف ٣٨ . عائشة ١٤١ . حمادة ١٦٠ . أحمد ٢٠٩ . العمرى ١١٢ .

(٦) البغوى ٤٤/١ . ابن عطية ١٣٨/١ . الرازى ٤٠/٢٦ ، ١٤٦/٢٨ . القرطبى ١٥٤/١ . الخازن ٢٦/١ . الشربينى ١٤/١ . الشوكانى ٢٩/١ . شرف ٣٨ . عائشة ١٤١ . حمادة ١٦٠ . أحمد ٢٠٩ . العمرى ١١٢ .

وأضاف ابن الجوزى إلى من قال هذا القول : أبا صالح ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم [١] ؛ وابنُ عطية : سفيانًا الثورى وجماعة من المحدِّثين [٢] ؛ والرازى : الحسين بن الفضل [٣] ؛ والقرطبى : الربيع بن خَثْيم ، وأبا حاتم بن حبان ، وأبا بكر بن الأنبارى [٤] ؛ والخازن : جابر بن عبد الله بن رئاب [٥] ؛ وأبو حيان ود. عائشة : أبا محمد بن على بن أحمد اليزيدى [٦] .

واتفق الرازى مع الشعبى فى تفويض علم الحروف المقطعة إلى الله ، لأن الكلام فى أمثالها يضيق ، وفتح باب المجازفات مما لا سبيل إليه [٧] .

ونقل القرطبى عن الربيع بن خثيم مايزيد كلام الشعبى وضوحا ، قال : إن الله أنزل هذا القرآن ، فاستأثر منه بعلم ماشاء ، وأطلعكم على ماشاء . فأما ما استأثر به لنفسه فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه ، وأما الذى أطلعكم عليه فهو الذى تسألون عنه وتخبرون به . وما بكل القرآن تعلمون ، ولا بكل ما تعلمون تعملون [٨] .

وعقب أبو بكر بن أبى طالب على هذا القول فقال : فهذا يوضح أن حروفا من القرآن سُترت معانيها عن جميع العالم ، اختبارا من الله وامتحانا . فمن آمن بها أُثيب وسعد ، ومن كفر وشكّ أَثِم وبَعُد .. قال عبد الله : ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ، ثم قرأ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [سورة البقرة : ٣] [٩] .

---

(١) زاد ٢٠/١ . ابن عطية ٤٢٢/٩ . الرازى ٣/٢ . الآلوسى ١٦١/٢٣

(٢) المحرر ١٣٨/١ . ابن كثير ٣٦/١ . عائشة ١٣٥ . زرزور ١٤٠ . العدل ١٢ .

(٣) مفاتيح ٣/٢ .

(٤) الجامع ١٥٤/١ . ابن كثير ٣٦/١ . شرف ٣٨ . العدل ١٢ .

(٥) لباب ١٤٣/١٥ .

(٦) عائشة ١٣٥ . وانظر أبو حيان ٣٥/١ . معترك ١٥٥/١ . والإتقان ١٠/٢ . أحمد ٢٠٩ .

(٧) مفاتيح ١٥/١٤ ، ٣/٢٢ ، ١٤١/٢٧ .

(٨) الجامع ١٥٤/١ .

(٩) الجامع ١٥٤/١ . ابن خلدون ١٠٥١ .

وقال محمد عبده : نفوض الأمر فيها إلى المسمّى سبحانه . ويسعنا فى ذلك ماوسع صحابة رسول الله وتابعيهم . وليس من الدين فى شىء أن يتنطع متنطع فيخترع ماشاء من العلل التى قلما يسلم مخترعها من الزلل [١] .

وبلغ الأمر بالدكتور عبد التواب إلى أن يتساءل : إنه لمن العجيب حقا أن ينطق النبى بهذه الرموز ، ولا يفسرها للمسلمين ، وهو مأمور بتبيين ذلك لهم بنص القرآن . فهل بيّن النبى هذه الرموز فى روايات ضاعت ، ولم تصلنا ، مات حاملوها فى الحروب المختلفة التى استعر أُوارها بعد وفاة النبى ، ولم يورثوها لمن بعدهم ، فبقيت هذه الرموز – لذلك – بلا تفسير معقول حتى الآن ؟ هذا أمر لا نستطيع أن نجزم به . كل ما نستطيع أن نقوله : إن جميع الحلول التى وصلتنا حتى الآن لا تقنع البحث الحديث ، وإن هذه الرموز كانت لغزا فيما مضى ، ولا تزال لغزا حتى الآن [٢] .

وخشى بعض العلماء أن يتخذ متخذ من غموض الحروف متكأ للطعن فى القرآن . فأعلن بعضهم أن وجود هذا المجمل المبهم فى كتاب الله لا يقدح فى كونه بيانا ، لأن كل مجمل فيه قد وجد بيانه فى العقل أو الكتاب أو السنة ، وحينئذ يخرج عن كونه غير مفيد [٣] .

وأعلن أبو شهبة : لو سلمنا أنها من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ، لاتنهض للطعن فى كون القرآن هدى وبيانا ، لأنها ألفاظ قليلة جدا بالنسبة إلى الألوف المؤلفة من كلمات القرآن التى تدل على معنى معروف عند المخاطبين . وهى – على هذا الوجه – جاءت لحكمة سامية ، وهى الابتلاء والاختبار ، ليظهر قوى الإيمان من ضعيفه ، وراسخ العلم من عادمه ، وهى الحكمة من وجود المتشابه فى القرآن [٤] .

---

(١) المنار ١٠٣/١ .
(٢) حول ١٨٢ .
(٣) الرازى ١٠/٢ .
(٤) المدخل ٢٤٨ – ٢٤٩ . قمحاوى ٥٧ ، ٧١ .

وغريب أن يخص فاروق حمادة قول أبى بكر بالشك ، قائلا لا ندرى سند قولة الصديق [١] .

ولم يكن هذا رأى جميع علماء المسلمين ، بل كان منهم من رأى إمكان معرفة مدلولها ، ومن لم يقنع بمجرد الإمكان ، بل تصدى للتأويل فعلا . فوصلت إلينا أقوال من كعب الأحبار وابن مسعود وعلى وابن عباس وابن الحنفية وأبى فاختة وأبى العالية وسعيد بن جبير من أهل القرن الأول ، ومن غيرهم ، وممن تبعهم فى الأجيال تفسر بعض الحروف ، كما يتضح من الفصول الآتية .

وربما كان الزجاج أول من أعلنها صريحة : أذهب إلى أن كل حرف منها يؤدى عن معنى [٢] .

وفتح ابن فارس باب العلم بالحروف أمام بعض الناس ، فأعلن أنها من السر الذى لا يعلمه إلا الله والراسخون فى العلم [٣] .

وفتح ابن عطية الباب على سعته ، فرأى أن جمهور علماء المسلمين يرون أنه لا يوجد فى كتاب الله مالا يُفهَم [٤] .

وذهب أبو بكر بن العربى فى « فوائد رحلته » إلى أن العرب – فى عصر الرسول – كانوا يعرفون أن لها مدلولا متداولا بينهم . ولولا ذلك لكانوا أول من أنكرها على النبى . وقد تلا عليهم (حم فصلت) و(ص) وغيرهما فلم ينكروا ذلك ، بل صرحوا بالتسليم له فى البلاغة والفصاحة ، مع تشوفهم إلى عثرة ، وحرصهم على زلة . فدل هذا الموقف على أن الحروف كانت أمرا معروفا عندهم لا إنكار فيه .

وأخذ ابن العربى يبحث عن هذا المدلول ، فتحصَّل له فيه عشرون قولا مما

---

(١) مدخل ١٦٠ .

(٢) القرطبى ١/١٥٥ ، ١١/١٦٦ .

(٣) الزركشى ١/٧٤ – ٥ ، العمرى ١١٣ .

(٤) المحرر ٩/٤٢٣ .

دفعه إلى أن يقول : من الباطل علم الحروف المقطعة فى أوائل السور [١] . أراد بذلك – فيما أرى – معرفة المدلول الذى كان العرب – قديما – يعرفونه ويتداولونه .

وأفاض الرازى فى أكثر من موضع فى الاحتجاج لكون هذه الحروف ذات مدلول معلوم . قال : اعلم أن المتكلمين أنكروا القول بسريتها ، وقالوا : لا يجوز أن يرد فى كتاب الله مالا يكون مفهوما للخلق . واحتجوا على ذلك بالآيات ، والأخبار ، والمعقول .

أما الآيات فأربعة عشر :

أحدها : قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [سورة محمد : ٢٤] أمرهم بالتدبر فى القرآن ، ولو كان غير مفهوم فكيف يأمرهم بالتدبر فيه .

وثانيها : قوله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء ٨٢] فكيف يأمرهم بالتدبر فيه لمعرفة نفى التناقض والاختلاف ، مع أنه غير مفهوم للخلق ؟

وثالثها قوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الشعراء : ١٩٢ – ١٩٥] فلو لم يكن مفهوما ، بطل كون الرسول منذرا به ، وأيضا قوله : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ يدل على أنه نازل بلغة العرب . وإذا كان الأمر كذلك ، وجب أن يكون مفهوما .

ورابعها قوله : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ ﴾ [سورة النساء : ٨٣] والاستنباط منه لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه .

خامسها : قوله : ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [سورة النحل : ٨٩] وقوله : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : ٣٨] .

---

(١) معترك ١٥٦/١ . الإتقان ١٣/٢ . عائشة ١٣٦ . شرارة ٦٥ .

وسادسها قوله : ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٥] ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢] وغير المعلوم لا يكون هدى .

وسابعها قوله : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ [سورة القمر : ٥] وقوله : ﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس : ٥٧] .

وكل هذه الصفات لا تحصل فى غير المعلوم .

وثامنها قوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة المائدة : ١٥] .

وتاسعها قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٥١] وكيف يكون الكتاب كافيا ، وكيف يكون ذكرى ، مع أنه غير مفهوم ؟

وعاشرها قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾ فكيف يكون بلاغا ، وكيف يقع الإنذار به مع أنه غير معلوم ؟ وقال فى آخر الآية : ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٥٢] وإنما يكون كذلك لو كان معلوما .

والحادى عشر قوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [سورة النساء : ١٧٤] فكيف يكون برهانا ونورا مبينا مع أنه غير معلوم ؟

الثانى عشر قوله : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [سورة طه : ١٢٣ و١٢٤] فكيف يمكن اتباعه والإعراض عنه [مع أنه] غير معلوم .

الثالث عشر : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [سورة الإسراء : ٩] فكيف يكون هاديا مع أنه غير معلوم ؟

الرابع عشر قوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ﴾ إلى قوله : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٥] والطاعة لا تمكن إلا بعد الفهم .

فوجب كون القرآن مفهوما .

وأما الأخبار فقوله – عليه السلام –: « إنى تركت فيكم ما إن تمسكتم به ، لن تضلوا : كتاب الله وسنتى » فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم ؟

وعن على أنه عليه السلام – قال : « عليكم بكتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم مابينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله . ومن اتبع الهدى فى غيره أضلّه الله . وهو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم . هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يَخْلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه . من قال به صَدَق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج . ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

أما المعقول فمن وجوه :

أحدها أنه لو ورد شيء لا سبيل إلى العلم به ، لكانت المخاطبة به تجرى مجرى مخاطبة العربى باللغة الزنجية . ولما لم يجز ذاك ، فكذا هذا .

وثانيها أن المقصود من الكلام الإفهام ، فلو لم يكن مفهوما لكانت المخاطبة به عبثا وسفها . وإن ذاك لا يليق بالحكيم .

وثالثها أن التحدى وقع بالقرآن ، ومالا يكون معلوما لا يجوز وقوع التحدى به [١] .

ولم يقف جهد الرازى عند هذا بل استطرد أن هناك من يخالفون المتكلمين ويحتجون بالآية والخبر والمعقول ، وتتبع أقوالهم فيما يلى :

أما الآية فهو أنه المتشابه من القرآن ، وأنه غير معلوم لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ والوقف هاهنا واجب لوجوه :

أحدها : أن قوله تعالى : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ لو كان معطوفا على قوله : ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ لبقى ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [سورة آل عمران : ٧] منقطعا عنه ، وذاك غير جائز لأنه وحده لا يفيد . ولا يجوز أن يقال إنه حال ، لأنا نقول حينئذ : إنه

---

(١) مفاتيح ٢/٤ – ٥ .

حال يرجع إلى كل ماتقدم ، فيلزم أن يكون الله – تعالى – قائلا : آمنا به ، كل من عند ربنا ؛ وهذا كفر .

وثانيها : أن الراسخين فى العلم لو كانوا عالمين بتأويله لما كان لتخصيصهم بالإيمان به وجه . فإنهم لما عرفوه بالدلالة لم يكن الإيمان به إلا كالإيمان بالمحكم . فلا يكون فى الإيمان به مزيد من مدح .

وثالثها : أن تأويلها لو كان ممايجب أن يُعلَم لما كان طلب ذلك التأويل مذموما ، لكن قد جعله الله ذما حيث قال : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [سورة آل عمران : ٧] .

وأما الخبر فقد روى أنه – عليه السلام قال : « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله . فإذا نطقوا به أنكره أهل الغرة بالله ؛ ولأن القول بأن هذه الفواتح غير معلومة مروى عن أكابر الصحابة ، فوجب أن يكون حقا ، لقوله – عليه السلام : « أصحابى كالنجوم : بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وقال بعض العارفين : العلم بمنزلة البحر فأُجرى منه واد ، ثم أجرى من الوادى نهر ، ثم أجرى من النهر جدول ، ثم أجرى من الجدول ساقية . فلو أجرى إلى الجدول ذلك الوادى لغرَّقه وأفسده . ولو سال البحر إلى الوادى لأفسده . وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [سورة الرعد : ١٧] فبحور العلم عند الله تعالى ، فأعطى الرسل منها أودية . ثم أعطت الرسل من أوديتهم أنهارا إلى العلماء . ثم أعطت العلماء إلى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم . ثم أجرت العامة سواقى إلى أهاليهم بقدر طاقتهم .

وعلى هذا ماروى فى الخبر : « للعلماء سر ، وللخلفاء سر ، وللأنبياء سر ، ولله – من بعد ذلك كله – سر . فلو اطلع الجهال على سر العلماء لأبادوهم . ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم . ولواطلع الخلفاء على سر الأنبياء لخالفوهم . ولواطلع الأنبياء على سر الملائكة لاتهموهم . ولواطلع الملائكة على سر الله لطاحوا حائرين ، وبادوا بائرين . والسبب فى ذلك أن العقول الضعيفة

لاتحتمل الأسرار القوية ، كما لايحتمل أبصار الخفافيش نور الشمس . فلما زيدت الأنبياء فى عقولهم قدروا على احتمال أسرار النبوة . ولما زيدت العلماء فى عقولهم قدروا على احتمال أسرار ماعجزت العامة عنه . وكذلك علماء الباطن - وهم الحكماء - زيد فى عقولهم ، فقدروا على احتمال ماعجزت عنه علماء الظاهر [١] .

وأما المعقول فهو أن الأفعال التى كُلِّفنا بها قسمان :

منها مانعرف وجه الحكمة فيها على الجملة بعقولنا ، كالصلاة والزكاة والصوم . فإن الصلاة تواضع محض وتضرع للخالق ، والزكاة سعى فى رفع حاجة الفقير ، والصوم سعى فى كسر الشهوة .

ومنها مالا نعرف وجه الحكمة فيها كأفعال الحج ، فإننا لا نعرف بعقولنا وجه الحكمة فى رمى الجمرات ، والسعى بين الصفا والمروة ، والرَمَل ، والاضطباع .

ثم اتفق المحققون على أنه كما يحسن من الله أن يأمر عباده بالنوع الأول ، فكذا يحسن الأمر منه بالنوع الثانى ، لأن الطاعة فى النوع الأول لاتدل على كمال الانقياد ، لاحتمال أن المأمور إنما أتى به لما عرف بعقله من وجه المصلحة فيه ؛ أما الطاعة فى النوع الثانى فإنها تدل على كمال الانقياد ونهاية التسليم ، لأنه لما لم يعرف فيه وجه المصلحة البتة ، لم يكن إتيانه به إلا لمحض الانقياد والتسليم .

فإذا كان الأمـــر كذلك فى الأفعال ، فلمَ لا يجوز أيضا أن يكون الأمر كذلك فى الأقوال ، وهو أن يأمرنا الله تارة أن نتكلم بما نقف على معناه ، وتارة بمالانقف على معناه ، ويكون المقصود من ذلك ظهور الانقياد والتسليم من المأمور للآمر ؟

بل فيه فائدة أخرى ، وهى أن الإنسان إذا وقف على المعنى وأحاط به ، سقط

---

(١) مفاتيح ٣/٢ .

وقعه عن القلب . وإذا لم يقف على المقصود مع قطعه بأن المتكلم بذلك أحكم الحاكمين ، فإنه يبقى قلبه ملتفتا إليه أبدا ، ومتفكرا فيه أبدا ، ولباب التكليف إشغال السر بذكر الله والتفكر فى كلامه . فلا يبعد أن يعلم الله أن فى بقاء العبد ملتفت الذهن ، مشتغل الخاطر بذلك أبدا مصلحة عظيمة له . فيتعبده بذلك تحصيلا لهذه المصلحة (١) .

وأتى الرازى فى موضع آخر بردود على بعض احتجاجات المتكلمين ، فقال يرد على قولهم : (لو جاز ذلك لجاز التكلم مع العربى بلغة الزنج) ، قال : ولمَ لا يجوز ذلك ، وقد تكلم الله بالمشكاة ، وهو بلسان الحبشة ، والسجيل والإستبرق الفارسيين .

وفى الاحتجاج بأن القرآن أجمع هدى وبيان ، قال : لانزاع فى اشتمال القرآن على المجملات والمتشابهات . فإذا لم يقدح ذلك فى كونه هدى وبيانا ، فكذا هاهنا (٢) .

ورد على من يقولون : الدليل الذى دل على صحة نبوة محمد هو أن الله خصه بإنزال هذا القرآن عليه ، فما لم نعرف هذا المعنى لا يمكننا أن نعرف نبوته . ومالم نعرف نبوته لا يمكننا أن نحتج بقوله ؛ ولزم الدور ؛ رد الرازى على أصحاب هذا القول : نحن بمحض العقل نعلم أن القرآن كتاب أُنزل إليه من عند الله . والدليل عليه أنه - عليه الصلاة والسلام - ماتلمذ لأستاذ ، ولا تعلم من معلم ، ولا طالع كتابا ، ولم يخالط العلماء والشعراء وأهل الأخبار ، وانقضى من عمره أربعون سنة ، ولم يتفق له شيء من هذه الأحوال . ثم بعد انقضاء الأربعين ظهر عليه هذا الكتاب العزيز المشتمل على علوم الأولين والآخرين . وصريح العقل يشهد بأن هذا لا يكون إلا بطريق الوحى من عند الله . فثبت بهذا الدليل العقلى أن القرآن كتاب أنزل على محمد من عند ربه (٣) .

---

(١) مفاتيح ٢/٤ - ٥ .

(٢) مفاتيح ٢/٨ .

(٣) مفاتيح ١٤/١٥ .

ومع ذلك انتهى إلى أن تمام السر لا يعلمه إلا الله ، ومن أعلمه الله (١) .

وعاد القرطبى إلى الإغلاق غير فسحة ضئيلة ، إذ أعلن أن هذه الحروف اختصار من كلام الله ، خص الله رسوله بعلمه (٢) .

وهاجم ابن كثير من ذهبوا إلى أنها لتأكيد العبادة ، فقال : ومن قال من الجهلة : إن فى القرآن ماهو تعبد لا معنى له ، فقد أخطأ خطأ كبيرا (٣) .

وأجمل الزركشى كلام الرازى فى فقرات قلائل قال فيها : قال الإمام الرازى : وقد أنكر المتكلمون هذا القول وقالوا : لا يجوز أن يرد فى كتاب الله ما لا يفهمه الخلق ، لأن الله أمر بتدبره والاستنباط منه ، وذلك لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه ؛ ولأنه كما جاز التعبد بما لايعقل معناه فى الأفعال ، فلم لا يجوز فى الأقوال بأن يأمرنا الله تارة بأن نتكلم بما نقف على معناه ، وتارة بما لا نقف على معناه ، ويكون القصد منه ظهور الانقياد والتسليم (٤) .

وأعلن البيضاوى : لعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله ورسوله ، ورموز لم يقصد بها إفهام غيره ، إذ يبعد الخطاب بما لايفيد (٥) .

ولعله قال ذلك متأثرًا بالجو الذى أبانه لنا - فيما بعد - عبد المنعم محمد شقرف فى قوله : تواترت الأقوال عن على بن أبى طالب أنه كان على علم بأسرار القرآن من الحروف المقطعة بأوائل السور ، وأن أبناءه وحفدته من أئمة البيت كان عندهم علم ذلك . وقد أُثِر عنهم قولهم : « إن الحروف المتقطعات أسرار بين الله ورسوله ، ولم يقصد بها اهتمام غيره وغير الراسخين فى العلم ، من رسوله وذريته ، والخطاب بالحروف المفردة سنة الأحباب فى سنن المحابّ ، فهو سر الحبيب إلى الحبيب ، بحيث لا يطلع عليه الرقيب » (٦) .

وكشف د. غلاب أن فريقا من العلماء رأى أن محاولة الاجتهاد فى كشف

---

(١) مفاتيح ٤٠/٢٦ .

(٢) مفاتيح ٤٠/٢٦ .

(٣) ابن كثير ٣٧/١ .

(٤) البرهان ١٧٣/١ .

(٥) أنوار ١٤/١ .

(٦) علم ٣٧ . شرارة ١٥ .

معانيها وفهم مراميها واجبة شرعا ، للوقوف على أسرارها والانتفاع بها ، تحقيقا للهدف الذى رمى إليه القرآن من ذكرها . وإلا فلو أراد الله أن تبقى مخبوءة ، لكان من العبث الإكثار من ذكرها إلى الحد الذى بلغ تسعا وعشرين مرة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (١) .

ورأى د. زرزور أن من يذهبون إلى عدم الخوض فى تفسير هذه الحروف أصلا لأنها – فيما قالوا – مما استأثر الله بعلمه ، رآهم أضعف دليلا ، واستند فى رأيه إلى أقوال الرازى . وختم بأن قال : لا خلاف على أن الغرض من الخطاب الإفهام ، وعلى أن الصحابة والتابعين والعلماء تكلموا فى معناها (٢) .

* * *

---

(١) نظرات ٣٨ ، ٤٤ .

(٢) القرآن ١٤٠ – ١٤١ .

حروف هجاء

نقل الطبرى عن خصيف عن مجاهد قال : فواتح السور كلها - ق و ص وحم وطسم والر وغير ذلك - هجاء موضوع [١] .

ونقل عن بعض أهل العربية : هى حروف من حروف المعجم ، استغنى بذكر ماذكر منها فى أوائل السور عن ذكر بواقيها ، التى هى تتمة الثمانية والعشرين حرفا ، كما استغنى المخبر عمن أخبر عنه : إنه فى حروف المعجم الثمانية والعشرين ، بذكر أ ب ت ث ، عن ذكر بواقى حروفها [٢] .

ونقل عن السدى قال : أما (ص) فمن الحروف [٣] .

وروى ابن عطية عن محمد بن المستنير قطرب وغيره فى (كهيعص) : عبارة عن حروف المعجم [٤] .

ولعل (غيره) هو الفراء الذى ذكر ابن الجوزى أنه وقطربا صرحا أن القرآن أشار بما ذكر من الحروف إلى سائرها . والمعنى أنه لما كانت الحروف أصولا للكلام المؤلف ، أخبر أن هذا القرآن إنما هو مؤلف من هذه الحروف .

واستطرد يقول : فإن قيل : فقد علموا أنه حروف ، فما الفائدة فى إعلامهم بهذا ؟

فالجواب أنه نبه بذلك على إعجازه . فكأنه قال : هو من هذه الحروف التى تؤلفون منها كلامكم ، فما بالكم تعجزون عن معارضته ؟ فإذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمد [٥] .

---

(١) جامع ٦٨/١ . ابن كثير ٣٧/١ ، ٢٣٧/٤ . الإتقان ١١/٢ . غلاب ٣٨ . شرارة ٥٨ .

(٢) جامع ٦٨/١ . الفراء ٣٦٨/١ . الطبرسى ٣٣/١ . الرازى ٧/٢ . ابن كثير ٣٧/١ . الزركشى ١٧٨/١ .

(٣) جامع ٧٥/٢٣ .

(٤) المحرر ٤٢٤/٩ .

(٥) معانى ٣٦٨/١ ، ١٧٢/٢ . زاد ٢١/١ .

قد نفهم من كلامهم أن قطربا والفراء اقتصرا على الإشارة إلى أن الحروف المقطعة حروف هجاء ، وأن ابن الجوزى هو الذى امتد بكلامهما إلى أن وصل به إلى مجال التحدى والإعجاز . وذلك ماتدعمه أكثر المراجع . ولكن مايرد فى فصل التحدى والإعجاز يدل على أن لقطرب قولا صريحا فى أمر التحدى .

وأتى بعض الكتاب بهذا القول دون أن ينسبوه إلى أحد (١) .

واتخذ أبو عبيدة معمر بن المثنى هذا الموقف فى تفسير كل السور المبدوءة بالحروف المقطعة فى كتابه « مجاز القرآن » ، والتزم بعبارة واحدة رددها فى أكثرها ، تقول عن كل حرف : « ساكن لأنه جرى مجرى فواتح السور اللواتى مجازهن مجاز حروف التهجى » (٢) .

وعلل الباقلانى الرمز (الم) تعليلا دار عند المؤلفين بعده ، قال : إن الألف من أقصى الحروف مطلعا ، واللام متوسطة ، والميم متطرفة لأنها تأخذ فى الشفة . فنبه بذكرها على غيرها من الحروف ، وبيّن أنه إنما أتاهم بكلام منظوم ، مما يتعارفون من الحروف التى تتردد بين هذين الحرفين (٣) .

وسماها الزمخشرى ذات مرة تعديد أسماء الحروف (٤) . وتبعه الرازى والزملكانى غير أنهما ربطا بينها وبين إرادة البرهنة على إعجاز القرآن (٥) ، وهو التفسير الذى نادى به الزمخشرى فى غير الموضع السابق وأفاض فى الدفاع عنه .

ووضح الزملكانى ما أجمله الباقلانى فذكر أن الألف واللام والميم يكثرون فى الفواتح مالم يكثر غيرها من الحروف ، لكثرتها فى الكلام ، ولأن الهمزة من

---

(١) الطبرى ٨/٨٥ ، ١٦/١٠٣ ، ٢٤/٢٦ ، ٢٩/١١ . الرازى ٢/٢٢ . القرطبى ١٥/٢٨٩ . غلاب ٣٨ .

(٢) مجاز ١/٢١٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨٥ ، ٣٣٥ ، ٢/١٥ ، ٩٧ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٩٣ .

(٣) إعجاز ٤٦ .

(٤) الكشاف ١/٩٥ .

(٥) مفاتيح ٣/٢٢ . البرهان ٥٧ .

الرئة فهى من أعمق الحروف ، واللام مخرجها من طرف اللسان ملصقة بصدر الغار الأعلى من الفم ، فصوتها يملأ ماوراءها من هواء الفم ، والميم مطبقة لأن مخرجها من الشفتين إذا أطبقتا . فرُمزبهن إلى باقى الحروف كما رمز - ﷺ - بقوله : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » إلى الإتيان بالشهادتين وغيرهما مما هو من لوازمهما (١) .

وأضاف الزركشى إلى ماقال الباقلانى والزملكانى : فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة ، التى يتفرع منها ستة عشر مخرجا ، ليصير منها تسعة وعشرون حرفا ، عليها مدار كلام الخلق أجمعين ..

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهى مشتملة على مبدأ الخلق وتوسطه ونهايته ، مشتملة على خلق العالم وغايته ، وعلى التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر : فتأمل ذلك فى سور البقرة وآل عمران والسجدة والروم (٢) .

وقطع ابن خلدون الرأى بأنها حروف هجاء فقط - مع إمكان الربط بينها وبين التحدى للإعجاز ، فأعلن : وأما الحروف المقطعة أوائل السور ، فحقيقتها حروف الهجاء ، وليس ببعيد أن تكون مرادة . وقد قال الزمخشرى : « فيها إشارة إلى بُعْد الغاية فى الإعجاز ، لأن القرآن المنزل مؤلف منها ، والبشر فيها سواء . والتفاوت موجود فى دلالتها بعد التأليف » .

وإن عُدل عن هذا الوجه الذى يتضمن الدلالة على الحقيقة ، فإنما يكون بنقل صحيح ، كقولهم فى (طه) : إنه نداء من طاهر هاد وأمثال ذلك . والنقل الصحيح متعذر ، فيجىء المتشابه فيها من هذا الوجه (٣) .

ورفض العدل أن تكون هذه الرموز حروف الهجاء أو أسماءها : معلنا : نحن نرى - بعدما فتح الله علينا بفضله - مايلى :

---

(١) البرهان ٥٩ - ٦٠ . الزركشى ١/١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) البرهان ١/١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) مقدمته ١٠٥٢ .

أن هذه الرموز ليست هى حروف المعجم ، وإن تشابه البعض منها . فالمعروف أن حروف المعجم عددها يبلغ ٢٨ حرفا - بل وربما ٢٩ - والحروف التى ذكرت فى أوائل السور لا يزيد عددها على ١٤ . وإن قلنا إن (الم) تشابهت مع الألف واللام والميم فى شكلها ونطقها ، فإن (الر) يتشابه فيها الألف واللام ، أما (ر) ففى القراءات هى (رَ) مفتوحة وليست راء ، وفى (كهيعص) يتشابه الكاف ، ولكن (هيع) لا تتشابه حيث تقرأ هاى عين . فهذا ليس النطق الصحيح للهاء والعين ... أما من ناحية إعرابها فنحن لا نرى فى القراءات أى تنوين لها . فلو كانت هى من حروف الجر لنونت مثلا ، ولقلنا بدلا من ألفْ لامْ ميمْ ؛ ألفٌ لامٌ ميمٌ بالتنوين . وهذا ليس الحال هنا . وعلى هذا فهى ليست حروف الهجاء ولا أسماءها [1] .

* * *

(١) الهيروغليفية ١٦ .

حروف هجاء للتعليم

نقل الفخر الرازى عن عبد العزيز بن يحيى :

إن الله إنما ذكرها لأن فى التقدير كأنه - تعالى - قال : اسمعوها مقطعة حتى إذا وردت عليكم مؤلفه كنتم قد عرفتموها قبل ذلك ، كما أن الصبيان يتعلمون هذه الحروف أولا مفردة ثم يتعلمون المركبات (١) .

ولعل هذا ما أراده الزركشى حين قال : ذكرت هذه الحروف لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التى هى ا ب ت ث . فجاء بعضها مقطعا ، وجاء تمامها مؤلفا ، ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم ، أنه بالحروف التى يعقلونها ، ويبنون كلامهم منها (٢) .

* * *

(١) مفاتيح ٦/٢ . النيسابورى ١٢١/١ .

(٢) البرهان ١٧٥/١ .

حروف هجاء لإبطال دعوى قِدَم القرآن

نقل الفخر الرازى عن أبى بكر التبريزى :

إن الله علم أن طائفة من هذه الأمة ستقول بقِدَم القرآن . فذكر هذه الحروف تنبيها على أن كلامه مؤلف منها ، فيجب ألا يكون قديما .

وكان من أدلتهم قوله تعالى : ﴿حم﴾ تقديره : هذه حم ، يعنى هذا شىء مؤلف من هذه الحروف ، والمؤلف من الحروف المتعاقبة محدَث [١] .

وعقب الرازى على هذه الأقوال بقوله : قد ذكرنا مرارا أن جميع هذه الدلائل تدل على أن الشىء المركب من الحروف المتعاقبة والأصوات المتوالية محدث والعلم بذلك ضرورى بديهى ، لا ينازع فيه إلا من كان عديم العقل ، غير عارف بمعنى القديم والمحدث ، إنما الذى ثبت قِدمه شىء آخر سوى ماتركب من هذه الحروف والأصوات [٢] .

* * *

ويدل هذا الفصل أن بعض العلماء اكتفى برصد ظاهرة وجود الحروف المقطعة وإثباتها ، وامتنع عن محاولة إيجاد تعليل لهذا الوجود ؛ وأن التبريزى رأى أنها دلالة على خلق القرآن مما يدل على أنه أحد المعتزلة . وتلك قضية طال فيها الحديث وتشعّب ، حتى صارت أيام المأمون والمعتصم قضية سياسية . ولا شأن بكتابنا بها .

ولولا أن بعض العلماء فصل بين هذا الفصل وفصل التحدى بالحروف ، وعدّ كلًّا منهما قولا مستقلا ، لجعلتهما فصلا وقولا واحدا ، مهد فيه هذا القول لتاليه .

* * *

---

(١) مفاتيح ٢/٦ ، ٢٧/٢٣٦ . شرف ٤٣ .

(٢) مفاتيح ١٤/١٥ ، ٢٧/٢٣٧ .

التحدى

نقل ابن عطية عن قطرب وغيره : هى إشارة إلى حروف المعجم ، كأنه يقول للعرب : إنما تحديتكم بنظم من هذه الحروف التى عرفتم (١) .

وأورد الرازى قولا مماثلا نسبه إلى المبرد ، وذكر أن جمعا من المحققين اختاروه ، قال : إن الله إنما ذكرها احتجاجا على الكفار . وذلك أن الرسول – ﷺ – لما تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور أو بسورة واحدة فعجزوا عنه ، أُنزلت هذه الحروف تنبيها على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف ، وأنتم قادرون عليها وعارفون بقوانين الفصاحة ، فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن . فلما عجزتم عنه ، دل ذلك على أنه من عند الله لا من البشر (٢) .

ونسب بعض الكتاب مايشبه أقوال قطرب والمبرد إلى الفراء والقاضى عبد الجبار وغيرهما (٣) ، وأورده بعضهم الآخر دون أن ينسبه إلى أحد (٤) .

وقال الزمخشرى فى هذا الصدد : ورود هذه الحروف مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تُحدِّى بالقرآن وبغرابة نظمه ، وكالتحريك للنظر فى أن هذا المتلوّ عليهم – وقد عجزوا عنه من آخرهم – كلام منظوم من عين ماينظمون منه كلامهم ، ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط

---

(١) المحرر ١٣٩/١ . ابن الجوزى ٢/١ . الطبرسى ٣٣/١ . القرطبى ١٥٥/١ . ابن كثير ٣٨/١ . الشوكانى ٢٩/١ . المنار ١٢٢/١ . البوطى ١٠٨ .

(٢) مفاتيح ٦/٢ . الخازن ٢٦/١ . ابن كثير ٣٨/١ . المنار ١٢٢/١ . الحمصى ١٩٦ ، ١٩٨ . عبد التواب ١٧٤ . البوطى ١٠٨ . شرارة ٤٨ . العدل ١١ ، ١٢ ، ١٥ .

(٣) تنزيه ١١ . ابن الجوزى ٢/١ . القرطبى ١٥٥/١ . ابن كثير ٣٨/١ . الشوكانى ٢٩/١ . المنار ١٠٣/١ . البوطى ١٠٨ .

(٤) الرازى ٩/٢ ، ١٧٤/٢٦ ، ٧٧/٣٠ . الزركشى ١٧٥/١ . معترك ١٥٧/١ . الإتقان ١٣/٢ . الآلوسى ٥٨/١١ ، ١٠/٢٥ . عادل ١١٠ . الزرقانى ٢٢١/١ . قمحاوى ٧٢ . حمادة ١٦٢ . الزفزاف ١١٧ . كفافى ١٣٥ .

مقدرتهم دونه ، ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله ، بعد المراجعات المتطاولة – وهم أمراء الكلام ، وزعماء الحوار ، وهم الحراص على التساجل فى اقتضاب الخطب ، والمتهالكون على الافتنان فى القصيد والرجز – ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التى بزت بلاغة كل ناطق ، وشقت غبار كل سابق ، ولم يتجاوز الحد الخارج عن قوى الفصحاء ، ولم يقع وراء مطامع أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام البشر ، وأنه كلام خالق القوى والقُدَر . وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل .

وقال أيضا : إن الله عدّد على العرب الألفاظ التى منها تراكيب كلامهم ، إشارة إلى التبكيت لهم ، وإلزامهم الحجة (١) .

وذكر ابن العربى أن مجىء الحروف على نصف حروف المعجم هو على سبيل التحدى . كأنما يقال : من زعم أن القرآن ليس بآية [= معجزة] فليأخذ الشطر الباقى ، ويركب على ألفاظه معارضة للقرآن (٢) .

وأجمل رشيد رضا الموقف كله ، فقال : اقتصر على جعل حكمتها الإشارة إلى إعجاز القرآن بعضُ المحققين من علماء اللغة وفنونها كالفراء وقطرب والمبرد والزمخشرى ، وبعض علماء الحديث كشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية والحافظ المزى . وأطال الزمخشرى فى بيانه وتوجيهه بما يراجَع فى كشافه وفى تفسير البيضاوى وغيره (٣) .

---

(١) الكشاف ١/٩٥ – ٧ ، ١٠٣ ، ٢/٢٢٤ ، ٣/٤٤١ ، ٥٠٨ . الزملكانى ٥٧ . النسفى ١/ ٩ – ١٠ . ابن كثير ١/٣٧ – ٣٨ . البيضاوى ١/١٢ – ١٣ . الزركشى ١/١٦٦ . ابن خلدون ١٠٥٢ النيسابورى ١/١٣٦ . أبو السعود ١/٢٥ . الشوكانى ١/٣٠ . الآلوسى ١/١٠٣ . المنار ١/١٠٣ ، ٨/٢٦٩ . عرفة ٨١ . صبيح ١٥٠ . الصالح ٢٣٥ . حمودة ١/٧٤ . شرف ٤٧ . عائشة ١٤٠ . قطب ١/٣٨ ، ٣٦٤ . شعبان ٢٦٥ – ٢٦٦ ، ٢٦٨ . فاضل ٢١٠ – ٢١١ . شحاتة ٨٦ . زرزور ١٤٢ – ١٤٣ . العمرى ١٠٨ – ١٠٩ . ظاهرة ١٣٦ . خليف ٨١ . أبو زيد ٢٥١ . نصر ٢١٦ .

(٢) الزركشى ١/١٦٧ . ونسب حمادة ١٦٣ ، أحمد ٢٠٦ ، زرزور ١٤٣ ، العمرى ١١٠ النص للباقلانى . وأتى به د. شحاتة ٨٦ دون نسبة .

(٣) المنار ١/١٠٣ .

ورفض د. عبد التواب هذا الرأى ، ورآه ينقصه الدليل ، علاوة على أن سياق الكلام فى الأماكن التى ذكرت فيها هذه الرموز لا يفهم منه شىء من ذلك . وقال : لو أن القرآن مثلا قال : كهيعص حروف بها تنطقون ، فألفوا منها على طريقة القرآن إن كنتم تستطيعون ، كما قال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ لقبلنا هذا الرأى بلا تردد ، ولكن السياق لا يفهم منه ذلك إطلاقا (١) .

واتفق معه العدل مصرحا : نقول لأصحاب هذا الرأى : من ناحية أنها إعجاز فهى - وللحق - كذلك ، ولكن ليس لأنها حروف الهجاء بل لأسباب أخرى (٢) .

* * *

وواضح أن هذا الفصل بدأ قطرب الحديث فيه أو الإشارة القاصرة ، واستمر عند اللغويين إلى العصر الحديث ، ووصل الزمخشرى به إلى الغاية ، التى امتلكت كل من جاء بعده ، وأنستهم من كان قبله ، وصار كلامه المورد العذب .

* * *

---

(١) حول ١٧٤ .

(٢) الهيروغليفية ١٧ .

فواصل وفواتح

روى ابن عطية : سأل أعرابى النبى - ﷺ - عن ﴿حم﴾ ماهو ؟ فقال : بدء أسماء ، وفواتح سور [١] .

وأعلن الشعبى أنها فواتح [٢] .

وأعلن مجاهد : (الم) و(حم) و(المص) و(ص) فواتح - أو مفاتيح كلام افتتح الله بها القرآن أو السور [٣] . وذكر ابن عطية فيمن نحا هذا النحو أبا عبيدة ، والأخفش الأوسط [٤] . وأضاف الطبرسى الحسن البصرى وزيد بن أسلم [٥] والرازىُّ ثعلبا [٦] ، والقرطبى ابن كيسان [٧] .

وذهب ابن جنى إلى أن قراءة ابن مسعود وابن عباس افتتاح سورة الشورى (حم سق) بدون عين تؤكد أن الغرض فى هذه الحروف أن تكون فواصل بين السور . ولو كانت أسماء الله لما جاز تحريف شيء منها ، لأنها لو كانت كذلك لكانت أعلاما كزيد وعمرو ، والأعلام لا طريق إلى تحريف شيء منها ، بل تؤدَّى بأعيانها .

وخشى أن يحتج عليه محتج بأسماء جبريل وإسرافيل وإبراهيم ونحوها مما له صور متعددة ، فأعلن أنها أسماء أجنبية ، ولام التعريف لا تدخلها ، فبعدت عن أصول كلام العرب ، فاجترءوا عليها وتلعّبوا بها . وليس كذلك الفواتح لأنها حروف العرب المركب منها كلامها [٨] .

---

(١) المحرر ٤/١٣ . القرطبى ٢٨٩/١٥ . أبو حيان ٤٤٦/٧ . النيسابورى ٢٤/٢٤ .

(٢) القرطبى ٣/١٧ ، ٢٢٤/١٨ .

(٣) الطبرى ٦٧/١ ، ٦١/١٣ ، ٢/١٤ ، ٢٢ ، ٩٧ . الطوسى ٤٧/١ . ابن عطية ١٣٩/١ . القرطبى ٣٠٤/٨ ، ١٤٣/١٥ ، ٢٨٩ ، ٢/١٦ . ابن كثير ٣٦/١ . البيضاوى ١٣/١ . عبد التواب ١٧٠ . شحاتة ٨٩ .

(٤) الطبرى ٦٩/١ . ابن عطية ١٣٩/١ . الإتقان ١٣/٢

(٥) مجمع ٣٢/١ .

(٦) مفاتيح ٧/٢ .

(٧) الجامع ٢٢٤/١٨ .

(٨) المحتسب ٢٤٩/٢ . معترك ١٥٧/١ . الإتقان ١٣/٢ .

واستنتج الكرمانى من وجود الاستفهام عقب (الم) فى أول سورة العنكبوت انقطاع الحروف عما بعدها فى هذه السورة وفى غيرها [١] .

وأورد الرازى فى الآراء التى تفسر هذه الحروف رأيا يقول إنها تدل على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر . واستند هذا الرأى إلى قول ثعلب : إن العرب إذا استأنفت كلاما ، فمن شأنهم أن يأتوا بشىء غير الكلام الذى يريدون استئنافه ، فيجعلونه تنبيها للمخاطبين على قطع الكلام الأول واستئناف الكلام الجديد [٢] .

وسار الآلوسى فى ركابهم فقال عنها : هى من الفواتح التى تُصدَّر بها السور الكريمة على إحد الروايتين عن مجاهد ، بل قْيل : هى كذلك عند جمهور المتقنين [٣] .

وأبدى د. صبحى الصالح رضاه عن هذا القول [٤] .

ولم يقف الطبرى عند مجرد الإتيان بأقوال العلماء فى هذا الفصل والذى قبله ، بل استطرد متسائلا : هل يكون من القرآن ماليس له معنى ؟

ثم أورد مايقوله المؤيدون فقال : معنى هذا أنه افتتح بها ليُعلم أن السورة التى قبلها قد انقضت ، وأنه قد أخذ فى أخرى . فجعل هذا علامة انقطاع مابينهما ؛ وذلك فى كلام العرب ، ينشد الرجل منهم الشعر فيقول :

بل * وبلدةٍ ما الإنس من آهالِها !

ويقول : لابل * ماهاج أحزانا وشَجْوًا قد شَجا *

و(بل) ليست من البيت ، ولا تعد فى وزنه ، ولكن يقطع بها كلاما ، ويستأنف الآخر [٥] .

---

(١) معترك ١٥٧/١ .

(٢) مفاتيح ٧/٢ .

(٣) روح ١٤٨/١٦ .

(٤) مباحث ٢٤٣ . العمرى ١١٤ .

(٥) جامع ٦٩/١ – ٧٤ . الرازى ٧/٢ . الإتقان ١١/٢ ، ١٤ . أبو السعود ٢٤/١ . الزرقانى ٢٢٢/١ . شرف ٤٣ . إسماعيل ٢٦٥ .

ثم رفض الطبرى أن تكون الحروف فواتح لامعنى لها ، حقها الطرح ، ورمى القائل بذلك بالخطأ من وجوه شتى :

أحدها : أنه وصف الله بأنه خاطب العرب بغير ماهو من لغتها ، وغير ماهو فى لغة أحد من الآدميين .

الوجه الثانى : إضافته إلى الله أنه خاطب عباده بمالا فائدة لهم فيه ، ولا معنى له .

وذلك إضافة العبث – الذى هو منفى فى قول جميع الموحدين عن الله – إلى الله .

الوجه الثالث : أن (بل) فى كلام العرب مفهوم تأويلها ومعناها . فأما افتتاح الكلام ابتداء بمعنى التطول [: الزيادة] والحذف ، من غير أن يدل على معنى ، فذلك مما لا نعلم أحدا ادعاه من أهل المعرفة بلسان العرب (١) .

واتفق معه ابن كثير فى استضعاف هذا الرأى ، واحتج بأن الفصل حاصل بدون الحروف فى السور التى لم تذكر فيها ، وفيما ذكرت فيه ، وبالبسملة تلاوة وكتابة (٢) .

وأضاف د. رمضان عبد التواب أنها لو كانت حقا فواصل بين السور لوجب أن تكون موجودة فى أول كل سورة (٣) .

* * *

يتضح من هذا أن فريقا من العلماء تجاوزوا مرحلة رصد الحروف المقطعة ، ولكن خشيتهم من القول بالرأى الفردى فى أمر يتصل بكتاب الله ، وقفت بهم عند أولى مراحل التفسير فقالوا بأنها علامات تفصل بين مامضى وما يأتى من كلام الله .

ولكن هذا القول اقتضى أنها علامات خالية من المضمون فتصدى الطبرى لذلك ورفضه وأتى بالأدلة على أنه لا يليق بالقرآن . وقد تابعه بعض العلماء معتمدين فى أكثر ماقالوا على أقواله .

---

(١) جامع ١/٧٣ – ٧٤ . عبد التواب ١٧١ .
(٢) التفسير ١/٣٧ .
(٣) حول ١٧١ .

أدوات تنبيه

أعلن كثيرون أن هذه الحروف أدوات تنبيه ، وعبروا عن ذلك فى صيغ متنوعة .

نقل ابن الجوزى عن أبى روق عطية بن الحارث الهمدانى : كان النبى – ﷺ – يجهر بالقراءة فى الصلوات كلها ، وكان المشركون يصفقون ويصفرون ، فنزلت هذه الحروف المقطعة ، فسمعوها فبقوا متحيرين [١] .

ونقل القرطبى : قال قطرب : كانوا ينفرون عند استماع القرآن . فلما سمعوا ﴿الم﴾ و﴿المص﴾ استنكروا هذا اللفظ . فلما أنصتوا له – ﷺ – أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ، ليثبته فى أسماعهم وآذانهم ، ويقيم الحجة عليهم [٢] .

ونقل الرازى عن ابن روق وقطرب : إن الكفار لما قالوا : ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [سورة فصلت : ٢٦] [٣] وتواصو بالإعراض عنه ، أراد الله – لما أحب من صلاحهم ونفعهم – أن يورد عليهم مالا يعرفونه ، ليكون ذلك سببا لإسكاتهم ، واستماعهم لما يرد عليهم من القرآن . فأنزل الله عليهم هذه الحروف . فكانوا – إذا سمعوها – قالوا كالمتعجبين : اسمعوا إلى مايجىء به محمد . فإذا أصغوا هجم عليهم القرآن . فكان ذلك سببا لاستماعهم ، وطريقا إلى انتفاعهم [٤] .

وذكر القرطبى أن محمد بن يزيد المعروف بالمبرد قال : هى تنبيه [٥] .

---

(١) زاد ٢١/١ . المنار ٢٦٨/٨ . صبيح ١٠١ .

(٢) الجامع ١٥٥/١ . العدل ١٣ ، ١٥ .

(٣) العدل ١٣ .

(٤) مفاتيح ٦/٢ ، ٨ ، ١١ ، ١٤٦/٢٨ ، ٩٥/٢٥ . الطبرى ٦٩/١ . الطبرسى ٣٣/١ . ابن الجوزى ٢١/١ . القرطبى ١٥٥/١ . الخازن ٢٦/١ . الزركشى ١٧٥/١ . النيسابورى ١٢١/١ . معترك ١٥٧/١ . الإتقان ١٣/٢ . الآلوسى ١٠٣/١ . المنار ٢٦٨/٨ . الصالح ٢٤٤ . حمودة ٧٦/١ . شرف ٤١ . غلاب ٤١ . فاروق ١٦٤ . زرزور ١٤٥ . العمرى ١١٥ . خليف ٨٢ .

(٥) الجامع ٣٠٤/٨ . المنار ١٠٣/١ ، ٢٦٢/٨ ، ٢٦٤ – ٦ . عبد التواب ١٧٣ .

وجمع ابن عطيه قولى أبى روق والمبرد فى إجمال ، فقال : قال قوم : هى تنبيه كيا فى النداء [(١)] .

وقال قوم : روى أن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة ، نزلت ليستغربوها فيفتحوا لها أسماعهم ، فيسمعون القرآن بعدها ، فتجب عليهم الحجة [(٢)] .

وحكى الرازى أن هناك من استضعف أن يكون المقصود من ذكر هذه الحروف إسكاتهم عن الشغب ، واحتج بأنه لو جاز ذكر هذه الحروف لهذا الغرض ، لجاز ذكر سائر الهذيانات لمثل هذا الغرض . وذلك بالإجماع باطل [(٣)] .

ثم رفض هذا القول ، واحتج – مع قول قطرب – بأمرين :

أحدهما أن هذه الحروف ماجاءت إلا فى أوائل السور . وذلك يوهم أن الغرض ماذكرنا من التنبيه .

والثانى أن العلماء قالوا : إن الحكمة فى إنزال المتشابهات هى أن المعلِّل لما علم اشتمال القرآن على المتشابهات ، فإنه يتأمل القرآن ويجتهد فى التفكر فيه ، على رجاء أنه ربما وجد شيئا يقوِّى قوله وينصر مذهبه . فيصير ذلك سببا لوقوفه على المحكمات المخلِّصة له من الضلالات . فإذا جاز إنزال المتشابهات التى توهم الضلالات لمثل هذا الغرض ، فجواز إنزال هذه الحروف التى لا توهم شيئا من الخطأ والضلال لمثل هذا الغرض أولى .

أقصى مافى الباب أن يقال : لو جاز ذلك فليجز أن يتكلم بالزنجية مع العربى ، وأن يتكلم بالهذيان لهذا الغرض ، وهذا يقدح فى كون القرآن هدًى وبيانا

---

(١) المحرر ١٤٠/١ . معترك ١٥٦/١ . الإتقان ١٣/٢ . المنار ١٢/١١ .

(٢) المحرر ١٤٠/١ . القرطبى ١٥٥/١ . النسفى ٩/١ . الشوكانى ٢٩/١ . الصالح ٢٤٦ . العدل ١٣ .

(٣) مفاتيح ١٠/٢ .

أيضا . لكنا نقول : لم لا يجوز أن يقال : إن الله إذا تكلم بالزنجية مع العربى - وكان ذلك متضـــمنا لمثل هذه المصلحة - فإن ذلك يكون جائزا ؟ وتحقيقه أن الكلام فعل من الأفـعال ، والداعى إليه قد يكون هو الإفادة ، وقد يكون غيرها .

أما القول بأنه يكون هذيانا ، فإننا نقول : إن عنيت بالهذيان الفعل الخالى عن المصلحة بالكلية ، فليس الأمر كذلك . وإن عنيت به الألفاظ الخالية عن الإفادة ، فلِمَ قلت : إن ذلك يقدح فى الحكمة إذا كان فيها وجوه أُخَر من المصلحة سوى هذا الوجه ؟ وأما وصف القرآن بكونه هدى وبيانا فذلك لاينافى ماقلناه ، لأنه إذا كان الغرض ماذكرناه كان استماعها من أعظم وجوه البيان والهدى [١] .

وجعل الرازى التنبيه للنبى نفسه ، قال : الحكيم إذا خاطب من يكون محل الغفلة أو من يكون مشغول البال بشغل من الأشغال ، يقدِّم على الكلام المقصود شيئا غيره ، ليلفت المخاطب بسببه إليه ، ثم يشرع فى المقصود .

وذلك المقدَّم على المقصود :

قد يكون كلاما له معنى مفهوم ، كقول القائل : اسمع ، واجعل بالك إلىّ ، وكن لى .

وقد يكون شيئا هو فى معنى الكلام المفهوم ، كقول القائل : أَزيد ، ويازيد ، وألا يازيد .

وقد يكون ذلك المقدَّم على المقصود صوتا غير مفهوم ، كمن يصفر خلف إنسان ليلتفت إليه .

وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم ، كما يصفق الإنسان بيديه ليقبل السامع عليه .

ثم إن موقع الغفلة كلما كان أتم ، والكلام المقصود أهم ، كان المقدم على

---

(١) مفاتيح ١١/٢ .

المقصود أكثر . ولهذا ينادى القريب بالهمزة فيقال : أزيد ، والبعيد بيا فيقال : يازيد ، والغافل ينبه أولا فيقال : ألا يازيد (١) .

إذا ثبت هذا فنقول : إن النبى – وإن كان يقظان الجنان – لكنه إنسان يشغله شأن عن شأن . فكان يحسُن من الحكيم أن يقدِّم على الكلام المقصود حروفا هى كالمنبهات (٢) .

ثم إن تلك الحروف – إذا لم تكن بحيث يفهم معناها – تكون أتمَّ فى إفادة المقصود الذى هو التنبيه من تقديم الحروف التى لها معنى ، لأن ذلك المقدَّم – إذا كان كلاما منظوما وقولا مفهوما – ربما ظن سامعه أنه كل المقصود ، ولا كلام له بعد ذلك . فيقطع الالتفات إليه ، أما إذا سمع منه صوتا بلا معنى فإنه يُقبل عليه ، ولا يقطع نظره عنه ، مالم يسمع غيره ، لجزمه بأن ماسمعه ليس هو المقصود . فإذن تقديم الحروف التى لا معنى لها فى الوضع ، على الكلام المقصود ، فيه حكمة بالغة .

واعلم أن التنبيه قد حصل فى القرآن بغير الحروف التى لا يفهم معناها كمافى قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة الحج : ١] و﴿ يا أيها النبى : اتق الله ﴾ [سورة الأحزاب : ١] لأن تقوى الله حق تقاته أمر عظيم . فقدم عليه النداء الذى يكون للبعيد الغافل تنبيها (٣) .

ولم يقصر الرازى التنبيه على نفاسة المضمون بل ضم إليها نفاسة الشكل ، قال : الحروف تنبيهات قدِّمت على القرآن ليبقى السامع مقبلا على استماع مايرد عليه ، فلا يفوته شىء من الكلام الرائق ، والمعنى الفائق (٤) .

---

(١) مفاتيح ٢٦/٢٢ . النيسابورى ٧٦/٢٠ . عبد التواب ١٧٣ .

(٢) مفاتيح ٢٦/٢٢ . النيسابورى ٧٦/٢٠ . معترك ١٥٦/١ . الإتقان ١٣/٢ . العمرى ١١٥ . خليف ٨٢ .

(٣) مفاتيح ٢٦/٢٢ – ٢٧ . عائشة ١٣٩ .

(٤) مفاتيح ١٤٦/٢٨

واستضعف ابن كثير القول بأن هذه الحروف جلبت لتفتح أسماع المشركين، معتلا بما يلى :

لو كان الأمر كذلك لكان ذلك فى جميع السور لا بعضها .

ولو كان كذلك لانبغى الابتداء بها فى أوائل الكلام ، سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك .

ثم إن سورتى البقرة وآل عمران مدنيتان ليستا خطابا للمشركين [١] .

وواضح أنه لم يطلع على ردود الرازى على هذه الاعتراضات أو لم يكترث لها .

ونبه السيوطى إلى أن أحمد بن خليل الخُوَيِّى استجاد القول بأن الحروف تنبيهات ، لأن القرآن كلام عزيز وفوائده غزيرة ، فينبغى أن يرد على سمع متنبّه [٢] .

وذكر أن ابن عطية عدّ هذا القول مغايرا للقول بأنها فواتح . ثم خالفه قائلا : الظاهر أنه معناه [٣] .

وأشار الخويى إلى أن القرآن لم يستعمل الكلمات المشهورة فى التنبيه ، مثل أَلا وأما . وعلل ذلك بأنها من الألفاظ التى يتعارفها الناس فى كلامهم ، والقرآن كلام لا يشبه الكلام ، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ لم تُعهَد ، ليكون أبلغ فى قرع الأسماع [٤] .

واستبعد محمد رشيد رضا جعل التنبيه للنبى – ﷺ – لأنه كان يتنبه وتغلب الروحانية على طبعه الشريف بمجرد نزول الروح الأمين عليه ودنوه منه ، كما يعلم

---

(١) ابن كثير ٣٧/١ – ٣٨ .

(٢) معترك ١٥٦/١ . الإتقان ١٣/٢ . الصالح ٢٤٣ .

(٣) معترك ١٥٦/١ . الإتقان ١٣/٢ .

(٤) معترك ١٥٧/١ . الإتقان ١٣/٢ . صبيح ١٠١ . الصالح ٢٤٣ . حمودة ٧٦/١ . العمرى ١١٥ . خليف ٨٢ .

مما ورد فى نزول الوحى من الأحاديث الصحيحة ، كما لا يظهر فيه وجه تخصيص بعض السور بالتنبيه [١] .

وذهب رضا إلى أن من حسن البيان وبلاغه التعبير – التى غايتها إفهام المراد مع الإقناع والتأثير – أن ينبه المتكلم المخاطب إلى مهمات كلامه ، ويحرص على أن يحيط علمه بما يريده هو منها ، ويجتهد فى إنزالها من نفسه فى أفضل منازلها . ومن ذلك التنبيه لها قبل البدء بها لكيلا يفوته شىء منها .

وقد جعلت العرب منه هاء التنبيه وأداة الاستفتاح [٢] .

فأى غرابة فى أن يزيد عليها القرآن الذى بلغ حد الإعجاز فى البلاغة وحسن البيان ، ويحب أن يكون الإمام المقتدَى ، كما أنه هو الإمام فى الإصلاح والهدى ؟

ومنه مايقع فى أثناء الخطاب من رفع الصوت ، وتكييفه بما تقتضيه الحال من صيحة التخويف والزجر ، أوغنة الاسترحام والعطف ، أو رنة النعى وإثارة الحزن ، أو ...

ومنه الاستعانة بالإشارات وتصوير المعانى بالحركات .

ومنه كتابة بعض الكلمات أو الجمل بحروف كبيرة أو وضع خط فوقها أو تحتها [٣] ...

وفى موضع آخر أعلن أن الحروف المقطعة أقوى فى التنبيه من حرف الهاء الموضوع له فى أسماء الإشارة ومن كلمة (ألا) الاستفتاحية [٤] .

ورأى د. صبحى الصالح أن السيد رشيد رضا خير من أوضح الغرض من افتتاح بعض السور القرآنية بهذه الحروف المقطعة [٥] .

---

(١) المنار ٢٦٨/٨ . الصالح ٢٤٣ . العمرى ١١٥ .

(٢) المنار ٢٦٤/٨ . الصالح ٢٤٤ . العمرى ١١٥ . زرزور ١٤٦ .

(٣) المنار ٢٦٤/٨ – ٢٦٥ . الصالح ٢٤٤ – ٥ .

(٤) المنار ١٢/١١ .

(٥) الصالح ٢٤٤ . العمرى ١١٦ .

ورتب الآراء على النحو التالى – وإن كانت المواد العلمية التى تجمعت لدىَّ لا تؤيد قوله – قال : عندى أن ثمة قوما اتصفوا بالتعقل والحكمة ، أحبوا أن يدخلوا البيوت من أبوابها ، وأن يكونوا أصرح رأيًا وأوضح تفسيرا فى بيان الغرض من أوائل السور .

وقد مرت فكرتهم بأطوار ثلاثة حتى استحالت رأيا نضيجا عميقا :

فلم يزيدوا فى بادئ الأمر على أن يسموا هذه الحروف فواتح ، كما وضع العرب فواتح لقصائدهم . وقد قال بهذا مجاهد من كبار التابعين .

ثم انتقلت هذه الفكرة إلى مجال أوضح وأوسع حين أصبحت هذه الفواتح فى نظر بعضهم أدوات تنبيه . والخويى الذى يقرر هذا يجعل التنبيه للنبى – ﷺ .

ثم جعل السيد رشيد رضا التنبيه للمشركين (١) .

وذهب عبد الوهاب حمودة إلى أن هذا الوجه يقويه ويسنده مايلى :

أولا : أن هذا أسلوب من أساليبهم فى استخدامهم حروفا لا معنى لها ولا مقصد منها إلا التنبيه . وقد جاء ذلك كثيرا فى أحاديث النبى – ﷺ – عندما يريد أن ينبه أذهان الصحابة إلى خطورة مايرشدهم إليه . وليس بعجيب أن يراعى القرآن عرف المخاطبين ، فإن هذه المراعاة الخطابية تساعد على التأثير واجتذاب النفوس إلى الاقتناع والإذعان . وهذا وجه من بلاغة القرآن التى أفادت فى تثبيت النبوة وبث الدعوة .

ثانيا : إن هذه السور كلها مكية إلا الزهراوين – البقرة وآل عمران – على أن فى موضوعهما مايشبه الموضوعات المكية ، إذ كانت الدعوة فيهما موجهة إلى أهل الكتاب . فلما كانت هذه السور مكية ، وأهل مكة أهل عناد وغفلة وإعراض ، وأكثر ما يستعمل هذا الأسلوب فى مخاطبة الغافلين أو الجاهلين المعرضين ، جاءت هذه السور بتلك الافتتاحات للتنبيه والإيقاظ (٢) .

---

(١) المنار ٢٩٦/٨ . الصالح ٢٤٣ – ٤ . العمرى ١١٤ – ١١٥ .

(٢) رسالة ٧٧/١ .

ورفض د. عبد التواب هذا الرأى قائلا : ليس هذا الرأى فى حاجة إلى تبيين فساده ، أو خطئه . فإن القرآن الكريم نزل بلغة العرب كما قال فى أكثر من موضع منه . والعرب تستخدم فى كلامها أدوات للتنبيه مثل ألَا وأمَا .. إلخ . وليست هذه الرموز التى استعملها القرآن من بين تلك الأدوات التى يستعملها هؤلاء للتنبيه ، إذ لم ترد فى كلامهم ، لا شعرا ولا نثرا ...

وبعيد أن يبتدع القرآن أدوات للتنبيه والخطاب ، غير التى كانت معروفة لدى العرب . فما عهدنا فيه ذلك فى أية ظاهرة لغوية أخرى . وعلى فرض صحة ذلك . فلماذا لم يستعملها المسلمون فى هذا المعنى – فيما بعد – تقليدا للقرآن الكريم ؟

ولن يغنى عن أصحاب هذا الرأى قولهم : « إن القرآن كلام لا يشبه الكلام ، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تُعهَد ، لتكون أبلغ فى قرع السمع » لأنه لو كان القرآن قد أتى حقا بأدوات تنبيه غير معهودة لدى السامع ، لتحولت هذه الأدوات لديه من أدوات تنبيه إلى أدوات تحيير ، لأنه سينصرف إلى محاولة فهم معنى هذه الأدوات الجديدة ، ولن يلقى بالا لما يأتى بعدها ، فتضيع بذلك فائدة التنبيه [١] .

حكمة التنبيه

لاحظ أبو بكر الباقلانى ملاحظة اتخذها من جاء بعده قاعدة بنوا عليها ما رأوه فى حكمة استخدام هذه الحروف للتنبيه ، قال : مامن سورة افتُتحت بالحروف المقطعة إلا وقد أُشبع فيها بيان إعجاز القرآن ، وكونه حجة على رسالة محمد – ﷺ . وللتدليل على ذلك حلّل سورتى غافر وفصلت [٢] .

وقال الرازى : كل سورة فى أوائلها حروف التهجى فإن فى أوائلها ذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن ، إلا ثلاث سور ، هى مريم والعنكبوت والروم [٣] .

---

(١) حول ١٧٣ – ١٧٤ .

(٢) إعجاز ٨ – ١٥ . الرازى ٢٦/٢٢ ، ٩٥ . ابن كثير ٥٣٧/٢ . الزركشى ١٧٠/١ ، معترك ٧١/١ . الصالح ٢٤٥ . غلاب ١٠٨ . شرف ٤٨ . زرزور ١٤٥ .

(٣) مفاتيح ٤٦٤/٦ . عائشة ١٣٧ – ١٣٨ .

وقال أيضا : الحكمة فى افتتاح السور التى فيها ذكر القرآن بالحروف هى أن القرآن عظيم ، له عبء ثقيل ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [سورة المزمل : ٥] وكل سورة فى أولها ذكر القرآن قُدِّم عليها منبّه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه .

لا يقال : كل سورة قرآن ، واستماعها استماع لقرآن ، سواء كان فيها ذكر القرآن لفظا أو لم يكن ، فكان الواجب أن يكون فى أوائل كل سورة منبه .

وأيضا فقد وردت سور فيها ذكر القرآن ، ولم يذكر قبلها حروف ، مثل الكهف والنور والفرقان والقدر .

لأنا نقول عن الأول : لاريب فى أن كل سورة من القرآن . لكن السورة التى فيها ذكر القرآن تَنْبُه على كل القرآن . فإن قوله تعالى : ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ – مع أنها بعض القرآن – فيها ذكر جميع القرآن . فيصير مثاله مثال كتاب يرد من ملك على مملوكه فيه شغل ما ، وكتاب آخر يرد منه عليه ، فيه : إنا كتبنا إليك كتبا فيها أوامرنا فامتثلها ، لاشك أن عبء الكتاب الآخر أكثر من ثقل الأول .

ونقول جوابا عن الثانى إن قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ و﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى ﴾ – افتتاحا لسورتى الكهف والفرقان – تسبيحات مقصودة . وتسبيح الله لا يغفل عنه العبد ، فلا يحتاج إلى منبّه ، بخلاف الأوامر والنواهى ، وأما ذكر القرآن فيها فلبيان عظمة من له التسبيح .

وقال : وأما سورة العنكبوت فقد افتتحت بالحروف ، وليس فيها الابتداء بالقرآن ، وذلك لأن ثقل القرآن بما فيه من التكاليف والمعانى . وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف حيث قال : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [سورة العنكبوت : ٢] . يعنى لا يتركون بمجرد ذلك ، بل يؤمرون بأنواع من التكاليف ، فوُجد المعنى الذى فى السور التى فيها ذكر القرآن المشتمل على الأوامر والنواهى [١] .

(١) مفاتيح ٢٦/٢٢ . النيسابورى ٧٦/٢٠ . عائشة ١٣٩ .

وتجاوز ابن كثير مطلع السورة إلى داخلها ، فقال : كل سورة ابتدئت بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن ، وتبيان أن نزوله من عند الله حق ، لاشك فيه ولا مرية ولاريب (١) .

وتجاوز الزركشي الاحتجاج للقرآن إلى كل مايتعلق به ، فقال : اعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها مايتعلق بالقرآن ، بخلاف العنكبوت والروم (٢) .

وقال محمد رشيد رضا : إنما خصت سورة معينة بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبي - ﷺ - كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم بها إلى الإسلام وإثبات الوحي والنبوة . ولإثبات ذلك حَلَّل السور الأربعة (٣) .

قال مثلا في تحليل سورة الأعراف :

﴿المص﴾ هذه حروف مركبة في الرسم بشكل كلمة ذات أربعة أحرف ولكنها تقرأ بأسماء هذه الأحرف ساكنة هكذا : ألف ، لام ، ميم ، صاد ، والمختار عندنا أن حكمة افتتاح هذه السورة وأمثالها بأسماء حروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى تلك الحروف التي يتركب منها الكلام هي تنبيه السامع إلى ماسيلقى إليه بعد هذا الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء . فهي كأداة الافتتاح «ألا» و«هاء» التنبيه . وإنما خصت سور معينة (٤) من الطوال والمئين والمثاني والمفصل بهذا الضرب من الافتتاح ؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم بها إلى الإسلام وإثبات الوحي والنبوة ، وكلها مكية إلا

(١) ابن كثير ٣٨/١ ، ٥٣٧/٢ . عائشة ١٣٩ ، ١٤٢ ، حمادة ١٦٣ - ١٦٤ . العدل ١٥ .

(٢) البرهان ١٧٠/١ . معترك ٢١/١ - ٢٢ . عائشة ١٣٩ .

(٣) المنار ٢٩٦/٨ - ٢٩٨ . الصالح ٢٤٥ .

(٤) وهي ٢٩ سورة بعدد حروف الهجاء العربية بعد الألف اللينة منها ، وهي نصف تلك الأحرف المستقلة إذا لم تعد منها لأنها لا ينطق بها وحدها ، ومن الغريب أنها جامعة لكل مخارج الحروف .

الزهراوين البقرة وآل عمران – وكانت الدعوة فيهما موجهة إلى أهل الكتاب – وكلها مفتتحة بذكر الكتاب إلا سورة مريم وسورتى العنكبوت والروم وسورة ن . وفى كل منهما معنى مما فى هذه السور يتعلق بإثبات النبوة والكتاب .

فأما سورة مريم فقد فصلت فيها قصتها بعد قصة يحيى وزكريا المشابهة لها . ويتلوهما ذكر رسالة إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس مبدوءا كل منها بقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (١) والمراد بالكتاب القرآن . فكأنه قال فى كل من قصة زكريا ويحيى وقصة مريم وعيسى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وذكر هذه القصص فى القرآن من دلائل كونه من عند الله تعالى لأن النبى ﷺ لم يكن يعلم هذا لا هو ولا قومه كما صرح به فى سورة هود بعد تفصيل قصة نوح مع قومه بقوله : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ٤٩ . وكما قال فى آخر سورة يوسف بعد سرد قصته مع إخوته : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ ١٠٢ وختمت هذه السورة « أى سورة مريم » بإبطال الشرك وإثبات التوحيد ونفى اتخاذ الله تعالى للولد ، وتقرير عقيدة البعث والجزاء . فهى بمعنى سائر السور التى كانت تتلى للدعوة ويقصد بها إثبات التوحيد والبعث ورسالة خاتم النبيين وصدق كتابه الحكيم .

وأما سورة العنكبوت وسورة الروم فكل منهما قد افتتحت بعد ﴿ الٓمٓ ﴾ بذكر أمر من أهم الأمور المتعلقة بالدعوة . فالأول الفتنة فى الدين ، وهى إيذاء الأقوياء للضعفاء واضطهادهم لأجل إرجاعهم عن دينهم بالقوة الظاهرة . كان مشركو قريش يظنون أنهم يطفئون نور الإسلام ويبطلون دعوته بفتنتهم للسابقين إليه وأكثرهم من الضعفاء (٢) .

---

(١) وردت فى سورة « مريم » فى الآيات ١٦ ، ٤١ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ .
(٢) المنار ٨/٢٦٠ – ٢ .

ولم ترض د. عائشة عبد الرحمن عن رد الرازى ، ووصمته بأنه غير مقنع ، بل واضح التكلف والعنت . واستحسنت موقف الزركشى الذى كان أوضح مسلكا وأنأى عن التكلف ، إذ اكتفى بذكر مايتعلق بالقرآن . ورضيت عن ابن كثير لعدم وقوفه عند فاتحة السورة وحدها [١] .

وبسبب مامضى من أقوال ، آثرد. زرزور أن يصوغ الملحظ فى العبارة الآتية : « هذه الحروف ، أو السور التى افتتحت بها ، أعقبها مباشرة – وفى أغلب الأحيان – حديث عن القرآن الكريم ، وأنه تنزيل من حكيم حميد ، أو جاء هذا الحديث فى ثنايا السورة فى أحيان قليلة » ودعم هذا القول بتحليل موجز لعدد من السور [٢] .

وجعل عبد المنعم السيد حسن الحكمة فى ورود الآيات الموحية بكمال هذا الكتاب ومكانته ، والمعلنة عن كونه حقا صراحا ، وكون آياته محكمة مفصلة منزلة من عند الله ، عقب كل فاتحة من هذه الفواتح . ويلاحظ المتتبع لها أن كل آية من الآيات الواردة عقبها تثبت للقرآن مزيدا من الأوصاف والمزايا ، وتجلى أهمية القرآن بالنسبة للرسول ، وبالنسبة لمن يبلغهم [٣] .

* * *

جلى أن الأقوال فى هذا الفصل سارت فى طريقين : الطريق الأول ازدحم فيه المتكلمون ويعلن أن التنبيه موجه إلى من أُنزل إليهم القرآن لجذب أسماعهم – ثم أفكارهم – إليه . والطريق الثانى يكاد الخويى والرازى ينفردان بالسير فيه ، ويعلن أن التنبيه موجه إلى النبى .

وقد بدأ الحديث فى منتصف القرن الثانى ، وشارك فيه اللغويون مشاركة واضحة ، استمرت إلى العصر الحديث .

---

(١) الإعجاز ١٣٩ .

(٢) القرآن ١٤٤ – ١٤٥ .

(٣) ظاهرة ١٣٩ .

ولكن الجهد الأكبر كان للرازى ، الذى اضطلع بعبء البرهنة على صحة ماقيل فى التنبيه ، سواء تنبيه المشركين أو تنبيه الرسول ، يليه جهد رشيد رضا فالصالح وعبد التواب .

* * *

إشارات ورموز

مضمونية

كان الحكيم الترمذى أول من أشار إلى وجود مناسبة بين الحروف المقطعة ومضمون السور التى تبدأ بها ، قال عن سورة البقرة : « إن الله أودع جميع مافى تلك السورة من الأحكام والقصص فى الحروف التى ذكرها فى أول السورة . ولا يعرف ذلك إلا نبى أو ولى . ثم بين ذلك فى جميع السورة ، ليفقّه الناس » (١) .

وذكر الرازى فى (الٓمٓ) أن الألف من أقصى الحلق - وهو أول مخارج الحروف ، واللام من طرف اللسان - وهو وسط المخارج . والميم من الشفة - وهى آخر المخارج . فهذه إشارة إلى أنه لابد أن يكون أول ذكر العبد ووسطه وآخره ليس إلا الله ، على ماقال : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ (٢) .

وفطن الزركشى إلى هذه العلاقة فقال عن سورة (ق) : كل معانى السورة مناسب لما فى حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح (٣) . وإذا أردت زيادة إيضاح فتأمل ما اشتملت عليه سورة (ص) من الخصومات المتعددة . فأولها خصومة الكفار مع النبى - ﷺ - وقولهم : ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ ﴾ [سورة ص : ٥] إلى آخر كلامهم ، ثم اختصام الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصام الملأ الأعلى فى العلم ، وهو الدرجات والكفّارات ، ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود ، ثم اختصامه ثانيا فى شأن بنيه وحلفه لَيُغوينَّهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم ... وتأمل سورة الأعراف زاد فيها (ص) لأجل ... وشرح فيها قصص آدم فمن بعده من الأنبياء (٤) .

---

(١) القرطبى ١٥٦/١ . شرف ٤٣ . شقرف ٤٤ .

(٢) سورة الذاريات ٥٠ . مفاتيح ٨/٢ . البيضاوى ١٤/١ . النيسابورى ١٢٢/١ . الشربينى ١٥/١ . الآلوسى ١٠٣/١ .

(٣) البرهان ١٦٩/١ . حمادة ١٦٥ . زرزور ١٤٧ . العمرى ١١١ .

(٤) البرهان ١٦٩/١ - ١٧٠ .

وذهب الزركشي إلى فكرة أخرى أعلن فيها أنه لما كان نزول القرآن في أزمنة متطاولة ، وكان باقيا إلى آخر الزمان ، ولا كتاب بعده ؛ جعل الله الحروف كالعلائم ، تبين أن هذه السورة من قَبيل تلك التي أُنزلت من عشر سنين مثلا ، حتى كأنها تتمة لها ، وإن كان بينهما مدة (١) .

وأتى بفكرة ثالثة إذ لاحظ أن أكثر هذه الفواتح تكرارا هي (الٓمٓ) . وعلل ذلك بأن الألف إذا بُدىء بها أولا كانت همزة ، وهي أول المخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج الحروف ، وهي أشد الحروف اعتمادا على اللسان ، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم . وهذه الثلاثة هي أصل مخارج الحروف ، أعني الحلق واللسان والشفتين ، وترتبت في التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية . فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة التي يتفرع منها ستة عشر مخرجا ، ليصير منها تسعة وعشرون حرفا ، عليها مدار كلام الخلق أجمعين .

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهي مشتملة على مبتدأ الخلق ونهايته وتوسطه ، مشتملة على خلق العالم وغايته ، وعلى التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر . فتأمل ذلك في البقرة وآل عمران وتنزيل السجدة وسورة الروم (٢) .

ونقل د. محمد غلاب أن بوير من المستشرقين رأى أن في كل فاتحة من فواتح السور رابطا بما يذكر في سورتها . فالطاء في ﴿طسٓمٓ ﴾ تشير إلى الطور ، والسين إلى سيناء ، والميم إلى موسى ، لأن سورة القصص تتحدث عن موسى وطور سينين (٣) .

وكذلك ﴿حم﴾ تشير إلى جهنم . ولعلها تبتدئ بحرف الجيم الذى يشبه الحاء تماما . فاختلط ذلك على العرب فنطقوه حاء ، وهو في الحقيقة جيم (٤) .

(١) البرهان ١/١٧٧ .

(٢) البرهان ١/١٦٨ . معترك ١/٧١ . زرزور ١٤٤ .

(٣) نظرات ٤٣ . شرف ٦٠ .

(٤) نظرات ٤٣ . شرف ٥٤ .

وتهكم د. محمد غلاب عليه فقال : نحن لا يسعنا أن نعلق على هذا بأكثر من أنه يستوجب الضحك ، حتى فى الأوقات التى يتعسر فيها الضحك ويعز الإبتسام (١) .

وأضاف د. حفنى شرف : إن هذا الرأى لوصح اعتباره فى فاتحة سورة القصص ، لا يصح فى غيرها ، لأنه لاينطبق عليها (٢) .

وفى اعتقادى أن الرد الذى يمحق قول بوير فى ﴿حمٓ﴾ أن الأصل فى تلقى القرآن قديما وحديثا هو الأخذ مشافهة ، والتلاوة الصوتية ، لا التدوين الكتابى الذى يمكن فيه وقوع التحريف .

وأضيف إلى ذلك أن ﴿حمٓ﴾ – التى تنطق حَميم – تدل على جهنم وما تحتوى عليه من عذاب ، دون دعوى تغيير الجيم إلى حاء .

صوتية

كان الكرمانى أول من فطن – فى مصادرى – إلى وجود مناسبة صوتية بين الحروف وسورها . فقد رد زيادة الصاد فى حروف سورة الأعراف إلى قوله تعالى – بعدها : ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ [سورة الأعراف : ٢] (٣) ، ورد زيادة الراء فى حروف سورة الرعد إلى قوله بعدها : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [سورة الرعد : ٢] .

وفطن الزركشى إلى هذه المناسبة فطنته إلى المناسبة المضمونية ، وأفاض فى الحديث عنها ، فذهب إلى أن السورة التى بدئت بحرف مفرد خاصة مبنية على كلمات ذلك الحرف . ويوضح ذلك أنك إذا ناظرت سورة منها بما يماثلها فى عدد كلماتها وحروفها ، وجدت الحروف المفتتح بها تلك السورة إفرادا وتركيبا أكثر عددا فى كلماتها منها فى نظيرتها ومماثلتها فى عدد كلمها وحروفها . فإن لم تجد بسورة منها مايماثلها فى عدد كلمها ففى اطراد ذلك فى المماثلات مما

(١) نظرات ٤٣ . شرف ٥٤ .
(٢) مقدمة الخواطر ٥٤ .
(٣) أسرار ٢١ – ٢٢ .

يوجد له النظير مايشعر بأن هذه لو وُجد مايماثلها لجرى على ما ذكرت لك . وقد اطرد هذا فى أكثرها .

وقد تكرر فى سورة يونس من الكلم الواقع فيها (الر) مئتا كلمة وعشرون أو نحوها ، فلهذا افتتحت بـ (الر) . وأقرب السور إليها مما يماثلها بعدِّها من غير المفتتحة بالحروف المقطعة سورة النحل ، وهى أطول منها ، ومايركب على (الر) من كلمها مئتا كلمة ، مع زيادتها فى الطول عليها .

وتأمل سورة (ق) تجدها مبنية على كلمات ذلك الحرف من ذكر القرآن ، والخلق ، وتكرار القول ومراجعته مرارا ، والقرب من ابن آدم ، وتلقِّى الملكَين ، وقول العتيد ، وذكر الرقيب ، وذكر السابق والقرين ، والإلقاء فى جهنم ، والتقدم بالوعد ، وذكر المتقين ، وذكر القلب ، والقرن ، والتنقيب فى البلاد ، وذكر القتل مرتين ، وتشقق الأرض ، وإلقاء الرواسى فيها ، وبُسوق النخل ، والرزق ، وذكر القوم ، وخوف الوعيد ، وغير ذلك .

وكذلك سورة (ن) فإن فواصلها كلها على هذا الوزن ، مع ماتضمنت من الألفاظ النونية .

من أجل ذلك حُقّ لكل سورة منها ألا يناسبها غير الحروف الواردة فى أولها ، حتى لم تكن لترد (الم) فى موضع (الر) ولا (حم) فى موضع (طس) [١] .

وذهب بعض المستشرقين مذهبا خاصا . حكى د. زكى مبارك : كنت أتحدث عن فواتح السور مع المسيوبلانشو Blanchot فعرض علىّ تأويلا جديرا بالدرس والتحقيق .

فى رأيه أن الحروف المقطعة هى كالحروف (AOI) التى توجد فى بعض المواطن من (Chansons de geste) فهى ليست إلا (Neumes) أى إشارات وبيانات موسيقية يتبعها المرتلون .

---

(١) البرهان ١٦٩/١ - ١٧٠ ، ٢٧١ - ٢٧٢ . معترك ٧٠/١ - ٧١ . مقال حمودة ٧٧/١ ، ومقاله ٤٦ . عائشة ١٣٤ . إسماعيل ٢٦٨ . حمادة ١٦٥ . أحمد ٢٠٨ . زرزور ١٤٧ . العمرى ١١١ .

وقد كانت الموسيقا القديمة بسيطة يشار إلى ألحانها بحرف أو حرفين أو ثلاثة . وكان ذلك كافيا لتوجيه المغنى أو المرتل إلى الصوت المقصود .

وفى الكنائس المسيحية بأوروبا ، حيث لا تزال تحفظ تقاليد الغناء الجريجورى Le Chant grégorien وفى إثيوبيا مثلا ، يوجد اصطلاح موسيقى مشابه لذلك . فإن رئيس المرتلين يبدأ الصوت بالحروف التى تذكر بالحروف المقطعة فى القرآن أو (AOI) فى نشيد رولان .

ويؤيد رأى المسيو بلانشو أن ﴿الم﴾ وأخواتها تنطق هكذا عند الترتيل (ألف . لام . ميم) فهى ليست رمزا كتابيا ، ولكنها رموز صوتية .

ومن المحتمل أن تكون تقاليد الترتيل فى القرآن سارت فى طريق كان معروفا عند أهل الجاهلية . ومن الواضح أن القرآن لم يكن همه أن يخالف الجاهليين فى كل شىء حتى فى الأصوات الموسيقية . فليس بمستبعد أن تكون فواتح السور إشارات صوتية لتوجيه الترتيل ، وأن تكون متابعة لبعض ترانيم الجاهليين .

واستطرد د. زكى مبارك يقول : ونحن – مع اعتدادنا بقيمة هذا الرأى – نرى من أسباب ضعفه أن المفسرين لم يعطوه مايستحق من العناية ، مع تطوعهم بعرض كثير من الفروض . ولو أنه كان معروفا فى الصدر الأول لما تعرض لمثل هذا الإغفال .

ومن يدرى فلعل دراسة أصول الموسيقا فى الكنائس الحبشية والشامية فى العهد الذى سبق الإسلام تعود على هذا الرأى بشىء من التوضيح والتحديد . وإلى أن تظهر هذه الدراسة ، نقف أمام هذا الرأى بين الشك واليقين [١] .

وعقب محمد صبيح على كلام د. زكى مبارك فقال : ونحن نتفق مع د. زكى مبارك فى أن لهذا الرأى قيمته . ولكنه لم يهمل إهمالا كما قال ، إذ يقرب منه ماذكر من أن هذه الحروف كانت تنبيها من الوحى بقرب نزول القرآن ، أى

---

(١) النشر ٤٧/١ . صبيح ١٠٢ .

أنها أصوات كان النبى يسمعها فى باطنه ، ثم يرى نفسه قد جاشت بمعانى القرآن وألفاظه . فإذا أضفنا إلى هذا ماذكره الزمخشرى من أنه أريد بها تنبيه الأذهان وقرعها قبل ابتداء قراءة السور ، كان القول قريبا من الصواب . وقد يكمله مانقل السيوطى من أنه أريد مفاجأة العرب برموز وإشارات لا عهد لهم بها ليزداد التفاتهم ، وتتنبه آذانهم ونفوسهم [١] .

وأعلن عبد الوهاب حمودة أن بعض العلماء يرى فيها أنها رموز صوتية ، وإشارات موسيقية ، لأن القرآن نزل ليُرتَّل ويُتلى . وقد كانت الموسيقا القديمة بسيطة يُشار إلى ألحانها بحرف أو حرفين أو ثلاثة ، تقابل فى عصرنا الحاضر مايعرف فى النوتة بمفتاح صُول ...

وقد عددتُ القافات التى وردت فى سورة ق ، فوجدتها (٥٧) مع أن آياتها (٤٥) . وفى سورة ن قد تكرر هذا الحرف فيها (١٢٤) مرة ، وآياتها (٥٢) . وجميع فواصل هذه الآيات تنتهى بهذا الحرف ، وهو (ن) ، إلا عشر آيات تنتهى بالحرف (م) . وهذان الحرفان متقاربان موسيقيا ، إذ هما حرفا الغنة التى تخرج من الخيشوم .

فافتتاح السور بالحرف إعلان بلون الموسيقا الشائعة فيها ، وإعلان بصوت الحرف المتكرر فى ثناياها ، لتتذوق الأذن الانسجام الموسيقى ، وتستعذب الائتلاف الصوتى ، ويزداد الترتيل عذوبة والقراءة حلاوة [٢] .

ووصف نعيم الحمصى الحروف بأنها كالمفتاح الموسيقى للآيات التى بعدها [٣] .

وعدّ عدنان زرزور الحروف من النظم القرآنى البديع ، الذى يمكن التعبير عنه من خلال النقاط التالية :

---

(١) القرآن ١٠٣ .

(٢) مقاله ٤٦ . رسالة ١/٧٧ . حمادة ١٦٦ . زرزور ١٤٨ . الدباغ ٥٦ .

(٣) فكرة ٢٩ . فقيهى ١٨٦ .

١ – العلاقة الموسيقية بين هذه الحروف وبين فواصل الآيات التى تليها ، بحيث تقوم هذه الفواتح مقام الافتتاحيات التمهيدية فى المقطوعات الموسيقية :

(أ) فهناك تمهيد بتماثل الروى نحو قوله تعالى فى سورة آل عمران :
ألف لام ميم .
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ .

(ب) وهناك تمهيد بالتقارب نحو قوله فى سورة البقرة :
ألف لام ميم .
﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

(جـ) وهناك أيضا التمهيد الناشئ عن التناغم فى المدود المردفة ، نحو قوله فى سورة ص :
﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾
﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ .

٢ – دلالة هذه الحروف على معانيها اللغوية من جهة ، وكثرة دورانها فى السور التى صدرت بها من جهة أخرى ، بالإضافة إلى ملاحظة الفواصل بوجه عام .

٣ – لعل هذه الدلالة وذلك التمهيد الموسيقى هما مصدر الإيحاء الفنى أو الشعورى الذى يحسه القارئ لهذه الحروف فى السور القرآنية [١] .

وفطن محمود بن عمر الزمخشرى إلى أن الحروف المقطعة تفوق بقية الحروف فى كثرة دورانها فى الكلام [٢] . واستدل على ذلك بأن الألف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا فى معظم هذه الفواتح [٣] .

---

(١) القرآن ١٤٦ – ١٤٨ . وانظر مناسبة الحروف .

(٢) الكشاف ١٠٣/١ . النسفى ١٠/١ . ابن كثير ٣٣/١ . البيضاوى ١٣/١ . الزركشى ١٦٦/١ . الشوكانى ٣٠/١ . حمودة ٧٥/١ . اسماعيل ٢٦٨ . حمادة ١٦٣ . العمرى ١٠٩ .

(٣) الكشاف ١٠٣/١ – ١٠٤ . الزركشى ١٦٦/١ . النيسابورى ١٣٧/١ . الشربينى ١٥/١ . الشوكانى ٣٠/١ . حمودة ٧٥/١ . العمرى ١٠٩ .

وصرح د. صبحى الصالح : أكثر الحروف ورودا فيها : الألف واللام ، ثم الميم ثم الحاء ثم الراء ثم السين ثم الطاء ثم الصاد ثم الهاء والياء والعين والقاف ، وأخيرا الكاف والنون (١) .

ترهيبية

ذكر محمد أحمد عرفة أن د. طه حسين نقل عن بعض المستشرقين أن هذه الحروف ربما قُصد بها التعمية ، أو التهويل ، أو إظهار القرآن فى مظهر عميق مخيف (٢) .

وذكر د. غلاب أن بعض المؤولين استنتج مما شعر به عتبة بن خلف من رعب وإجلال عندما تلا عليه النبى (حم) إلى قوله : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ ، استنتجوا من هذه الحادثة ومثيلاتها أن الفواتح قد أُتى بها على تلك الصورة الغامضة قصد الترهيب لا أكثر ولا أقل .

ثم فند هذا الاستنتاج ، ورآه نظرة سطحية وأفقا ضيقا ، إذ إن هذا التخريج – وإن كان قد صدر عن مسلم حسن النية – يُشعر بإرادة التهويل بل التمويه الذى لا يليق بذى الجلال والإكرام . وإنما الحقيقة هى أن تلك الفواتح قد اشتملت على أسرار هائلة ، ومخبوءات رهيبة فى ذاتها . وما اشتمل على الرهيب صح به الترهيب (٣) ؟

خارجية

نقل ابن عطية عن قوم أنهم قالوا : الحروف أمارة قد كان الله جعلها لأهل الكتاب أنه سينزل على محمد كتابا فى أول سورة منه حروف مقطعة (٤) .

---

(١) مباحث ٢٣٥ .

(٢) نقض ٧٩ . عائشة ١٢٩ . أبو شهبة ٢٤٨ ، ٢٥٠ . قمحاوى ٥٧ ، ٧١ .

(٣) نظرات ٣٦ .

(٤) المحرر ١٣٨/١ .

ونقل محمد أحمد عرفة عن جرجيس سايل أنه قال بعد أن استعرض بعض أقوال المفسرين المسلمين : عندى أن لما فسرها به أحد علماء النصارى وجها لعله أدنى إلى الإصابة من تفسيرهم . فقد حدس أنها أحرف وضعها كتّاب محمد برأس السور اختصارا من قولهم : أوعز إليّ محمد . وذلك على حد ماوضع بعض كتابه من اليهود (كهيعص) برأس سورة مريم ، اختصارا من قوله بالعبرانية « ـهْ يَعَصْ » أى هكذا الأمر .

وزاد الزرقانى الأمر وضوحا حين أبان أن الدعوى كانت تزعم أن هذه الألفاظ من وضع كتبة محمد من اليهود ، تنبيها على انقطاع كلام واستئناف آخر ، ومعناها « أوعز إليّ محمد » أو « أمرنى محمد » يشيرون بذلك إلى براءتهم من الإيمان بما يأمرهم بكتابته (١) .

وسار لوث Loth على درب سايل (٢) .

وأعلن تيودور نولدكه Noldeke فى الطبعة الأولى من « تاريخ القرآن » – التى شاركه فى إصدارها شفالى Schvally سنة ١٩١٩ – أعلن أن هذه الحروف دخيلة على نص القرآن ، وإنما هى حروف أولى أو أخيرة أخذت من أسماء الصحابة الذين كانت عندهم نسخ من سور قرآنية معينة فالسين من سعد بن أبى وقاص ، والميم من المغيرة بن شعبة ، والنون من عثمان بن عفان ، والهاء من أبى هريرة ، وهكذا . وإذن فهى ليست إلا إشارات لمِلكية الصحف التى كانت هذه السور فيها ، تُركت فى مواضعها بدافع النسيان أو الإهمال أو عدم اليقظة ثم صارت على مر الزمن قرآنا (٣) .

---

(١) مناهل ٢١٨/١ .

(٢) قمحاوى ٧١ . غلاب ٤١ – ٤٢ .

(٣) نقض ٧٩ . المنار ١٢/١١ (حاشية) . الصالح ٢٤١ – ٢٤٢ . عبد التواب ١٧٥ . غلاب ٤٢ . شرف ٥٣ .

وقد انقسم المستشرقون على أنفسهم . فكان منهم من تابع نولدكه مثل هرشفلد Hirschfeld وبوهل Buhl . ومنهم من أحس بخطئه مثل شريكه فى الكتاب الذى حذف قوله من الطبعة الثانية منه . واستبعد ريجيس بلاشير Blachere ولوث Loth وبوير Bauer أن يدخل المؤمنون – وهم من هم ورعا وتقى – عناصر غير قرآنية فى الكتاب المنزل ، الذى لا يزيد عليه ماليس منه إلا ضعيف الإيمان قليل اليقين (١) .

وذكر محمد أحمد عرفه أن د. طه حسين شك فى هذه الأقوال لأن ثبوت أحدها ينفى الآخر . فكونها قُصد بها التهويل أو التعمية .. يقتضى أن الرسول نطق بها ، وأنها كانت فى عهده ؛ وكونها رموزا .. يقتضى أنها لم ينطق الرسول بها . ولا كانت فى زمنه (٢) .

ورمى محمد عرفة قائل هذا القول بأنه كان جاهلا أن هذه الأحرف كانت مقروءة ومحفوظة ومكتوبة فى سورها قبل كتابة المصاحف المتعددة فى خلافة عثمان . ولو علم أن الصحابة والتابعين كانوا يتشددون فى تجريد المصحف من كل ماليس قرآنا حتى إنهم امتنعوا من العَجْم [: نقط الحروف] والشكل وكتابة أسماء السور ، لاستحيا من أن يقول هذا القول (٣) .

ونقض الزرقانى هذه الافتراءات بمايلى :

١ – لم يكن للرسول – ﷺ – كتبة من اليهود أبدا . وهاهو التاريخ حاكم عدل لا يرحم ولا يحابى ، فليسألوه إن كانوا صادقين .

٢ – لا دليل لهم على أن فواتح هذه السور تستعمل فى تلك المعانى التى زعموها ، لا عند اليهود ولا عند غيرهم فى أية لغة من لغات البشر .

٣ – لم يعرف عن اليهود الطعن فى القرآن بمثل هذا القول . ولو كان هذا

---

(١) الصالح ٢٤١ – ٢٤٢ . غلاب ٤٢ . شرف ٥٣ – ٥٤ .

(٢) نقض ٧٩ .

(٣) نقض ٧٩ – ٨٠ .

مطعنا عندهم لكانوا أول الناس جهرا به ، لأنهم كانوا أشد الناس عداوة للنبى – ﷺ – والمسلمين [١] .

ووصم د. صبحى الصالح هذا القول بأنه أغرب مافى هذا الباب ، وأبعده عن الحق والصواب [٢] .

ورأى د. عبد التواب الرد على هذا الرأى فى منتهى البساطة . فإن مالكى النسخ التى استخدمها فيما بعد زيد بن ثابت لجمع القرآن فى مصحف واحد : لو أنهم كانوا قد كتبوا حقا اختصارا لأسمائهم على النسخ التى كانوا يملكونها ، فإن المعقول أنهم كانوا يضعون ذلك على رأس النسخة ، قبل النص ، وقبل البسملة التى توجد على رأس السورة . فمن الذى نقل هذه الرموز من أماكنها ، قبل البسملة إلى أماكنها الحالية بعد البسملة ؟ إننا لانقبل القول الذى يقول بأن زيد بن ثابت أضاف هذه الرموز إلى النص سهوا منه ، أو لمجرد أنه رآها مكتوبة فى بعض النسخ ، فإن الروايات تذكر أنهم لم يكونوا يكتفون فى جمع القرآن بنص مكتوب فى الصحف ، بل لابد أن يكون هناك حافظان – على الأقل – لمثل هذا النص . هذا إلى أننا نملك روايتين مختلفتين تدلان على أن هذه الرموز من نصوص الوحى ، نطق بها النبى – ﷺ – . وهذا يهدم الرأى القائل إنها اختصارات وضعت فيما بعد [٣] .

وأولى الروايتين ذكرها ابن هشام فى سيرته المشهورة (ص ١٨٥) ، قال :

« قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة – وكان سيدا – قال يوما ، وهو جالس فى نادى قريش ، والنبى عليه السلام جالس فى المسجد وحده : يامعشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه ، وأعرض عليه أمورا ، لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ،

---

(١) مناهل ٢١٩/١ .
(٢) مباحث ٢٤١ . شرف ٥٤ .
(٣) حول ١٧٦ .

ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله - ﷺ - يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى ، يا أبا الوليد ، فقم إليه فكلمه . فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله - ﷺ ، فقال : ياابن أخى إنك منا حيث قد علمت من السلطة فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا لتنظر فيها ، لعلك تقبل منا بعضها . قال : فقال له رسول الله - ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع . قال : يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد ملكا ، ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه ، لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا ، حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله - ﷺ ، يستمع منه ، قال : أقد فرغت ، يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسمع منى ، قال : أفعل : قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ . ثم مضى رسول الله - ﷺ - فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها عتبة منه أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه . ثم انتهى رسول الله - ﷺ - إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك . فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم ، قالوا له : ماوراءك يا أبا الوليد . قال : ورائى أنى سمعت قولا ، والله ماسمعت مثله قط ، والله ماهو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا الكهانة . يامعشر قريش أطيعونى ، واجعلوها بى . خلوا بين هذا الرجل ، وبين ماهو فيه ، فاعتزلوه ؛ فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب ، فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم » .

فقراءة النبى - ﷺ - للفظ « حم » فى هذه الرواية يدل على أنه من الوحى .

والرواية الثانية ، حديث رواه أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ، فى كتابه المسند جـ ١ ص ١٠٨ حديث ٦٥٧٥ ، قال : « حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد ، حدثنى عياش بن عباس بن هلال الصدفى ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : أتى رجل رسول الله ﷺ ، فقال : أقرئنى يارسول الله . قال له : اقرأ ثلاثا من ذات (الر) ، فقال الرجل : كبرت سنى ، واشتد قلبى ، وغلظ لسانى ، قال : فاقرأ من ذات (حم) ، فقال مثل مقالته الأولى ، فقال : اقرأ ثلاثا من المسبحات ، فقال مثل مقالته : ثم قال الرجل : ولكن أقرئنى يارسول الله سورة جامعة ، فأقرأه (إذا زلزلت الأرض) حتى إذا فرغ منها قال الرجل : والذى بعثك بالحق ، لا أزيد عليها أبدا ، ثم أدبر الرجل ، فقال الرسول - ﷺ : أفلح الرويجل ، أفلح الرويجل ...» !

وهذا الحديث صحيح الإسناد ، ويدل قوله - ﷺ : « ثلاثا من ذات الر » أى ثلاث سور من السور التى تذكر فيها كلمة « الر » ، وكذلك قوله : « من ذات حم » على أن هذه الرموز ، وأمثالها من الوحى .

وقال د. محمد غلاب : مارأى الرائى ذلك إلا لأنه - لفرط جهله وسطحيته - يتصور أن السور التى بدئت بالفواتح مدنية ، خضع فيها الرسول لتأثير اليهود . وقد فاته أن سبعا وعشرين سورة من تلك السور التسع والعشرين مكية ، وليس بينها من السور المدنية سوى اثنتين ، ولكنه الجهل ، وكفى بذلك وبالا [١] .

وأنكر محمد الصادق قمحاوى هذا القول اعتمادا على أن كتبة الوحى مشهورون غاية الشهرة ، وهم جميعا من أجلاء الصحابة ، ولم يكن منهم أحد من اليهود .

---

(١) نظرات ٤٢ . شرف ٥٣ .

ومع ذلك رضى عن قول بعضهم : إن هذه الحروف ليست بدعا فى القرآن ، ولا نزلت هملا فيه ، وإنما جاءت موافقة لبعض اصطلاحات اليهود والنصارى فى كتبهم . وقديما كان استعمال الرموز فى أهل الديانات . والكتب السماوية تصرح تارة وترمز أخرى . والرموز والإشارة من المقاصد السامية ، والمعانى والمغازى الشريفة . والقرآن كتاب سماوى جاء بما جاءت به الكتب قبله . فكيف يعجبون من وجود تلك الحروف فيه ، وهى موجودة فى كتبهم . على أن النسبة بين الرموز التى فى فواتح السور ورموز الجمَّل عند اليهود والنصارى نسبة ضئيلة جدا [١] .

* * *

---

(١) مناهل ٢٢٢/١ - ٢٢٣ . شبهات ٧١ - ٧٣ .

البرهنة على صدق محمد

أشار كثيرون – فى أثناء حديثهم عن الجوانب المتعددة للحروف المقطعة – إلى صدورها من أمى ، متعجبين من ذلك ، غير أنها إشارات سريعة ، وإنما أقف عند من أطال وركز النظر .

صرح الزمخشرى ومن تبعه بأن النطق بالحروف أنفسها معتاد لكل أحد ، يستوى فيه الأميون وغيرهم ، بخلاف النطق بأسامى الحروف ، لأنه يختص به من خط وقرأ . فلما أخبر محمد – ﷺ – بها فى أوائل السور ، من غير سبق تعلم ، كان دليلا على أنه استفاد ذلك من الوحى ، وشاهدا بصحة نبوته [١] .

واتجه أبو السعود فى التعبير عن هذه الفكرة اتجاها خاصا تبعه فيه غيره ، قال : ليكون مطلع مايتلى عليهم مستقبلا بضرب من الغرابة ، أنموذجًا لما فى الباقى من فنون الإعجاز . فإن النطق بأنفُس الحروف فى تضاعيف الكلام – وإن كان على طرف الثمام ، يتناوله الخواص والعوام ، من الأعراب والأعجام – لكن التلفظ بأسمائها إنما يتأتى ممن درس وخط ، وأما ممن لم يحم حول ذلك قط ، فأعز من بيض الأنوق ، وأبعد من مناط العيوق . لاسيما إذا كان على نمط عجيب وأسلوب غريب ، منبىء عن سر سرىّ ، مبنى على نهج عبقرى ، بحيث يحار فى فهمه أرباب العقول ، ويعجز عن إدراكه ألباب الفحول [٢] .

واكتفى حسن البنا بأن ذكر أن نطق محمد – ﷺ – الذى كانوا يعلمون أنه أمى لم يقرأ ولم يكتب – نطقه بهذه الحروف على الهيئة التى لا يحذقها إلا القراء والكاتبون أمر يستدعى الانتباه ويستلفت النظر [٣] .

* * *

---

(١) الكشاف ٩٩/١ – ١٠٠ . الرازى ٧/٢ . النسفى ٩/١ . البيضاوى ١٢/١ . النيسابورى ١٣٧/١ . الزرقانى ٢٢٢/١ ، ٢٢٥ .

(٢) إرشاد ٢٥/١ . الآلوسى ١٠٣/١ . إسماعيل ٢٦٦ .

(٣) أحمد عادل ١١٠ .

الإشارة إلى فضل الكتابة

ذكر أحمد عادل كمال أن حسن البنا وصف ثلاثة آراء فى تفسير الحروف بأنها أحقها بالنظر والتقدير ، وكان آخر هذه الثلاثة : أنها إشارة إلى فضل الكتابة وسمو منزلتها ، والتفاؤل بأنه - كما كانت معرفة البشر للكتابة إيذانا بانتقالهم من طور إلى طور فى مدارج الرقى والكمال - فكذلك الاهتداء بهذه الرسالة سيكون انتقالا جديدا إلى درجة أعلى وأكمل فى مدارج الحضارة الإنسانية والرقى الاجتماعى .

وقد جاء القرآن حريصا على إبراز هذا المعنى ، حتى كانت أول سورة أنزلت منه فى أرجح الأقوال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورة العلق : ١ : ٥] (١) .

* * *

---

(١) علوم ١١١ .

الدلالة على عدد آيات السورة

نقل عبد الوهاب حمودة عن نصوح طاهر الفلسطينى :

أنه رأى أن القيم العددية لتلك الحروف إنما يقصد منها الدلالة على عدد آيات السور التى جاءت الحروف فى أوائلها .

ورد عليه محمد على الهندى بأنه لو صح هذا الاتجاه ، لكان - بلا شك - تفسيرا مقنعا لتبيان القيمة العددية لهذه الأحرف ، غير أن الفلسطينى كان مخطئا فى هذا الرأى ، لأن تطبيقه لا يصدق حتى فى سورة واحدة من التسع والعشرين . فبينما نجد سورة كسورة البقرة قيمة حروفها الافتتاحية بحساب الجمل (٧١) إذا بمجموع آياتها (٢٨٦) ، وسورة الرعد قيمة حروفها الافتتاحية (٣٧١) وهى لا تشتمل إلا على (٤٣) آية .

ووصم الهندى الفلسطينى بأن نظريته أجبرته على أن يبتدع ترتيبا جديدا لآيات القرآن ، ويضع فى كل سورة عددا من الآيات يوافق قيمة حروفها ، فامتدت يده بالغلط والتشويه والاضطراب لكتاب مقدس ، لم يستطع ألد أعدائه ، وأشد النقاد لنصه ، أن يدّعوا فيه شيئا من ذلك [١] .

* * *

---

(١) رسالة ٢/١٩٨ - ١٩٩ .

حساب الجُمَل

ذكر الطبرى أن بعضهم ذهب إلى أن الحروف المقطعة حروف من حساب الجمل ، فإنا لا نعرف لهذه الحروف معنى يُفهَم سوى حساب الجمل ، وغير جائز أن يخاطب الله عباده إلا بما يفهمون ويعقلون عنه [١] .

وروى عن ابن عباس وجابر بن عبد الله بن رئاب قالا : مرّ أبو ياسر بن أخطب برسول الله - ﷺ - وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ﴾ . فأتى أخاه حُيَى بن أَخْطب من يهود فقال : تعلمون ، والله : لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله عليه ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ . فقالوا : أنت سمعته ؟ قال : نعم . فمشى حيى بن أخطب فى أولئك النفر من يهود إلى رسول الله - ﷺ - فقالوا : يامحمد ، ألم يُذكَر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : بلى . فقالوا : أجاءك بهذا جبريل من عند الله ؟ قال : نعم . قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، مانعلمه بيّن لنبى منهم : ما مدة ملكه وما أكل أمته غيرك . وقال حيى بن أخطب ، وأقبل على من كان معه فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة . أفتدخلون فى دين نبى إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ ثم أقبل على رسول الله - ﷺ - فقال : يامحمد : هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم . قال : ماذا ؟ قال : ﴿المص﴾ قال : هذه أثقل وأطول ، فهذه مئة وإحدى وستون سنة . هل مع هذا - يامحمد - غيره ؟ قال : نعم . قال : ماذا ؟ قال : ﴿الر﴾ . قال : هذه - والله - أثقل وأطول ، فهذه إحدى وثلاثون ومئتا سنة . قال : هل مع هذا غيره ، يامحمد ؟ قال : نعم ، ﴿المر﴾ . قال : فهذه - والله - أثقل وأطول ، فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة . ثم قال : لقد لُبِّس علينا

---

(١) ابن هشام ١٧٠/٢ . جامع ٧١/١ - ٧٢ . ابن عطية ١٣٩/١ . الرازى ٧/٢ . النيسابورى ١٢١/١ - ١٢٢ . الإتقان ١٢/٢ . الشوكانى ٣١/١ . المنار ١٢٢/١ - ١٢٣ . الزرقانى ٢٢٤/١ . شرف ٤٢ . عائشة ١٣١ - ١٣٢ . حمادة ١٦١ - ١٦٢ . شقرف ٣٤ - ٣٦ . أبو زيد ٢١٣ - ٢١٤ .

أمرك - يامحمد - حتى ماندرى أقليلا أُعطيتَ أم كثيرا . ثم قاموا عنه . فقال أبو ياسر لأخيه حيى ومن معه من الأحبار : مايدريكم ، لعله قد جُمع هذا كله لمحمد . وعلق الرازى على حساب الجمل بأنه عادة معلومة عند الناس (١) .

وذكر الطبرى عن ابن عباس أنه كان يقرؤها ﴿ حم سق ﴾ بغير عين ويقول : إن السين عمر كل فئة كانت ، والقاف كل جماعة كائنة ، ويقول : إن عليًّا إنما كان يعلم العين بها (٢) .

ونسب ابن عطية هذا القول إلى أبى العالية (٩٠/٧٠٩) (٣) والطبرى إلى الربيع بن أنس (١٤٠/٧٥٧) (٤) والطبرسى إلى مقاتل بن سليمان (١٥٠/ ٧٦٧) (٥) . والحق إنهم يروونه عن ابن عباس .

وأتى به دون أن ينسبه إلى أحد الطبرسى وابن جزى وغيرهما (٦) .

وأعجب ابن فارس بهذا القول ، وعدّه قولا حسنا لطيفا ، لأن الله أنزل على نبيه الفرقان ، فلم يَدَعْ نظما عجيبا ولا علما نافعا إلا أودعه إياه ، عَلِم ذلك من علمه ، وجهله من جهله (٧) .

ولما كان قد شاع بين المسلمين أن هذه الحروف تدل على مدة بقاء أمة الإسلام ، فقد تصدى لحسابها كثيرون . فوصل مقاتل بن سليمان إلى أنها - بإسقاط المكرر منها : سبع مئة وأربع وأربعون سنة (٨) .

---

(١) مفاتيح ٩/٢ .

(٢) جامع ٥/٢٥ . النيسابورى ٢٢/٢٥ .

(٣) المحرر ١٣٩/١ . الرازى ٦/٢ . ابن كثير ٣٦/١ . البيضاوى ١٣/١ . الإتقان ١٢/٢ . غلاب ٣٨ . عبد التواب ١٧١ - ١٧٢ .

(٤) جامع ٦٨/١ . القرطبى ٨٨/١٣ . الزركشى ١٧٤/١ . غلاب ٣٨ .

(٥) مجمع ٣٣/١ .

(٦) مجمع ٣٣/١ . التسهيل ٦٠/١ . الزركشى ١٧٤/١ - ١٧٥ . أبو السعود ٢٤/١ . قمحاوى ٧٢ . حمادة ١٦٦ . العمرى ١١٦ . أبو زيد ٢١٩ .

(٧) الزركشى ١٤٧/١ .

(٨) الطبرسى ٣٣/١ .

وقال على بن فضال المجاشعى النحوى : حسبت هذه الحروف التى ذكرها مقاتل ، فبلغت ثلاثة آلاف وخمسا وستين . فحذفت المكررات فبقى ست مئة وثلاث وتسعون [١] . وأيده الطبرسى [٢] .

وحسبها عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى على ترتيب المغاربة للحروف ، فبلغ مجموعها تسع مئة وثلاثة [٣] .

وذكروا أن أبا الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برجان استخرج فى تفسيره فتح بيت المقدس واستنقاذه من العدو ، سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، من قوله تعالى : ﴿ الم غلبت الروم ﴾ [٤] .

وذكر الآلوسى عن العز بن عبد السلام أن على بن أبى طالب استخرج حروبه مع معاوية ، من قوله تعالى : ﴿ حم عسق ﴾ [٥] .

وأغرب ابن أبى الإصبع وأطال ، فأتى بأشياء شتى ، قال مثلا :﴿ ق ﴾ لها من العدد الحسابى مئة ، وهذا العدد يشير إلى أسماء الله ، وهى تسعة وتسعون ورد بها حديث الترمذى ، وتمامها اسمه الأعظم المكنون فى غيبه ، الذى لا يختص به إلاّ أكرم عباده عليه فى وقته . فكأنه – سبحانه – أقسم بأسمائه التى أشار إليها فى هذه الفاتحة .

وأما ﴿ص﴾ فلها من العدد تسعون . وإذا تحلل هذا العدد كان خمس عشرة سنة . وعددها يدل على جميع أمور العالم بأسره . وهى : الأفلاك التسعة

والنيّران والدرارى الخمسة

والعناصر الأربعة

---

(١) نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) ابن خلدون ٨٢٥ بعد التصويب الذى أجراه نصر الهورينى .

(٤) الزركشى ١٧٥/١ . الإتقان ١٢/٢ . الآلوسى ١٠٢/١ – ١٠٣ . الصالح ٢٣٧ . العمرى ١١٣ .

(٥) روح ١٠٢/١ .

والمولدات الثلاث
والجهات الست
والأقاليم السبعة
ومنازل القمر الثمانية والعشرون
والبروج الاثنا عشر
والليالى السبع
والأيام السبع
وجملة ذلك تسعون (١) .

وأما ﴿ ن ﴾ فلها من العدد الحسابى خمسون . وإذا تحللت كانت عشر خمسات ، وهى تشير إلى جميع الأمور الأخروية : وهى ملك الموت ، ومنكر ونكير ، والكتاب ، والحساب ، والميزان ، والصراط ، والجنة والنار ، وأبوابهما ، ورضوان ، ومالك ، وخزنة النار ، والثواب ، والعقاب ، والحسنات ، والسيئات . ومجموع ذلك خمسون (٢) .

ولكن عددا كبيرا من العلماء رفض هذا التفسير (٣) .

فأعلن الطبرى أنه كره أن يصرح باسم من حكى هذا التفسير عنه – ابن عباس – ووصف رواته بأنهم لا يعتمد على روايتهم ونقلهم (٤) .

ورمى ابن كثير من زعم بأن هذه الحروف دالة على معرفة المدد ، ويستخرج منها أوقات الحوادث والفتن والملاحم ، بأنه قد ادعى ماليس له ، وطار فى غير مطاره . ووصف خبر اليهود بأنه حديث ضعيف ، وهو أدلُّ على بطلان هذا المسلك (٥) .

---

(١) الخواطر ١٠٧ .

(٢) الخواطر ١٠٨ وبعدها إلى ١٣٥ .

(٣) انظر مع من ذكرت : المنار ١٠٣/١ . الرافعى ١٣٩ – ١٤٠ . الصالح ٢٣٧ . عائشة ١٣٣ ، ١٣٧ . أبو زيد ٢١٤ – ٢١٥ .

(٤) جامع ٦٨/١ . عبد التواب ١٧٢ .

(٥) ابن كثير ٣٨/١ . عائشة ١٣٣ . حمادة ١٦٢ .

وقال ابن خلدون : لا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد ، لأن دلالة هذه الحروف على الأعداد ليست طبيعية ولا عقلية ، وإنما هى بالتواضع والاصطلاح . نعم ، إنه قديم مشهور ، وقدم الاصطلاح لا يصير حجة .

وليس أبو ياسر وأخوه حيى ممن يؤخذ رأيه فى ذلك دليلا ، ولا من علماء اليهود ، لأنهم كانوا بادية الحجاز ، غُفْلا من الصنائع والعلوم ، حتى عن علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم . وإنما يتلقفون مثل هذا الحساب كما تتلقفه العوام فى كل ملة [١] .

ونقل السيوطى عن أحمد بن على المعروف بابن حجر العسقلانى أنه قال : هذا باطل لا يعتمد عليه ، فقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عد « أبى جاد » [: حساب الحمل] ، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر . وليس ذلك ببعيد ، فإنه لا أصل له فى الشريعة [٢] .

وقال رشيد رضا : لا يزال يوجد فى الناس – حتى علماء التاريخ واللغات منهم – من يرى أن فى هذه الحروف رموزا إلى بعض الحقائق الدينية والتاريخية ستظهره الأيام .

وأجمل رأيه فى هذا الاتجاه وما يدعمه من أحاديث فقال : أضعف ماقيل فى هذه الحروف وأسخفه أن المراد بها الإشارة بأعدادها فى حساب الجمل إلى مدة هذه الأمة أو مايشابه ذلك . وروى ابن إسحاق حديثا فى ذلك عن بعض اليهود عن النبى ، وهو ضعيف من رواية الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله [٣] .

وقال محمد على الهندى : هذا التأويل ظاهر الخطأ ، واضح النقص والبعد عن الصواب . فإن القيم العددية نفسها أمر مبهم لا يؤدى إلى كشف عن معنى .

---

(١) المقدمة ٨٢٦ .

(٢) معترك ١٥٦/١ الإتقان ١٢/٢ . الصـــالح ٢٣٧ – ٢٣٨ . عبد التواب ١٧٢ . عائشة ١٣٢ . العمرى ١١٣ .

(٣) المنار ١٠٣/١ ، ١٢٣ .

ونحن إذا سلمنا بصحة هذا الرأى فرضا ، فتطبيقه لايمكن إلا فى سورة واحدة من التسع والعشرين . فمثلا يقول أصحاب هذا الرأى : إن ﴿ الم ﴾ التى بدئت بها سورة آل عمران مجموع حروفها فى حساب الجمل (٧١) ، وهى تشير بذلك إلى السنة التى يبلغ فيها الخليفة يزيد بن معاوية قوته التى فيها يتحول مجرى التاريخ . فإذا أردنا تطبيق هذا الرأى على بقية السور لانجده يستقيم معنا ، ولا تسلم لنا النظرية . لهذا لا نستطيع أن نقول إن هذا تأويل وتفسير لهذه الافتتاحات [١] .

أقول : يحسن – قبل أن نستمر – أن نصحح اسم الخليفة إلى عبد الملك بن مروان ، الذى تولى سنة ٦٥ ، أما يزيد فقد مات سنة ٦٤ .

وأضاف د. عبد التواب إلى ماسبق من نقد أن حساب الجمل لم يكن معروفا لدى العرب ، وإنما يتبع هجاء الحروف العربية ترتيبا آخر نعرفه جميعا [الألفبائى] . ويمكن أن تعزى هذه الطريقة فى الحساب إلى الفينيقيين والعبريين والسريان ، الذين تتبعه حروف هجائهم فى ترتيبها .

ولا أتفق معه ، لأن الترتيب الألفبائى لم يوجد عند العرب إلا فى العهد الأموى بعد نقط الحروف للتمييز بينها ، وأما الترتيب فكان الترتيب الأبجدى الموجود عند جميع الساميين ، وانتقل منهم إلى الشعوب الأوربية .

وقال : د. فاروق حمادة عن خبر اليهود : فهذا الحديث مداره على الكلبى عن أبى صالح ، وهذه السلسلة لا يعول عليها ومخصوصة بمزيد التضعيف [٢] .

وقال د. عدنان زرزور عن حساب الجمل : هو لون من ألوان الرجم بالغيب ، استنبط منه بعضهم زمان وقوع بعض الحوادث ، أو الدلالة على كرامة رجل بعينه وطائفة بعينها ، مما لاتدل عليه هذه الحروف بأصل الوضع اللغوى . وربما كان ما استنبط منها أو حمل عليها يتعارض مع أبسط القواعد القرآنية نفسها [٣] .

---

(١) رسالة ١٩٧/٢ . (٢) مدخل ١٦٢ .

(٣) القرآن ١٤٨ – ١٤٩ .

ويتضح من هذا أن عددًا كبيرا من العلماء استضعف خبر اليهود ، وشك فى رواته ، وأعلن ابن حجر أنه يتناقض مع ماعرف عن ابن عباس ، ورأى الهندى أن حساب الجمل لا يستقيم إلا مع سورة واحدة ، وحتى هذه السورة لا أتفق معه فيها . والتعسف واضح فيما جاء به ابن أبى الإصبع .

* * *

أقسام

عدَّ المفسرون الحروف المقطعة أقساما ، دون أن يبينوا حقيقة هذا الذى أقسم به الله أحيانا ، والإعلان بأنها أسماء لله أحيانا أخرى ، والتصريح بأنها لا يراد بها إلا نفسها أحيانا ثالثة .

نقل القرطبى عن كعب الأحبار أنه قال عن ﴿ يسٓ ﴾ : هو قسم أقسم الله به [(١)] .

وذكر غيره أنه قد روى عن ابن عباس أنها أقسام [(٢)] . وكشف ابن الجوزى أن أبا صالح هو الذى روى هذا التفسير عن ابن عباس [(٣)] .

ونسبه الطبرى إلى عكرمة ، يرويه عنه خالد الحذاء [(٤)] ، والطبرى وابن عطية والقرطبى إلى قتادة وعبد الرحمن بن زيد [(٥)] ، والقرطبى إلى الضحاك والحسن البصرى والكلبى [(٦)] .

وأتى به كثيرون دون نسبة إلى أحد [(٧)] .

---

(١) الجامع ٥/١٥ . الشوكانى ٣٦٠/٣ .

(٢) البغوى ٤٤/١ . الزمخشرى ٩١/١ . ابن عطية ١٣٨/١ . الطبرسى ٣٣/١ . ابن الجوزى ٢٠/١ ، ٢٢ . القرطبى ٥/١٥ . النسفى ٩/١ . الخازن ٢٦/١ ، ٢/٤ ، ١٧٤ .

(٣) زاد ٢٢/١ .

(٤) الطبرى ٦٧/١ . القرطبى ٣٠٤/٨ . وانظر ابن الجوزى ٢٠/١ ، ٢٢ . ابن كثير ٣٦/١ .

(٥) جامع ١١/١٩ ، ١١/٢٩ . المحرر ٢٧١/١٢ . الجامع ٣٠٤/٨ ، ٢٢٤/١٨ .

(٦) الجامع ١٥٦/١ ، ٣٠٤/٨ ، ١٤٣/١٥ . العدل ١٣ .

(٧) الفراء ٧٥/٣ . تأويل ابن قتيبة ٢٣٠ - ٢٣٢ . الزمخشرى ٣٥٩/٣ . الكرمانى ٢١ . الرازى ١٩٢/٢٧ ، ٢٣٦ ، ٢٥٦ ، ٧٧/٣٠ . القرطبى ٦١/١٦ . الخازن ٣٠/٤ . ابن جزى ٦٠/١ البيضاوى ١٣/١ . الزركشى ١٧٣/١ . أبو السعود ٢٤/١ . الآلوسى ٢٠٣/١١ . المنار ٢٦٤/٨ . صبيح ١٥٠ . غلاب ٣٨ . شرف ٤٥ . عبد التواب ١٧٤ . إسماعيل ٢٦٥ . العمرى ١١٢ . شحاتة ٨٥ . خليف ٨٠ . العدل ١٦ .

وروى الطبرى عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس : ﴿ الم ﴾ قسم أقسم الله به ، وهو من أسمائه . وكذلك فى ﴿ المص ﴾ و﴿ كهيعص ﴾ وغيرهما [(١)] .

ونسب بعض الكتاب هذا القول إلى عكرمة والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب والسدى [(٢)] . وأتى به بعضهم دون نسبة [(٣)] .

وعلل الأخفش الأوسط الحلف بالحروف لذاتها ، فقال : إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها ، لأنها مبانى كتبه المنزلة ، ومبادئ أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأصول كلام العرب ، بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه [(٤)] . واتبعه فى هذا الرأى الزركشى [(٥)] ود. عبد الله شحاتة [(٦)] .

وأجاز ابن قتيبة القسم بالحروف المقطعة كلها ، وإنما اقتصر القرآن على ذكر بعضها كما يقول القائل : تعلمت ا ب ت ث ، وهو يريد سائر الحروف ، وكما يقول : قرأت ﴿ الحمد ﴾ ، يريد فاتحة الكتاب ، فيسميها بأول كلماتها [(٧)] .

واتفق معه الطبرى فى الدفاع عن القسم بالحروف المقطعة ، فقال : لاشك

---

(١) جامع ٦٧/١ ، ٨٥/٨ ، ٣٥/١٦ . وانـــظر ١٠٣/١٦ ، ٣٧/١٩ ، ٨١ ، ٩٧/٢٢ ، ٧٥/٢٣ ، ٢٦/٢٤ ، ٩٣/٢٦ . الطوسى ٤٧/١ . ابن عطية ١٣٨/١ ، ١٤١ . الطبرســى ٣٣/١ . القرطبى ١٦٦/١١ ، ٨٨/١٣ ، ٣/١٥ ، ٥ ، ١٤٣ ، ٢٨٩ ، ١٢/١٧ . الخـــــازن ٢٠٨/٢ ، ٣٩٣/٣. ابن كثير ٣٦/١ . الإتقان ١١/٢ ، ١٤ . الشوكانى ٣٢/١ . الآلوسى ٧٤/٨ ، ٥٧/١٦ ، ١٤٨ . فودة ٢٧٢ .

(٢) الطبرسى ٣٣/١ . القرطبى ١٤٣/٥/١٥ .

(٣) شرف ٤٥ - ٤٦ . غلاب ٣٨ .

(٤) البغوى ٤٤/١ . تأويل ابن قتيبة ٢٣١ . الطبرســى ٣٣/١ . ابن الجوزى ٢٠/١ . الرازى ٧/٢ ، ٩ ، ١٤٦/٢٨ . القرطبى ١٥٦/١ . الخازن ٢٦/١ . البيضاوى ١٣/١ . أبو السعود ٢٤/١ . الآلوسى ٢٠٣/١١ . الزرقانى ٢٢٢/١ . إسماعيل ٢٦٥ . العمرى ١١٢ . شحاتة ٨٥ ، ٨٩ . خليف ٨٠ .

(٥) البرهان ١٧٣/١ . العمرى ١٢ .

(٦) علوم ٨٩ .

(٧) ابن الجوزى ٢٠/١ . الرازى ٧/٢ . الخازن ٢٦/١ . ابن كثير ٣٧/١ .

فى صحة معنى القسم بالله وأسمائه وصفاته ، لأن هذه الحروف كانت عنده كذلك [(١)] .

وتحرز الرازى فأعلن أنه قد ثبت أن الحلف لا يصح بهذه الحروف وما ماثلها من ظواهر ، بل الحلف بإله هذه الأشياء ، فيكون التقدير : ورب حم ، ورب الكتاب المبين [(٢)] .

ثم أدار حول هذا القسم خمسة مباحث :

الأول : القسم من الله وقع بأمر واحد ، كما فى قوله تعالى ﴿ والعصر ﴾ وقوله تعالى ﴿ والنجم ﴾ وبحرف واحد ، كما فى قوله تعالى ﴿ ص ﴾ و﴿ ن ﴾ . ووقع بأمرين ، كما فى قوله تعالى : ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ وفى قوله تعالى ﴿ والسماء والطارق ﴾ وبحرفين ، كما فى قوله تعالى ﴿ طه ﴾ و﴿ طس ﴾ ، وبثلاثة أمور ؛ كما فى قوله تعالى ﴿ والصافات ، فالزاجرات ، فالتاليات ﴾ وبثلاثة أحرف ، كما فى ﴿ الم ﴾ وفى ﴿ طسم ﴾ و﴿ الر ﴾ وبأربعة أمور ، كما فى ﴿ الذاريات ﴾ و﴿ البروج ﴾ و﴿ التين ﴾ وبأربعة أحرف ، كما فى ﴿ المص ﴾ و﴿ المر ﴾ وبخمسة أمور ، كما فى ﴿ الطور ﴾ و﴿ المرسلات ﴾ و﴿ النازعات ﴾ و﴿ الفجر ﴾ وبخمسة أحرف ، كما فى ﴿ كهيعص ﴾ و﴿ حمعسق ﴾ . ولم يقسم بأكثر من خمسة أشياء إلا فى سورة واحدة وهى ﴿ والشمس وضحاها ﴾ ولم يقسم بأكثر من خمسة أصول ، لأنه يجمع كلمة الاستثقال ، ولما استثقل حين ركب لمعنى ، كان استثقالها حين ركب من غير إحاطة العلم بالمعنى أو لا لمعنى كان أشد .

البحث الثانى : عند القسم بالأشياء المعهودة ، ذكر حرف القسم وهى الواو ، فقال : ﴿ والطور ، والنجم ، والشمس ﴾ وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم ، لأن القسم لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسما به . فلم يورده فى موضع كونه آلة القسم تسوية بين الحروف .

---

(١) جامع ٧٣/١ .

(٢) مفاتيح ٢٣٦/٢٧ - ٢٣٧ .

البحث الثالث : أقسم الله بالأشياء : كالتين والطور ، ولم يقسم بأصولها ، وهى الجواهر الفردة والماء والتراب . وأقسم بالحروف من غير تركيب ، لأن الأشياء عنده يركبها على أحسن حالها ، وأما الحروف إن ركبت بمعنى ، يقع الحلف بمعناه لا باللفظ ، كقولنا ﴿ والسماء والأرض ﴾ وإن ركبت لا بمعنى ، كان المفرد أشرف ، فأقسم بمفردات الحروف .

البحث الرابع : أقسم بالحروف فى أول ثمانية وعشرين سورة ، وبالأشياء التى عددها عدد الحروف . وهى غير (والشمس) فى أربع عشرة سورة ، لأن القسم بالأمور غير الحروف وقع فى أوائل السور وفى أثنائها ، كقوله تعالى ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ والقسم بالحروف لم يوجد ولم يحسن إلا فى أوائل السور ، لأن ذكر مالا يفهم معناه فى أثناء الكلام المنظوم المفهوم يخل بالفهم ، ولما كان القسم بالأشياء له موضعان والقسم بالحروف له موضع واحد جعل القسم بالأشياء فى أوائل السور على نصف القسم بالحروف فى أوائلها .

البحث الخامس : القسم بالحروف وقع فى النصفين جميعاً بل فى كل سُبع ، وبالأشياء المعدودة لم يوجد إلا فى النصف الأخير بل لم يوجد إلا فى السبع الأخير غير والصافات ، وذلك لأن القسم بالحروف لم ينفك عن ذكر القرآن أو الكتاب أو التنزيل بعده إلا نادرًا . ولما كان جميع القرآن معجزة مؤداة بالحروف وجد ذلك عاماً فى جميع المواضع ولا كذلك القسم بالأشياء المعدودة [1] .

وأورد القرطبى اعتراضات على القول بأن هذه الحروف أقسام ثم فندها . فقال : رد بعض العلماء هذا القول فقال : لا يصح أن يكون قسما لأن القسم معقود على حروف مثل إنّ وقد ولقد وما ، ولم يوجد هاهنا حرف من هذه الحروف ؟

---

(١) مفاتيح ١٤٦/٢٨ - ١٤٧ .

والجواب أن يقال : موضع القسم قوله تعالى : ﴿ لاريب فيه ﴾ . فلو أن إنسانا حلف فقال : والله : هذا الكتاب لاريب فيه ، لكان الكلام سديدا ، وتكون « لا » جواب القسم . فثبت أن قول الكلبى وماروى عن ابن عباس سديد صحيح [١] .

وعد د. عبد التواب هذا الرأى ليس بشىء ، لأنه فات أصحابه أن القسم له أدوات معينة ، مثل الواو والباء وغيرهما ، ولا توجد هنا إحدى هذه الأدوات [٢] .

* * *

(١) الجامع ١/١٥٦ ، العدل ١٣ - ١٤ .
(٢) حول ١٧٤ .

أسماء الله

نقل القرطبى عن عكرمة : قال النبى - ﷺ - : ﴿ حم ﴾ اسم من أسماء الله ، وهى مفاتيح خزائن ربك (١) .

ونقل عن على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس أن الحروف المقطعة فى القرآن اسم من أسماء الله (٢) .

وروى الطبرى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية أنه قال فى ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ : ليس منها حرف إلا وهو اسم من أسماء الله (٣) . وروى الطبرى وابن كثير عن الشعبى : فواتح السور اسم من أسماء الله . ثم قال ابن كثير : وكذلك قال سالم ابن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدى (٤) . وأضيف إليهم سعيد بن جبير والضحاك وقتادة وزيد بن أسلم ومالك بن أنس (٥) وابن قتيبة (٦) .

وروى الطبرى عن فاطمة بنت على أن أباها كان يقول فى دعائه : ياكهيعص اغفر لى (٧) .

---

(١) الجامع ٢٨٩/١٥ .

(٢) الجامع ٧٤/١١ ، ٥/١٥ . وانظر الطبرى ٣٥/١٦ . الرازى ٥/٢ . ابن كثير ٧٥/٤ ، ١١٤ ، ٢٣٧ . البيضاوى ١٤/١ . النيسابورى ١٢٠/١ . الإتقان ١١/٢ . الآلوسى ١٠٣/١ ، ٥٧/١٦ . شرف ٤٠ .

(٣) جامع ٣٥/١٦ .

(٤) الطبرى ٦٧/١ . ابن عطية ٥٢٤/١٣ . ابن كثير ٣٦/١ .

(٥) الطبرى ٣٣/١٦ . عياض ١٠٦ . الرازى ٥/٢ . القرطبى ١٦٦/١١ ، ٤/١٥ ، ١٤٣ ، ٢٨٩ . الخازن ١٧٤/٤ . ابن جزى ٦٠/١ . أبو حيان ٢٢٤/٦ . ابن كثير ٣٦/١ ، ٥٨٨/٣ ، ٤/ ٧٥ البيضاوى ١٤/١ ، ٣٦ . الزركشى ١٧٥/١ . النيسابورى ١٢٠/١ - ١٢١ . الإتقان ١١/٢ . أبو السعود ٢٤/١ . الشوكانى ٣٦٠/٣ ، ٤١٩ ، ٤٨٠ ، ٥٢٤ . الآلوسى ١٠٣/١ . شرف ٤٠ . الدبل ٦٧ . حمادة ١٦١ ، ١٦٦ . إسماعيل ٢٦٥ . أبو زيد ٢١٥ ، ٢١٩ . العدل ١٦ .

(٦) تفسير ٣٦ .

(٧) الطبرى ٣٥/١٦ . ابن عطية ٤٢٣/٩ . الرازى ٥/٢ . القرطبى ٧٤/١١ . البيضاوى ١٤/١ النيسابورى ١٢٠/١ . الإتقان ١١/٢ . الآلوسى ١٠٣/١ ، ٥٧/١٦ . شرف ٤٠ . غلاب ٤١ .

ولكن ابن عطية علق على هذا الدعاء بأنه يحتمل أن يكون ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ اسما من أسماء الله ، ويحتمل أن يكون على أراد أن ينادى الله بجميع الأسماء التى تضمّنها ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ ، كأنه أراد أن يقول : ياكريم ، ياهادى ، ياعلى ، ياعزيز ، ياصادق : اغفر لى . فجمع هذا كله باختصار فى قوله : يـــا ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [١] .

ونقل عن ابن جبير عن ابن عباس قال : هى حروف ، كل واحد منها إما أن يكون من اسم من أسماء الله ، وإما من نعمة من نعمه : وإما من اسم ملك من ملائكته ، أو نبى من أنبيائه [٢] . ولكن استبعدت د. عائشة هذا التفسير [٣] .

ونقل القرطبى أن أشهب سأل مالكا : هل ينبغى لأحد أن يتسمى بـ ﴿ يسٓ ﴾ ؟ فقال : ما أراه ينبغى ، لقول الله : ﴿ يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ يقول : هذا اسمى يس [٤] .

وعقب ابن العربى على هذا القول قائلا : هذا كلام بديع وذلك أن العبد يجوز له أن يتسمى باسم الرب ، إذا كان فيه معنى منه ، كقوله : عالم وقادر ومريد ومتكلم . وإنما منع مالك من التسمية لأنه اسم من أسماء الله ، لا يدرى معناه . فربما كان معناه ينفرد به الرب ، فلا يجوز أن يقدم عليه العبد .

فإن قيل : فقد قال الله : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ [سورة الصافات : ١٣٠] ؟

قلنا : ذلك مكتوب بهجاء ، فيجوز التسمية به . وهذا الذى ليس بمتهجّى هو الذى تكلم مالك عليه ، لما فيه من الإشكال [٥] .

وقال القاضى عياض فى ﴿ ق ﴾ : اسم لله [٦] .

---

(١) المحرر ٤٢٤/٩ .
(٢) المحرر ١٤٠/١ . الشوكانى ٢٩/١ .
(٣) الإعجاز ١٢٩ ، ١٣٧ .
(٤) جامع ٤/١٥ . الإتقان ١١/٢ .
(٥) جامع ٤/١٥ .
(٦) الشفا ٣٤/١ .

وذكر ابن كثير أنه قد قيل فى تفسير ﴿ حم ﴾ : اسم من أسماء الله .. وقد روى فى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى ، من حديث الثورى عن أبى إسحاق عن المهلب بن أبى صفرة قال : حدثنى من سمع رسول الله يقول : « إن بيّتم فقولوا : حم ، لا يُنصَرون » . وهذا إسناد صحيح [١] . وأعلن ابن الأثير أن معنى الحديث : اللهم لا ينصرون [٢] .

وروى الزركشى : يقال : إن ﴿ حم ﴾ اسم من أسماء الله ، أُضيفت هذه السورة إليه ، كما قيل : سور الله ، لفضلها وشرفها ، وكما قيل : بيت الله [٣] .

وخالف ابن جنى كل من سلف ، إذ استدل بقراءة ابن مسعود وابن عباس فاتحة سورة الشورى ﴿ حم سق ﴾ بدون عين أنها ليست من أسماء الله لأن الأعلام لا تحرف [٤] .

* * *

(١) التفسير ٧٥/٤ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٤٤٦/١ .

(٣) البرهان ١٤٨/١ .

(٤) المحتسب ٢٤٩/٢ . الإتقان ١٤/٢ .

الاسم الأعظم لله

وصرحت أقوال أخرى بأن هذه الحروف هى الاسم الأعظم للذات الإلهية روى الطبرى عن محمد بن المثنى ، عن أبى النعمان ، عن شعبة ، عن السدى ، عن مرة الهمدانى ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه قال عن هذه الحروف : هى اسم الله الأعظم (١) . ووصف السيوطى هذا السند بالصحة (٢) .

ونسب بعض العلماء هذا القول إلى على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس (٣) . وقصره بعضهم على ابن عباس وحده (٤) ، وبعضهم على سعيد بن جبير أو قتادة أو الشعبى أو السدى أو أكثر من واحد منهم (٥) ، وأتى به بعضهم الآخر دون إسناد إلى أحد (٦) .

وفسر أبو حامد الغزالى الاسم الأعظم بأنه الحى القيوم ، وقال : يشهد له ورود الخبر بأن الاسم الأعظم فى آية الكرسى وأول آل عمران (٧) .

ولكن القرطبى فسره بأنه الاسم الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دُعى به أجاب (٨) . وهو تفسير أكثر ملاءمة لما نحن فيه ، أخذه القرطبى من قول على الذى يرد فى صفحة ٨٤ .

---

(١) ابن مسعود ١٧/١ . الطبرى ٦٧/١ . الطوسى ٤٧/١ . النسفى ٩/١ . ابن كثير ٣٦/١ . الشوكانى ٣٢/١ .

(٢) معترك ١٥٦/١ . الإتقان ١١/٢ .

(٣) ابن عطية ١٣٨/١ . القرطبى ١٥٥/١ . ابن كثير ٣٦/١ . الشوكانى ٢٩/١ . فودة ٢٧٢ . العدل ١٢ .

(٤) الطبرى ٦٧/١ . القرطبى ٢٨٩/١٥ . الخازن ٦٥/٤ ، ٧٢ . الإتقان ١١/٢ . الآلوسى ٥٧/١٦ .

(٥) الطوسى ٤٧/١ . البغوى ٤٤/١ . القرطبى ٧٤/١١ ، ١٤٣/١٥ . ابن كثير ٣٦/١ . عائشة ١٢٨ ، ١٣٧ .

(٦) القرطبى ٨٨/١٣ . الخازن ٢٠٩/٢ . النيسابورى ٢٤/٢٤ . الصالح ٢٤١ . غلاب ٣٨ .

(٧) جواهر ٥٨ . وانظر سورة البقرة ٢٥٥ ، آل عمران ٢ .

(٨) جامع ٧٤/١١ .

واستطرد ابن عطية بعد ماعزا القول بأن الحروف المقطعة اسم الله الأعظم إلى على وابن عباس ، فذكر أنهما قالا بعد ذلك : إلا أنا لا نعرف تأليفه منها [١] .

واستهوى هذا الرأى الدكتور محمد غلاب فاعتنقه وأبعد قائلا : « إن هذه الفواتح رموز لأسماء إلاهية ، لها أسرار خفية ، ذات خواص خطيرة ، ترتبط بدورة الكواكب فى محاورها وعلائقها بالأنظمة الكونية والسنن الناموسية وحظوظ أهل الأرض وغيرهم ممن عسى أن يكونوا على الكواكب الأخرى . وإن من تتيح له الأقدار معرفة شيء من هذه الأسرار يوكل إليه التصرف فى شيء من تلك الأنظمة ، ويظفر بجانب من المساهمة فى تسيير الحظوظ والمصاير إلى غاياتها المحتومة تنفيذا لتقدير العزيز العليم .. » [٢] .

وذهب عبد الجبار شرارة إلى أن هذا الاسم محجوب عنا ، لا سبيل لأحد إلى معرفته . ونقل عن بعض مفسرى الشيعة أنه لا يقدر على تأليفه منها إلا النبى والإمام ، وأن هذا الاسم إذا دعا به النبى استجاب الله دعاءه [٣]

ورفض د. رمضان عبد التواب هذا التفسير ، اعتمادا على أن معظم الروايات القائلة به تنسب إلى ابن عباس ، وإلى أن فكرة اسم الله الأعظم هذه غريبة عن روح الإسلام ، لا تُعرف فى أى مكان سوى هذا الموضع ، ولم ترد لا فى قرآن ولا فى حديث ، وإلى أننا نسمع المسيحيين يحلفون فى مصر أحيانا فيقولون : « واسم الله الأعظم » وتساءل : هل هذه عادة قديمة للمسيحيين فى الشرق ، على الأقل ، تأثرت بها الروايات الإسلامية . وعلى كل حال ، فهذا الرأى - عندى - لا يقدم حلا للمشكلة بقدر ما يزيدها إبهاما وغموضا [٤] .

* * *

(١) المحرر ١٣٨/١ . عبد التواب ١٦٩ . العدل ١٢ .

(٢) نظرات ٤٤ . شرارة ١٩ .

(٣) الحروف ١٩ .

(٤) حول ١٦٩ .

اختصارات من أسماء الله

قال السيوطى : أخرج أحمد بن موسى الأصبهانى المعروف بابن مَرْدُوَيه من طريق يوسف بن عطية قال : سئل محمد بن السائب الكلبى عن ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ ، فحدّث عن أبى صالح عن أم هانىء بنت أبى طالب أن رسول الله - ﷺ - قال فيها : كافٍ ، هادٍ ، أمين ، عالم ، صادق (١) .

وإذا انتقلنا إلى الصحابة مَثَل أمامنا عبد الله بن مسعود الذى روت كتب التفسير حديثه وأحاديث غيره من المفسرين فى عبارات تختلف لفظا وتتفق مدلولاً » وأتتبعها فيما يلى :

(الاشتقاق)

نقل الطبرى عن مرة بن شراحيل الهمدانى عن ابن مسعود ، وعن أبى صالح عن عبد الله بن عباس ؛ وعن ناس من أصحاب النبى - ﷺ - قالوا فى ﴿الٓمٓ﴾ : حرف اشتق من حروف هجاء اسم الله (٢) .

ونقل السيوطى عن عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن أبى حاتم عن سعيد ابن جبير فى (حم) : حاء اشتقت من الرحمن ، وميم اشتقت من الرحيم (٣) .

(الافتتاح)

نقل ابن كثير خبر الطبرى بأسانيده نفسها مع تغيير فى العبارة إلى : حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله (٤) . ونقل الرازى عن سعيد بن جبير فى (طه) : هو افتتاح اسمه الطيب ، الطاهر ، الهادى (٥) .

---

(١) الإتقان ٢/١٠ . الآلوسى ١٦/٥٧ . الصالح ٢٤٠ . عبد التواب ١٦٨ . ولا يرضى كثيرون عن أبى صالح والكلبى .

(٢) تفسير ابن مسعود ١٧ . الطبرى ١/٦٧ - ٦٨ . الشوكانى ١/٣٢ .

(٣) الإتقان ٢/١١ .

(٤) ابن كثير ١/٣٦ .

(٥) مفاتيح ٢٢/٣ . النيسابورى ١٦/٧٨ .

ودفعت أمثال هذه الروايات جماعة من المفسرين إلى التعبير عن مواقف من تبع ابن مسعود وابن عباس ، مثل أبى العالية رُفيع بن مهران وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظى وعطاء الخراسانى بأن يقولوا : هذه الحروف افتتاح أسماء الله .

روى القرطبى عن أبى العالية وعطاء فى (ن) : هو افتتاح اسمه نصير ، ونور ، وناصر [١] .

وروى عن سعيد بن جبير فى (طه) : الطاء افتتاح اسمه طاهر وطيب ، والهاء افتتاح اسمه هادٍ [٢] .

(التقطيع)

روى السيوطى عن إسناد الطبرى وابن كثير التعبير الآتى فى تفسير ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ : هو هجاء مقطع ، الكاف من الملك ، والهاء من الله ، والياء والعين من العزيز ، والصاد من المصور [٣] .

وذكر ابن الجوزى أنها حروف من أسماء ، فإذا أُلِّفت ضربا من التأليف كانت اسما من أسماء الله . ونقل عن على بن أبى طالب : هى أسماء مقطعة ، لو علم الناس تأليفها ، علموا اسم الله الذى إذا دُعى به أجاب [٤] .

وروى القرطبى عن ابن مسعود وابن عباس : الر ، وحم ، ون حروف الرحمن مقطعة [٥] . وتردد اتخاذ الرحمن مثلا عند معظم من قال هذا القول ، مثل سعيد ابن جبير وسالم بن عبد الله والسدى والشعبى والمفسرين [٦] .

---

(١) الجامـــع ٢٢٤/١٨ . وانظر ١٦٦/١١ ، ٢٨٩/١٥ ، ١٣/١٧ ، ٢٢٤/١٨ . الخازن ٤/ ٦٥، ٧٢ . ابن كثير ٣٦/١ . النيسابورى ٧٨/١٦ .

(٢) الجامع ١٦٦/١١ .

(٣) الإتقان ١٠/٢ . الآلوسى ٥٧/١٦ . وانظر المنار ٢٦٤/٨ .

(٤) زاد ٢٠/١ . ابن عطية ١٣٨/١ . القرطبى ١٥٥/١ . الصالح ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٥) الجامع ١٥٤/١ ، ٣٠٤/٨ ، ٢٨٩/١٥ ، ٢٢٤/١٨ . ابن عطية ٩٤/٧، ٢٣٣ ، ٣/١٣ ، ٢٥/١٥ .

(٦) الطبرى ٦٨/١ ، ٨٥/٨ ، ٥٧/١١ ، ٢٦/٢٤ ، ١٠/٢٩ . البغوى ١٧٢/٣ . ابن عطية =

(التبعيض)

أورد ابن قتيبة تفسير ابن عباس لمطلع سورة مريم كما يلى : الكاف من كاف ، والهاء من هاد ، والياء من حكيم ، والعين من عليم ، والصاد من صادق [١] .

وقال ابن عطية : قال ابن عباس وابن جبير والضحاك : هى حروف دالة على أسماء من أسماء الله ، الكاف من كبير . وقال ابن جبير أيضا : هى من كافٍ . وقال أيضا : هى من كريم .

واستطرد ابن عطية : فمقتضى أقواله أنها دالة على كل اسم فيه كافٌ من أسماء الله . قالوا : والهاء من هاد ، والياء من عليّ ، وقيل : من حكيم . قال ابن عباس : والعين من عزيز ، وقيل من عليم ، وقيل : من عَدْل ؛ والصاد من صادق [٢] .

ونقل الطبرى عن سعيد بن جبير أنه قال : كاف من كريم ، ياء من حكيم ، وعين من عالم [٣] .

ونسب مثل هذا القول إلى مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب القرظى والسدى والربيع بن أنس والكلبى وجعفر بن محمد الصادق [٤] .

= ٤٢٢/٥ ، ٩٤/٧ ، ٢٣٣ ، ٣/١٣ . ابن الجوزى ٢٠/١ . الرازى ٦/٢ ، ١٤/١٤ ، ٣/١٧ ، ٣٠/ ٧٧ . الخازن ٢٠٨/٢ ، ١٧٢/٣ ، ٦٥/٤ ، ٢٩٣ . أبو حيان ١٢١/٥ . ابن كثير ٣٠٧/٨ . النيسابورى ١٢١/١ ، ٥٦/٨ ، ٤٧/١١ . معترك ١٥٦/١ . الإتقان ١٠/٢ - ١١ . الشوكانى ٣٢/١ الآلوسى ٥٨/١١ . صبيح ١٠٠ . الزرقانى ٢٢٥/١ . غلاب ٤٣ . الصالح ٢٣٩ . شرف ٤٠ ، ٦٠ عائشة ١٣٧ . زرزور ١٤١ . فودة ٢٧٢ .

(١) تأويل ٢٣٠ . الطبرسى ٣٢/١ . الرازى ١٧٩/٢١ . القرطبى ١٥٦/١ ، ٧٤/١١ . الإتقان ١٠/٢ . الآلوسى ٥٧/١٦ . فودة ٢٧٢ .

(٢) المحرر ٤٢٣/٩ . الطبرسى ٣٢/١ .

(٣) جامع ٢/١٦ ، ٣٣ - ٣٤ .

(٤) الطبرى ٣٤/١٦ ، ٢٦/٢٤ . ابن عطية ١٦٥/١١ ، ٢٥٨ . ٨٨/١٣ . الرازى ١٧٩/٢١ القرطبى ٧٤/١١ ، ٨٨/١٣ ، ٢/١٦ . الخازن ٢٥٦/٣ ، ٩٠/٤ . أبو حيان ٢٢٤/٦ . النيسابورى =

واستخدم السدى ذات مرة كلمة بعض ، عادلا عن (من) التبعيضية ، وقال عن ﴿ المص ﴾ : هو بعض اسمه تعالى المصور [١] .

وتبعه الرازى فسمى هذه الحروف أبعاض أسماء الله [٢] .

(التعبير المباشر)

روى عن ابن عباس وحده عدة تعبيرات غير مامر . فقد قنع فى بعض أقواله بإيراد الحرف متلوا بمعناه مباشرة ، روى سعيد بن جبير عنه أنه كان يقول فى ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ : الكاف كاف كبير ، وفى الهاء : هاد ، والياء ياء يمين ، والعين من عالم ، وصاد صادق [٣] .

وسلك الطبرى وغيره المسلك نفسه مع سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم ومحمد بن السائب الكلبى [٤] .

وروى القرطبى عن الضحاك عن ابن عباس فى (ن) : آخر حرف من حروف الرحمن [٥] .

(المعنى)

نقل القرطبى عن القشيرى عن ابن عباس فى (كهيعص) : معناه كاف لخلقه ، هاد لعباده ، يده فوق أيديهم ، عالم بهم ، صادق فى وعده . ذكره الثعلبى عن مجاهد والضحاك والسدى والكلبى [٦] .

= ٢٨/١٦ ، ٦٠/٢٤ ، ١٠٥/٢٦ . الإتقان ١٠/٢ - ١١ . الآلوسى ٧٤/٨ ، ٥٨/١٩ . الصالح ٢٣٩ . عبد التواب ١٦٧ . شحاتة ٨٥ . حمادة ١٦١ . زرزور ١٤١ . أبو زيد ٢١٥ .

(١) الخازن ٢٠٨/٢ . وانظر ابن عطية ٤٢٣/٥ . رضا ٢٦٤/٨ .

(٢) مفاتيح ٥/٢ - ٦ .

(٣) الطبرى ٣٣/١٦ - ٣٥ . الإتقان ١٠/٢ .

(٤) جامع ٣٣/١٦ - ٣٥ . النيسابورى ١٢١/١ . القرطبى ٧٤/١١ . الإتقان ١٠/٢ . الآلوسى ٥٧/١٦ . الصالح ٢٣٩ . العدل ١١ .

(٥) الجامع ٢٢٤/١٨ . الرازى ٧٧/٣٠ .

(٦) الجامع ٧٤/١١ .

ونقل الآلوسى عن السدى فى (المص) : معنى ذلك المصور [١] . وكذا قال السيوطى دون أن يعزو القول إلى السدى [٢] .

(الدلالة)

وذكر الرازى أن ابن عباس عدّ هذه الحروف دلالات على أسماء الله وصفاته ، أى أنها حروف دالة على أسماء أُخذت منها وحذفت بقيتها . وروى عنه : الكاف يدل على كونه كافيا ، والهاء يدل على كونه هاديا ... [٣] .

وصرح الطبرى بأن كل حرف منها دل على اسم من أسمائه ، وصفة من صفاته ، كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه [٤] .

(الإشارة)

وذكر الرازى أن ابن عباس عدَّ هذه الحروف إشارات إلى أسماء الله . وروى عنه أنه قال فى ﴿ الم ﴾ : الألف إشارة إلى أنه أحد ، أول ، آخر ، أزلى ، أبدى ؛ واللام إشارة إلى أنه لطيف ؛ والميم إشارة إلى ملك ، مجيد ، منان [٥] .

وتبعه فى هذا التعبير عبد الوهاب حمودة [٦] .

(الحمل)

وذكر الرازى أيضا أن ابن عباس حمل الكاف على الكبير والكريم ، والياء على الكريم مرة ، والحكيم أخرى [٧] .

---

(١) روح ٧٤/٨ .

(٢) الإتقان ١٠/٢ . وانظر حمودة ٢٨٤/٣ .

(٣) مفاتيح ٦/٢ . وانظر القرطبى ١٥٥/١ .

(٤) جامع ١٥/١ . ابن كثير ٣٦/١ . النيسابورى ١٢١/١ . حمودة ٢٨٢/٣ . عائشة ١٢٩ . زرزور ١٤١ . أبو زيد ٢١٥ . العدل ١١ ، ١٣ .

(٥) مفاتيح ٦/٢ ، ٢٠٣/١١ . النيسابورى ١٢١/١ . شقرف ٥٤ . وانظر أبو السعود ٢٤/١ . الآلوسى ٢٠٣/١١ . شرف ٤٠ ، ٤٥ . شحاتة ٨٥ . إسماعيل ٢٦٥ .

(٦) رسالة ٢٨٢/٣ - ٢٨٤ .

(٧) مفاتيح ٦/٢ ، ١٧٩/٢١ .

وتبعه النيسابورى فروى عن ابن عباس مرة : الكاف محمول على الكبير والكريم ، والياء على أنه مجير ، والعين على العزيز والعدل . وأخبر عنه فى مرة أخرى أنه حمل الكاف على الكريم أو الكبير ، والياء على الكريم مرة ، وعلى الحكيم أخرى (١) .

(الأخذ)

وعبر بعض الكتاب عن هذا القول بالأخذ . قال الزركشى : يروى عن ابن عباس أن كل حرف من الحروف المقطعة مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه . فالألف من الله ، واللام من لطيف ، والميم من مجيد (٢) .

(المفاتيح)

واختارت جماعة أخرى أن تصف هذه الحروف بمفاتيح أسماء الله (٣) .

نقلوا عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى ﴿ الم ﴾ ، قال : هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن ، كلها ، ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه ... فالألف مفتاح الله ، واللام مفتاح اسمه لطيف ، والميم مفتاح اسمه مجيد (٤) .

ونقل القرطبى عن محمد بن كعب فى ﴿ ص ﴾ : هو مفتاح أسماء الله : صمد ، وصانع المصنوعات ، وصادق الوعد (٥) .

---

(١) غرائب ١/١٢١ ، ١٦/٢٨ .

(٢) البرهان ١/١٧٣ ، ١٧٥ . الإتقان ٢/١١ . الصالح ٢٣٩ . عبد التواب ١٦٧ . الدبل ٦٧ . العمرى ١١٢ . أبو زيد ٢١٩ .

(٣) البغوى ١/٤٤ . ابن عطية ١٢/٤١٤ . العدل ١١ ، ١٣ .

(٤) الطبرى ١/٦٨ . البغوى ١/٤٤ . الطبرسى ١/٣٣ . القرطبى ١/١٥٥ . الخازن ١/٢٦ ، ٢/٢٠٨ . ابن كثير ١/٣٦ . الزركشى ١/١٧٤ . الإتقان ٢/١٢ . غلاب ٣٨ .

(٥) الجامع ١٥/١٤٣ . وانظر الطبرسى ١/٣٣ . الرازى ٢٦/١٧٤ . القرطبى ١/١٥٥ ، ١١/١٦٦ ، ١٥/١٤٣ . الخازن ١/٢٦ ، ٢/٢٠٨ ، ٤/٣٠ ، ٣٣ ، ١٧٤ ، ١٩٢ ، ٢٩٣ ، ابن كثير ١/٣٦ . أبو حيان ٧/٣٨٣ . الإتقان ٢/١١ . الشوكانى ١/٣٢ ، ٣/٤١٩ . الآلوسى ٢٣/١٦١ . غلاب ١٠٨ . عائشة ١٢٩ . حمادة ١٦١ . فودة ٢٧٢ .

(الاكتفاء)

وسمى الرازى ذات مرة هذا النحو من التعبير بالاكتفاء . قال : إن الاكتفاء من الاسم الواحد بحرف واحد من حروفه عادة معلومة عند العرب . فذكر الله هذه الحروف تنبيها على أسمائه [١] .

(الاختصار)

وعمد من ترجم للمستشرق بلا شير Blachere إلى التعبير اللغوى الصريح ، فأورد أنه قال : إن أدق الأقوال القديمة فى تفسير هذه الحروف هو الذى ينص أنها اختصارات لأسماء إلهية ، وأعلن أن ﴿ الر ﴾ و ﴿ ن ﴾ مثلا اختصار للرحمن [٢] .

(الرمز)

وأتى عبد الوهاب حمودة ود. محمد غلاب بتعبير جديد . ذكر الأول أن السيد محمد على الهندى ذهب إلى أن الطاء ترمز إلى اسم اللطيف ، لأنها الحرف الوسط لهذه الكلمة [٣] . وقال د. غلاب : الألف رمز للفظ الجلالة (الله) ، واللام رمز للّطيف ، والميم رمز للمجيد ، أو أن الألف واللام رمز للفظ الجلالة ، والراء رمز للرحمن ، والميم رمز للرحيم ... وكذلك أعلن البعض أن (ق) رمز لجبل [٤] .

ووافقهما فى هذا التعبير د. حفنى شرف ود. عبد التواب ، ود. عبد الله شحاتة وعبد المنعم محمد شقرف [٥] .

* * *

ويتضح من الأقوال أن بعض الكتاب التزموا أن يذكروا أسانيدها كاملة ،

---

(١) مفاتيح ٩/٢ . الإتقان ١١/٢ . (٢) غلاب ٤٣ .

(٣) رسالة ٢٨٣/٣ .

(٤) نظرات ٣٨ - ٣٩ .

(٥) الخواطر ٤١ . حول ١٧٣ . علوم ٨٥ . علم الجفر ٥٤ .

وبعضهم الآخر وقف بها عند حلقات مختلفة منها . فوصل إلينا القول منسوبا إلى ابن عباس مرة ، وإلى سعيد بن جبير الذى يروى عنه أخرى ؛ وإلى أبى العالية مرة ، وإلى راويته الربيع بن أنس أخرى . بل نسب أحيانا إلى غيرهم من الرواة المتأخرين .

ويتضح أن الرواية بالمعنى كانت سائدة ، بدليل ورود القول الواحد ، بالسند الواحد ، مع اختلافات كثيرة فى الألفاظ .

ويتضح أن هذا التفسير ضم ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول يرى أن هذه الحروف مقتطعة من أحد أسماء الله ، دون أن توجب أن يكون الحرف المقتطع مطلع الاسم أو وسطه أو ختامه .

الاتجاه الثانى يرى أن الحروف الموزعة فى سور متعددة يمكن أن تتجمع فى أسماء محددة . وكان الذى دفعهم إلى هذا الاتجاه شمول (الرحمن) على حروف ﴿الر﴾ و ﴿ حم ﴾ و ﴿ ن ﴾ .

الاتجاه الثالث لا يحدد للحرف الواحد اسما واحدا ، بل يرى أن من الممكن أن يدل على أسماء متعددة تحتوى على هذا الحرف . ويبدو أن أبا العالية أول من ذهب فى هذا الاتجاه فى جلاء .

ويتضح أن الطبرى أول مفسر جمع ماقيل فى سبيل دعم هذا المذهب – القائل بأن الحروف مقتطعة من أسماء الله .

ما يتعلق بالذات الإلهية

ذهبت أقوال أخرى إلى أن الحروف ليست أسماء للذات الإلهية ولا مقتطعة منها ، وإنما هى مقتطعة من أفعال لله .

نقل ابن عطية عن ابن عباس أنها مقتطعة من نعم من نعم الله [١] .

---

(١) المحرر ١٣٩/١ - ١٤٠ .

وروى البيضاوى عن ابن عباس ، أنه قال فى ﴿ الم ﴾ : الألف من آلائه ، واللام من لطفه ، والميم من مجده [١] .

ولكن غيره نسب هذا القول إلى أبى العالية ، رواه عنه الربيع بن أنس ، قال : ليس منها حرف إلاّ وهو فى آلائه وبلائه ... الألف آلاء الله ، واللام لطفه ، والميم مجده [٢] .

ووقف به الطبرى ومن تبعه عند الربيع [٣] . ورواه غيرهم عن محمد بن كعب القرظى ، وسموه « صفات الأفعال » [٤] . وأتى به آخرون دون أن ينسبوه إلى أحد [٥] .

وروى القرطبى عن نافع عن ابن عباس فى ﴿ حم عسق ﴾ قال : الحاء حلمه ، والميم مجده ، والعين علمه ، والسين سناه ، والقاف قدرته ، أقسم الله بها [٦] .

ثم روى عن محمد بن كعب : أقسم الله بحلمه ومجده وعلوه وسناه وقدرته ، ألا يعذب من عاذ بلا إله إلا الله ، مخلصا من قلبه [٧] . وأتى الشوكانى بهذا القول دون نسبة [٨] .

ونقل القرطبى عن محمد بن كعب فى ﴿ طسم ﴾ : أقسم الله بطوله وسنائه وملكه [٩] . وأتى به الخازن دون عزو [١٠] .

---

(١) أنوار ١٣/١ . الزركشى ١٧٣/١ . الشوكانى ٢٩/١ . الزرقانى ٢٢٥/١ . العمرى ١١٢ .

(٢) ابن كثير ٣٦/١ . الإتقان ١٢/٢ . غلاب ٣٨ .

(٣) جامع ٦٨/١ . مفاتيح ٦/٢ . ابن كثير ٣٦/١ . الزركشى ١٧٤/١ .

(٤) البغوى ٤٤/١ . الرازى ٦/٢ . أبو السعود ٢٤/١ . حمادة ١٦٦ . إسماعيل ٢٦٥ .

(٥) الطبرسى ٣٣/١ . الخازن ٣٦/١ . ابن جزى ٦٠/١ . الزركشى ١٧٥/١ . النيسابورى ١٢١/١ . غلاب ١٠٨ . حمادة ١٦٦ . الدبل ٦٧ . أبو زيد ٢١٩ .

(٦) الجامع ٢/١٦ . الخازن ٩٠/٤ . وانظر النيسابورى ٢٢/٢٥ .

(٧) الجامع ٢/١٦ .

(٨) فتح ٥٢٥/٣ .

(٩) الجامع ٨٩/١٣ .

(١٠) لباب ٣٩٣/٣ .

ونقل عنه أيضا فى ﴿ ن ﴾ : أقسم الله بنصره للمؤمنين ، وهو حق [١] .

وروى أبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره ، مسندا إلى على بن موسى الرضا قال : سئل جعفر بن محمد الصادق عن قوله : ﴿ الم ﴾ فقال : فى الألف ست صفات من صفات الله :

١ - الابتداء ، الله هو الأول ، وابتدأ جميع الخلق ، والألف ابتداء الحروف .

٢ - الاستواء ، الله هو العدل الذى لايجور ، والألف مستوٍ فى ذاته .

٣ - الانفراد ، الله فرد ، والألف فرد .

٤ - وعدم الاتصال ، الله بائن - بجميع صفاته - عن خلقه ، وكذلك الألف لا تتصل بالحروف ، والحروف تتصل بها .

٥ - الغنى ، الله غنى عن الخلق غير محتاج إليهم ، وكلهم محتاجون إليه . وكذلك الألف تحتاج الحروف إليها مع عدم حاجتها هى .

٦ - الألفة ، الله سبب ألفة الخلق ، وكذلك تألفت الألف الحروف [٢] .

وروى ابن عطية عن القرظى فى (حم) : أقسم الله بحلمه وملكه [٣] .

وروى القرطبى عن محمد بن عاصم الأنطاكى فى (ق) : هو قرب الله من عباده ، بيانه ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [٤] [سورة ق : ١٦] .

وروى الخازن فى (طه) : قيل : هو قسم ، أقسم الله بطوله وهدايته [٥] .

* * *

---

(١) الجامع ٢٢٤/١٨ .

(٢) الطبرسى ٣٢/١ - ٣٣ . الآلوسى ١٠٣/١ . يبدو أن تحريفا أصاب النص فاختلطت الصفات . واضطررت إلى الاعتماد على نفسى فى الفصل بينها ، ومع ذلك يتضح أنها كانت فى الأصل متداخلة .

(٣) المحرر ٣/١٣ .

(٤) الجامع ٣/١٧ .

(٥) لباب ٥٦/٣ .

ثناء على الله

جعل الرازى الوجه الخامس من وجوه دلالة الحروف المقطعة : أن كل واحد منها دال على اسم من أسماء الله وصفة من صفاته . ثم أورد تفسيرا قاله ابن عباس لـ ﴿ الم ﴾ ثم أعلن أنه قال فى ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ : إنه ثناء من الله على نفسه ، ثم فسر كل واحد من حروفه (١) وأكد ذلك فى تفسيره لسورة مريم (٢) .

ولكنه أفرد فى مرة ثالثة الاسمية عن الثناء : فذكر أن الوجه الخامس عشر لمدلولات هذه الحروف مارواه ابن الجوزى عن ابن عباس : أن هذه الحروف ثناء ، أثنى الله به على نفسه (٣) .

* * *

---

(١) مفاتيح ٦/٢ . شرف ٤١ .

(٢) مفاتيح ١٧٩/٢١ .

(٣) مفاتيح ٧/٢ . النيسابورى ٢٨/١٦ . شرف ٤٣ .

أسماء للنبى

روى القرطبى عن الماوردى عن على بن أبى طالب قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « إن الله تعالى أسمانى فى القرآن سبعة أسماء : محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله » (١) . ونسب النسفى هذا الحديث إلى محمد بن على المعروف بابن الحنفية (٢) .

وروى القاضى عياض عن مكى عن النبى - ﷺ - : « لى - عند ربى - عشرة أسماء ... » وذكر فيها طه ويس (٣) .

وروى عياض عن كعب الأحبار : يس : قسم أقسم الله به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفى عام : قال : يامحمد ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة يس : ٣] ثم قال : ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (٤) .

وروى عياض عن ابن الحنفية : يس : يامحمد ، ووافقه الزجاج (٥) .

ونقل ابن عطية أن سعيد بن حبير قال فى ﴿ يسٓ ﴾ : اسم من أسماء محمد - ﷺ - ودليله ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة يس : ٣] وقوله : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ [سورة الصافات : ١٣٠] وقول السيد الحميرى :

يانفس : لاتمحضى بالود جاهدة   على المودة إلا آل ياسينا (٦)

وجرى على هذا الرأى ابن عساكر (٧)

وكذا ذكر ابن عطية أن (طه) اسم لمحمد (٨)

---

(١) جامع ٥/١٥ . عياض ٢٣٢/١ .

(٢) النسفى ٢/٤ .

(٣) الشفا ٣٢/١ ، ٢٣١ . القرطبى ١٦٦/١١ ، ٤/١٥ . وانظر الإتقان ١٣/٢ .

(٤) الشفا ٣٢/١ . القرطبى ٥/١٥ .

(٥) الشفا ٣٢/١ . القرطبى ٥/١٥ .

(٦) المحرر ٢٧٠/١٢ . القرطبى ٤/١٥ . الشوكانى ٣٥٩/٣ . وانظر الرازى ٣/٢٢ .

(٧) عياض ٣٢/١ . القرطبى ٥/١٥ . أبو حيان ٢٢٤/٦ . الإتقان ١٣/٢ - ١٤ . الشوكانى ٣٥٥/٣ . الآلوسى ١٤٨/١٦ . شرف ٥٠ .

(٨) المحرر ٢/١٠ .

ونقل عياض عن أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى عن جعفر بن محمد الصادق فى ﴿ يسٓ ﴾ : إن الله أراد ياسيد ، يخاطـــــب بذلك نبيه – ﷺ – [١]

وروى عن أبى بكر الوراق أن معناه : سيد البشر [٢] .

ونقل السيوطى عن الكرمانى أن معناه ياسيد المرسلين [٣] .

ونقل السيوطى عن غرائب الكرمانى فى ﴿طه﴾ : قيل : أى يابدر ، لأن الطاء بتسعة فى الحساب ، والهاء بخمسة ، فذلك أربعة عشر ، إشارة إلى البدر لأنه يتم فيها [٤] .

وذكر الرازى أنه قيل : إن المراد منها : يامطمع الشفاعة للأمة ، وياهادى الخلق إلى الملة [٥] .

وذكر القرطبى أن المراد : ياطاهرا من الذنوب ، ياهادى الخلق إلى علام الغيوب [٦] .

وذكر ابن خلدون أن بعضهم قال : إنه نداء من طاهر وهادٍ وأمثال ذلك [٧] .

ونقل السيوطى عن على بن الحسن المعروف بابن عساكر فى ﴿ ن ﴾ : قيل : هو اسم من أسماء النبى [٨] .

ورفض د . غلاب تفسير ﴿طه﴾ ببدر ، لأنه رأى أن مافيه من تَعمُّل وتحميلٍ للآية مالا تطيق شىء لايخفَى على أحد من ذوى العقليات الراجحة [٩] .

---

(١) الشفا ٣٢/١ . جامع ٣/١٥ . الشوكانى ٣٦٠/٣ . وانظر النسفى ٢/٤ .
(٢) جامع ٣/١٥ . الخازن ٣/٤ . الشوكانى ٣٦٠/٣ .
(٣) الإتقان ١٤/٢ .
(٤) الإتقان ١٤/٢ . الرازى ٣/٢٢ . غلاب ٣٩ .
(٥) مفاتيح ٣/٢٢ .
(٦) الجامع ١٦٦/١١ . النيسابورى ٧٨/١٦ .
(٧) المقدمة ١٠٥٢ .
(٨) الإتقان ١٤/٢ .
(٩) نظرات ٣٩ .

يا إنسان

ونقل القرطبى عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما أن معنى ﴿ يسٓ ﴾ يا إنسان . وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ [سورة الصافات : ١٣٠] أى على آل محمد [١] .

ولم يذكر غير القرطبى ابن مسعود فيمن قال هذا التفسير . وإنما عزاه الطبرى عن عكرمة مرة إلى ابن عباس [٢] ، واقتصر آخرون على عزوه إلى عكرمة [٣] .

وأعلن الطبرى أن ابن عباس صرح بأن الكلمة حبشية الأصل [٤] .

ولكن الزمخشرى أعلن أنه ذكر أنها من لغة طيىء [٥] . ثم علق على هذا القول بما يفيد الشك فيه ، فقال : والله أعلم بصحته . وإن صح ، فوجهه أن يكون أصله يا أُنيسين ، فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره ، كما قالوا فى القسم : مُ اللهِ ، فى أيمن الله [٦] .

ولم ينسب الرازى التفسير إلى أحد ، ووضح كلام الزمخشرى فقال : تقريره هو أن تصغير إنسان : أنيسين ، فكأنه حذف الصدر منه ، وأخذ العجز [٧] .

وأفاض القرطبى فى الحديث عن اللغة التى جاءت منها كلمة ﴿ يسٓ ﴾ فقال : اختلفوا فيه : فقال سعيد بن جبير وعكرمة : هو بلغة الحبشة . وقال الشعبى : هو بلغة طيىء ، والحسن : بلغة كلب . والكلبى : هو بالسريانية ، فتكلمت به العرب فصار من لغتهم [٨] .

---

(١) الجامع ٤/١٥ . الخازن ٣/٤ .

(٢) جامع ٩٧/٢٢ . الزمخشرى ٣١٣/٣ - ٣١٤ . عياض ٣٢/٢ . القرطبى ٥/١٥ . النسفى ١٠٢/٤ . الخازن ٢/٤ . ابن كثير ٥٨٨/٣ . الشوكانى ٣٥٩/٣ - ٣٦٠ . الآلوسى ١٠/٢٢ .

(٣) جامع ١٠٣/١٦ ، ٩٧/٢٢ . ابن كثير ٥٨٨/٣ .

(٤) جامع ٩٧/٢٢ . المحرر ٢٧١/١٢ .

(٥) الكشاف ٣١٣/٣ - ٣١٤ . ابن عطية ٢٧١/١٢ . النسفى ٢/٤ . الخازن ٢/٤ .

(٦) الكشاف ٣١٤/٣ . أبو حيان ٣٢٣/٧ . الآلوسى ٢١٠/٢٢ .

(٧) مفاتيح ٤٠/٢٦ . الآلوسى ٢١٠/٢٢ .

(٨) الجامع ٤/١٥ . ابن كثير ٥٨٨/٣ . الشوكانى ٣٦٠/٣ .

وعزا ابن كثير التفسير إلى الضحاك وسفيان بن عيينة إضافة إلى ابن عباس وعكرمة (١)

وعنى النسفى باللغات التى تنتمى إليها ﴿ طه﴾ فقال : ياإنسان . وقيل : هو بالسريانية ، وقيل : بالقبطية . فعلى هذا يكون قد وافقت العرب هذه اللغات فى هذه الكلمة . وقيل : هو ياإنسان بلغة عك ، قبيلة من قبائل العرب (٢) .

وقال ابن عطية فى تبرير تفسير ابن عباس : ذلك أنهم يقولون : إيسان ، بمعنى : إنسان ، ويجمعونه على أياسين ، فهذا منه (٣) .

ونقل أبو حيان عن ابن عباس رأيين فى أصل ﴿ يسٓ ﴾ ذهب أحدهما إلى أنها كلمة حبشية ، والثانى إلى أنها طائية (٤) .

وذكر أن هناك فرقة قالت : يا حرف نداء ، والسين مقامة مقام إنسان ، انتزع منه حرف السين فأقيم مقامه (٥) .

ثم رفض كلام الزمخشرى قائلا : الذى نقل عن العرب فى تصغيرهم إنسان : (أُنيسيان) ، بياء بعدها ألف ، فدل على أن أصله (أنيسان) ، لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها ، ولا نعلمهم قالوا فى تصغيره (أنيسين) . وعلى تقدير أنه بقية (أنيسين) فلا يجوز ذلك إلا أن يبنى على الضم ولا يبقى موقوفا ، لأنه منادى مقبل عليه . ومع ذلك لايجوز تصغيره ، لأن التصغير تحقير ، ويمتنع ذلك فى حق النبوة ، وماقال فى القسم بـ (م الله) قول ، ومن النحويين من يقول إن (م) حرف قسم وليس مبقى من أيمن (٦) .

ونقل أنه قد قيل فى ﴿ طه ﴾ : بالنبطية (٧) .

---

(١) تفسير ١٥٠/٣ . (٢) النسفى ٢٥٦/٣ .

(٣) المحرر ٢٧١/١٢ . أبو حيان ٣٢٣/٧ .

(٤) البحر ٣٢٢/٧ . الآلوسى ٢١٠/٢٢ .

(٥) البحر ٣٢٢/٧ . الآلوسى ٢١١/٢٢ . حمودة ٢٨١/٣ .

(٦) البحر ٣٢٢/٧ .

(٧) البحر ٢٢٤/٦ .

ونقل الآلوسى عن الخفاجى ردا على أبى حيان قال فيه :

– لزوم البناء على الضم مما لا كلام فيه . ولكن لعل من فسره بذلك يقرؤه بالضم .

وأما الاعتراضان الآخران فلا ورود لهما أصلا :

فأما الأول فلأن من يقول (أنيسيان) على خلاف القياس – وهو الأصح – لا يلزمه فيما غير منه أن يقدره ، كما أنه لم ينطق به حتى يقال : إنك نطقت بما لم تنطق به العرب ، بل هو أمر تقديرى .

وأما الأخير فلأن التصغير فى نحو ذلك إنما يمتنع منا ، وأما من الله فله أن يطلق على نفسه وعظماء خلقه ماأراد ، ويُحمَل حينئذ على مايليق كالتعظيم والتحبيب ونحوه من معانى التصغير .

واعترض الآلوسى على مارواه أبو حيان من أنهم يقولون (إيسان) بمعنى (إنسان) ... قائلا : فهذا منه ، ولا يخفَى أنه يحتاج إلى إثبات ، وبعده لا يخفى مافى التخريج عليه [١] .

وأيد الفرقة التى ذهبت إلى أن ﴿ يسٓ ﴾ مؤلفة من ياء النداء ، وحرف السين المنتزع من كلمة إنسان ، بأن نظير ماقالت ماجاء فى « كفى بالسيف شا » أى شاهدا ، وبما ذهب إليه ابن عباس من أن ﴿ حم عسق ﴾ حروف اختصر كل واحد منها من اسم من أسماء الله [٢] .

* * *

ويتجلى أن محاولتهم إرجاع كلمتى (يس) و(طه) إلى إحدى اللغات لم تصب نجاحا ، وتشعبت بهم كثيرا ، وأن اعتراضات أبى حيان على الزمخشرى وجدت عند الخفاجى والآلوسى من نجح فى إضعافها والرد عليها .

---

(١) روح ٢١٠/٢٢ – ٢١١ .

(٢) روح ٢١١/٢٢ .

ياحبيبى

نقل القرطبى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : ﴿طه﴾ : ياحبيبى ، بلغة عك [١] . وقال قطرب : هو بلغة طيىء [٢] . وأتى الشوكانى بهذا التفسير دون أن ينسبه إلى أحد [٣] .

يارجل

نقل الطبرى عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿طه﴾ يعنى يارجل[٤] . وذكر أنه قال ذات مرة : إن ذلك بالنبطية [٥] ، وفى مرة أخرى بالسريانية [٦] .

ووقف فى مرة ثالثة عند سعيد بن جبير ، وذكر أنه وافق ابن عباس فى معناها ، وفى أنها بالسريانية [٧] . ونقل الرازى عن سعيد : بلسان النبط [٨] ، والنيسابورى : بلسان القبط [٩] . وأخشى أن تكون (القبط) محرفة عن (النبط) .

واكتفى أبو صالح بأن قال : هى معربة [١٠] .

ونقل الطبرى عن ابن جريج عن مجاهد : ﴿طه﴾ : يارجل بالسريانية [١١] .

---

(١) الجامع ١٦٦/١١ .
(٢) القرطبى ١٦٦/١١ .
(٣) فتح ٣٥٥/٣ .
(٤) جامع ١٠٢/١٦ . ابن عطية ٢/١٠ . الرازى ٣/٢٢ . القرطبى ٣/١٥ - ٤ . ابن كثير ١٥٠/٣ . الإتقان ١٣/٢ .
(٥) جامع ١٠٢/١٦ .
(٦) جامع ١٠٣/١٦ . القرطبى ١٦٥/١١ - ١٦٦ . القرطبى ١٦٥/١١ - ١٦٦ .
(٧) جامع ١٠٣/١٦ .
(٨) مفاتيح ٣/٢٢ .
(٩) غرائب ٧٨/١٦ .
(١٠) ابن كثير ١٥٠/٣ .
(١١) جامع ١٠٣/١٦ . القرطبى ١٦٦/١١ .

ونقل الطبرى عن عمارة عن عكرمة : ﴿طه﴾ : يارجل ، كلمة بالنبطية [١] ونقل الرازى عنه : بلسان الحبشة [٢] ، والقرطبى : بالسريانية [٣] .

ونقل الطبرى عن الضحاك مثل مانقل عن عكرمة [٤] .

وروى الفراء عن الحسن : (يس) : يارجل [٥] .

ونقل الطبرى عن الحسن وقتادة : ﴿طه﴾ : يارجل [٦] .

وروى أبو حاتم قال : حدثنا أبو عبيدة : قال أبو طفيلة الحرمازى : (طه) : يارجل . فأنكره يونس ... وقال له : أين سمعت هذا ؟ فقال : بالبادية . فقال له يونس : كذبت ، ألست أخبرتنا أنك قدمت البصرة فى حُطَمة ، فكنت مؤذن عمران القصير عشر سنين ، أو قال : نحوها ؟ أراد أنه سمعها بالبصرة وليست عربية . وقال أبو عبيدة : لاينبغى أن يكون اسما لأن آخره ساكن ، أجرى مجرى الم ، الر ، المص ، كهيعص سواكن ، كأنهن حروف التهجى ، ولو كان هذا النحو اسما لجرى فيه الإعراب [٧] .

ونقل الطبرى عن قتادة : هى بالسريانية [٨] ، والنيسابورى : بالسريانية واليونانية [٩] .

ونقل الرازى عن الكلبى : بلغة عَكّ . وأنشد :

إن السفاهة طه فى خلائقكم   لا قدس الله أرواح الملاعين [١٠]

---

(١) جامع ١٦/١٠٣ .

(٢) مفاتيح ٢٢/٣ . القرطبى ١١/١٦٦ . أبو حيان ٦/٢٢٤ . النيسابورى ١٦/٧٨ . الشوكانى ٣/٣٥٥ .

(٣) الجامع ١١/١٦٦ .

(٤) جامع ١٦/١٠٣ .

(٥) معانى ٢/٣٧١ . القرطبى ١٥/٤ ، ٥ .

(٦) جامع ١٦/١٠٣ . الفراء ٢/١٧٤ . القرطبى ١١/١٦٦ .

(٧) مجاز ٢/١٥ (الحواشى) .

(٨) جامع ١٦/١٠٣ . الرازى ٢٢/٣ .

(٩) غرائب ١٦/٧٨ .

(١٠) مفاتيح ٢٢/٣ . النيسابورى ١٦/٧٨ .

وروى القرطبي : قيل : إنها لغة معروفة في عُكْل ، وقيل : في عك .
قال الكلبي : لو قلت في عك : يارجل ، لم يجب حتى تقول : طه [١] .

ونقل القرطبي عن محمد بن المستنير المعروف بقطرب : هي بلغة طيىء وأنشد البيت الذى أورده الرازى ، ونسبه إلى يزيد بن المهلهل [٢] .

ومال الطبرى إلى هذا التفسير قائلا : الذى هو أولى بالصّواب عندى من الأقوال فيه قول من قال : معناه يارجل ، لأنها كلمة معروفة فى عك ، فيما بلغنى ، وأن معناها فيهم يارجل . أُنشدت لمتمم بن نويرة :

هتفت بطه فى القتال فلم يجب   فخفت عليه أن يكون مُوائلا

فإذا كان ذلك معروفا فيهم ، فالواجب أن يوجّه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه ، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين [٣] .

وعبر الزمخشرى بما يوحى بشكه فقال : والله أعلم بصحة مايقال : إن (طاها) فى لغة عك فى معنى يارجل . ولعل عك تصرفوا فى (ياهذا) كأنهم فى لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا فى (يا) : (طا) ، واختصروا (هاذا) فاقتصروا على (ها) . وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى فى البيت المستشهد به ، يريد بيت ابن المهلهل [٤] .

ونسب الرازى التفسير إلى ابن عباس وسعيد بن جبير ، ومجاهد والحسن والكلبى . ثم قال : لايجوز - إن ثبت على هذا المعنى - إلا فى لغة العرب . إذ القرآن بهذه اللغة نزل . فيحتمل أن تكون لغة العرب فى هذه اللفظة موافقة لسائر اللغات التى حكيناها . فأما على غير هذا الوجه فلا يحتمل ولايصح .

---

(١) الجامع ١٦٥/١١ . أبو حيان ٢٢٤/٦ . الشوكانى ٣٥٥/٣ . الآلوسى ١٤٨/١٦ .
(٢) الجامع ١٦٦/١١ . الشوكانى ٣٥٥/٣ .
(٣) جامع ١٠٣/١٦ .
(٤) الكشاف ٥٢٨/٢ . الرازى ٣/٢٢ . أبو حيان ٢٢٤/٦ . الآلوسى ١٤٨/١٦ .

وقال : اعترض بعضهم على قول الزمخشرى وقالوا : لو كان كذلك لوجب أن يكتب أربعة أحرف (طاها) [١] .

ونسب القرطبى التفسير إلى ابن عباس وسعيد والسدى فقط ، ثم عقب على ماقيل عن أصلها : الصحيح أنها - وإن وُجدت فى لغة أخرى - فإنها من لغة العرب ، وأنها يمنية فى عك وطيىء وعكل [٢] .

ولم ينسب عياض التفسير إلى أحد [٣] .

ونسبه أبو حيان إلى من نسبه الرازى إليهم ، غير أنه حذف منهم الكلبى ، وأضاف إليهم عطاء ، كما أضاف - دون نسبة - أن الكلمة بالعبرانية [٤] .

وتغاضى عن شك الزمخشرى ، ووصف توجيهه بأنه تخرص وحزر على عك بما لا يقوله نحوى . فلا يوجد فى لسان العرب قلب يا التى للنداء طاء ، ولا حذف اسم الإشارة ، وإقرار (ها) التى للتنبيه [٥] .

ونسب ابن كثير التفسير إلى من نسبه أبو حيان إليهم ، ثم أضاف إليهم الضحاك ومحمد بن كعب وعطية بن سعد العوفى وقتادة والسدى والثورى وأبا مالك وابن أبزى . ونسب نبطية الكلمة إلى ابن عباس وسعيد والثورى [٦] .

واتفق على بن أحمد الواحدى والنيسابورى مع الرازى فى نسبة التفسير ، غير أن الأول زاد الضحاك وقتادة ، وزاد الثانى قتادة وحده [٧] .

ونسب الشوكانى القول بنبطية الكلمة إلى سعيد والسدى ، وبطائيتها إلى عكرمة والحسن وقطرب ، وبسريانيتها إلى المهدوى . ثم عقب على هذه

---

(١) مفاتيح ٣/٢٢ .

(٢) الجامع ١٦٦/١١ . أبو حيان ٢٢٤/٦ .

(٣) الشفا ٣٢/١ . لباب ٢٥٦/٣ . حمودة ٢٨١/٣ .

(٤) البحر ٢٢٤/٦ .

(٥) نفسه . الآلوسى ١٤٨/١٦ .

(٦) ابن كثير ١٥٠/٣ .

(٧) غرائب ٧٨/١٦ . الشوكانى ٣٥٥/٣ .

الروايات قائلا : لا مانع من أن تكون هذه الكلمة موضوعة لذلك المعنى فى تلك اللغات كلها إذا صح النقل [١] .

وكرر الشوكانى الحديث مهملا عن أصول هذه الكلمة . فذكر أن بعضهم يقول : هى بلسان الحبشة ، والنبطية ، والسريانية . ويقول الكلبى : هى بلغة عك . وصرح بأن الواحدى روى عن ابن الأنبارى : لغة قريش وافقت تلك اللغة فى هذا المعنى ، لأن الله لم يخاطب نبيه بلسان غير قريش [٢] .

وجاء الشوكانى بمقولة لها أهمية خاصة حين قال : إذا تقرر أنها لهذا المعنى فى لغة من لغات العرب ، كانت ظاهرة المعنى ، واضحة الدلالة ، خارجة عن فواتح السور التى قدمنا بيان كونها من المتشابه فى فاتحة سورة البقرة . وهكذا إذا كانت لهذا المعنى فى لغة من لغات العجم ، واستعملتها العرب فى كلامها فى ذلك المعنى ، كسائر الكلمات الأعجمية التى استعملتها العرب الموجودة فى الكتاب العزيز . فإنها صارت بذلك الاستعمال من لغة العرب [٣] .

ومعنى ذلك أن طه - وأضيف إليها يس - كلمة تامة ، وليست من حروف الهجاء المقطعة . وفعلا تعامل المسلمون معهما على هذا الاعتبار ، فتسموا بهما دون غيرهما من تكوينات الحروف .

وجمع الآلوسى الأقوال فقال : وعن ابن عباس فى رواية جماعة عنه ، والحسن وابن جبير وعطاء ، وهى الرواية الأخرى عن مجاهد : أن المعنى يارجل . واختلفوا : فقيل : هو كذلك بالنبطية ، وقيل : بالحبشية ، وقيل : بالعبرانية ، وقيل: بالسريانية ، وقيل : بلغة عكل ، وقيل : بلغة عك .

وعلّق على قول ابن الأنبارى السالف : لايخفَى أن مسألة وقوع شىء بغير لغة قريش من لغات العرب فى القرآن خلافية . وقد بسط الكلام عليها فى الاتقان ، والحق الوقوع [٤] .

---

(١) فتح ٣٥٥/٣ .
(٢) فتح ٣٥٦/٣ .
(٣) نفسه .
(٤) روح ١٤٨/١٦ .

يافلان .

ونقل ابن كثير عن السدى : معنى ﴿ طه ﴾ : يافلان [١] .

* * *

يتضح أن ﴿ طه ﴾ و ﴿ يس ﴾ دون بقية الحروف أطبق المفسرون – أو كادوا – على أنهما كلمتان تامتان وليستا حروفا مقتطعة ، وإن كان الشوكانى هو الذى نبه على ذلك صراحة . نستنبط ذلك من قولهم إنهما مأخوذتان من هذه اللغة أو تلك .

وإذا أمعنا النظر فى اللغات التى ذكروا أن الكلمتين مأخوذتان منها أمكن أن نجعلها مجموعتين :

مجموعة غير سامية ، تتألف من اليونانية والقبطية .

ومجموعة سامية ، أقسمها إلى فئتين :

فئة شمالية تتألف من العبرية والسريانية والنبطية ،

وأخرى جنوبية تتألف من الحبشية ولهجات القبائل اليمنية .

وغير بعيد أن تكون الكلمتان موجودتين فى إحدى هذه اللغات السامية ، أو فيها جميعها ، أو واحدة منهما فى إحداها والأخرى فى أخرى .

وإذا صح هذا استوى أن يكون معناهما يافلان ، أو ياإنسان ، أو يارجل ، فالمؤدَّى واحد ، والمراد به رسولنا – ﷺ ، ومن ثم جاء التفسير بيا حبيبى .

مايتعلق بالنبى

حكى الرازى عن جعفر بن محمد الصادق فى ﴿طه﴾ : الطاء طهارة أهل البيت ، والهاء هدايتهم [٢] .

وذهب عياض إلى هذا المذهب من التفسير ، غير أنه لم يذكر جعفرا ، ونقل الصفتين من آل البيت إلى شخص الرسول – ﷺ [٣] .

---

(١) ابن كثير ٢٢٤/٦ . الآلوسى ١٤٨/١٦ .

(٢) مفاتيح ٣/٢ ، ٣/٢٢ . النيسابورى ٧٨/١٦ .

(٣) الشفا ٣٢/١ . القرطبى ١٦٦/١١ .

وروى عياض عن ابن عطاء فى ﴿ ق ﴾ : أقسم الله بقوة قلب حبيبه محمد ، حيث حمل الخطاب ، ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله [١] .

وروى فى ﴿ حم عسق ﴾ : قيل : هذا فى شأن النبى - ﷺ - فالحاء حوضه المورود ، والميم ملكه الممدود ، والعين عزه الموجود ، والسين سناه المشهود ، والقاف قيامه فى المقام المحمود ، وقربه فى الكرامة من الملك المعبود [٢] .

وروى الزركشى فى ﴿ المص ﴾ : قيل : أشار بالميم لمحمد ، وبالصاد للصِّدّيق . وفيه إشارة لمصاحبة الصاد الميم وأنها تابعة لها ، كمصاحبة الصديق لمحمد ومتابعته له [٣] .

وروى النيسابورى عن أهل التصوف فى ﴿ حم عسق ﴾ : حاء حبه ، وميم محبوبية محمد ، وعين عشقه ، وقاف قربه إلى سيده . أقسم الله أنه يوحى إليه وإلى سائر الأنبياء من قبله : أنه محبوبه فى الأزل ، وبتبعيته خلق الكائنات [٤] .

* * *

---

(١) الشفا ٣٤/١ . القرطبى ٢/١٧ . الإتقان ١٤/٢ .
(٢) القرطبى ٣/١٦ . الخازن ٩٠/٤ .
(٣) البرهان ١٧٠/١ .
(٤) النيسابورى ٢٢/٢٥ .

أسماء أنبياء وملائكة

نقل ابن عطية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن كل واحد منها إما أن يكون اسم ملك من ملائكة الله أو نبى من أنبيائه [٢] .

واستبعدت د. عائشة هذا التفسير [٣] .

وروى الطبرسى عن ابن عباس أيضا فى ﴿ الم ﴾ : الألف منه تدل على اسم الله ، واللام تدل على اسم جبرائيل ، والميم تدل على اسم محمد [٤] .

وعقب ابن الجوزى على هذا قائلا : فإن قيل : إذا كان قد تُنوول من كل اسم حرفه الأول اكتفاء به ، فلِم أُخذت اللام من جبريل ، وهى آخر الاسم ؟

فالجواب أن مبتدأ القرآن من الله ، فدل على ذلك بابتداء أول حرف من اسمه ، وجبريل انختم به التنزيل والإقراء ، فتنوول من اسمه نهاية حروفه ، ومحمد مبتدأ فى الإقراء ، فتنوول أول حرف فيه [٥] .

ووقف الرازى بهذا القول عند الضحاك بن مزاحم . وأضاف عليه : أى أنزل الله الكتاب : على لسان جبريل ، إلى محمد [٦] .

وعلق الآلوسى على هذا القول قائلا : فى ذلك إشارة إلى سر التثليث [٧] . فعابه محسن عبد الحميد ، وعده من أقبح الأقوال ، وقال : إننا إذا أعطينا المجال

---

(١) المحرر ١/١٤٠ . الشوكانى ١/٢٩ .

(٢) عائشة ١٢٩ ، ١٣٧ .

(٣) الإعجاز ١٣٧ .

(٤) مجمع ١/٣٢ . عياض ١/٣٤ . ابن الجوزى ١/٢٢ . الرازى ٢/٦ . القرطبى ١/١٥٥ . ابن جزى ١/٦٠ . البيضاوى ١/١٣ . أبو السعود ١/٢٤ . شرف ٤١ . إسماعيل ٢٦٥ . العدل ١٣ .

(٥) زاد ١/١٢٢ .

(٦) مفاتيح ٢/٦ ، ٧ . البيضاوى ١/١٣ . أبو السعود ١/٢٤ . الزرقانى ١/٢٢٥ . شرف ٤١ . إسماعيل ٢٦٥ .

(٧) روح ١/١٠٣ .

للتأويل ، وألقينا الحبل على الغارب ، جاء شخص ، فزعم أن التثليث الذى يدعيه النصارى موجود حتى فى القرآن الكريم [١] .

ويبدو أن أبا بكر محيى الدين محمد بن على الحاتمى المعروف بابن عربى الصوفى اعتمد على هذا القول حين قال فى الباب ١٩٨ من كتابه « الفتوحات المكية » : اعلم أن جميع الحروف المقطعة أوائل السور ملائكة . وقد اجتمعت بهم فى بعض الوقائع . وما منهم ملك إلا وأفادنى علما لم يكن عندى فهم فيه . وهم من جملة أشياخى من الملائكة . فإذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه لأنه ثمة رقائق ممتدة من ذواتهم إلى أسمائهم . فإذا قال القارئ : ﴿ الم ﴾ مثلا ، قال هؤلاء الثلاثة من الملائكة : ماتقول ؟ فيقول القارئ مابعد هذه الحروف . فيقولون له : صدقت ، إن كان خيرا ، ويقولون : هذا مؤمن نطق بحق ، وأخبر بحق . فيستغفرون له . وهكذا القول فى ﴿ المص ﴾ ونحوها .

وهم أربعة عشر ملكا ، آخرهم ﴿ ن ﴾ . وقد ظهروا فى منازل القرآن على وجوه مختلفة : فمنازل ظهر فيها ملك واحد ، وهو ص وق ون . ومنازل ظهر فيها اثنان مثل طس ويس وحم ... وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا ، بيد كل ملك شعبة من الإيمان ، فإن الإيمان بضع وسبعون درجة ، والبضع من واحد إلى تسع . فقد استوفى هنا غاية البضع [٢] .

وذهب د. على حلمى موسى فى الصفحة ١٣ من أهرام ١٩٩٣/٣/٣ إلى أن هذه الحروف أسماء أنبياء ، واستدل على ذلك بعقد صلة بين كل فاتحة واسم النبى أو الأنبياء المذكورين فى سورتها . قال : أثبت الإحصاء القرآنى ورود أسماء الأنبياء فى ٤٩ سورة من سور القرآن ، منها ١٨ سورة وردت بها أسماء الأنبياء بكثرة ، وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس وهود ويوسف ومريم وطه والأنبياء والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والصافات

---

(١) الآلوسى ٢٥٥ .

(٢) الشعرانى ٩٩/١ . شقرف ٤٨ .

وص . منها ثلاث مسماة بأسماء الأنبياء ، يونس وهود ويوسف ، وخمس لا تبدأ بحروف ، وعشر إذا رتبت تاريخيا ظهرت فى ثلاث مجموعات كالآتى :

الأولى : ص ، والمص ، وكهيعص .

الثانية : طه ، طسم ، طس .

الثالثة : الم .

وبالدراسة المتأنية نستنتج أن حرف الصاد هو للدلالة على ورود أسماء الأنبياء . ويشير حرف الكاف فى ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ إلى زكريا ، والهاء إلى إبراهيم ، والياء إلى يحيى ، والعين إلى عيسى . ويظهر الهاء فى سورة « طه » رمزا إلى هارون لأنه ورد فى هذه السورة أكثر من أى سورة أخرى .

* * *

أسماء للسور

مر بنا أن النبى – ﷺ – أجاب الأعرابى الذى سأله عن (حم) ، فقال : بدء أسماء وفواتح سور ، فلعل الشطر الأول من الجواب يعنى أنها أسماء للسور (١) .

ولكن التفسير جاءنا صريحا من أبى فاختة سعيد بن علاثة مولى أم هانىء ، الذى ذكر أن الحروف أسماء للسور التى افتتحت بها (٢) .

ووافقه مجاهد وعكرمة والحسن البصرى وقتادة بن دعامة السدوسى وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن وابن جريج والخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه ويونس الجرمى (٣) .

وأتى بهذا القول دون أن ينسبه إلى أحد كثيرون (٤) .

وذكر أبو عبيدة أن صاحب هذا القول احتج بقول شريح بن أوفى العبسى :

يذكرنى حاميم والرمحُ شاجرٌ   فهلّا تلا حاميم قبل التقدم

---

(١) ابن عطية ٤/١٣ . القرطبى ٢٨٩/١٥ . أبو حيان ٤٤٦/٧ . النيسابورى ٢٤/٢٤ .

(٢) ابن الجوزى ٢١/١ .

(٣) الطبرى ٦٧/١ ، ٧٣ . تنزيه ١١ . الطوسى ٤٧/١ . البغوى ٤٤/١ . ابن عطية ١٣٨/١ . الطبرسى ٣٢/١ . ابن الجوزى ٢١/١ . الرازى ٤/١٢ . القرطبى ١٥٦/١ ، ٣٠٤/٨ ، ١١٨/٩ ، ٨٨/١٣ . الخازن ٢٠٨/٢ . ابن كثير ٣٦/١ . الإتقان ١١/٢ . الآلوسى ٢٠٣/١١ . أحمد ٢١١ . حمادة ١٦١ . العدل ١٣ .

(٤) أبو عبيدة ١٩٣/٢ . غريب ابن قتيبة ٣٦ ، وتأويله ٢٣٠ – ٢٣١ . الطبرى ١١/٢٩ . ابن عطية ٤٢٣/٩ ، ٢٧١/١٢ ، ٥٢٤/١٣ . الرازى ١٧٧/١٧ ، ٧٢/١٩ ، ٢٦/٢٧ ، ٩٣ . القرطبى ٧٤/١١ ، ١٦٦ ، ٣٢٣/١٣ ، ٥٦/١٦ ، ٢٢٤/١٨ . الخازن ١٧٢/٣ ، ٣٩٣ ، ٣٠/٤ ، ٣٢ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ١٧٤ ، ١٩٢ ، ٣٩٣ . ابن جزى ٦٠/١ . أبو حيان ٣٨٣/٧ . البيضاوى ١٢/١ . الزركشى ١٧٤/١ ، ٢٤٨ . النيسابورى ١٢٣/١ ، ٢٢/٢٥ . أبو السعود ٢٥/١ ، ٢/٥ . الشوكانى ٣٥٥/٣ – ٣٥٦ . الآلوسى ٩٩/١ ، ٥٩/١١ ، ٥٧/١٦ ، ١٤٨ . المنار ١٠٣/١ ، ١٥٤/٣ ، ٢٦٤/٨ . الزرقانى ٢٢١/١ . صبيح ١٠٠ . الصالح ٢٤١ . حمودة ٢٨١/٣ . غلاب ٣٨ . زرزور ١٤٢ . عبد التواب ١٧٠ . العدل ١١،١٣ .

وقول الكميت بن زيد الأسدى :

وجدنا لكم فى آل حاميم آية تأوَّلها منا تقىٌّ ومُعْرب [(١)]

وأوضح ابن قتيبة هذا القول فقال : فإن كانت أسماء فهى أعلام تدل على ماتدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء وتفرق بينها . فإذا قال القائل : قرأت (المص) أو (ص) أو (ن) دلّ بذاك على ماقرأ ، كما تقول : لقيت محمدا ، وكلمت عبد الله . فهى تدل بالاسمين على العينين [(٢)] . وإن كان قد يقع بعضها مثل (حم) و (الم) لعدة سور ، فإن الفصل قد يقع بأن تقول : حم السجدة ، والم البقرة ، كما يقع الوفاق فى الأسماء ، فتدل بالإضافات وأسماء الآباء والكنى [(٣)] .

ورجح القاضى عبد الجبار كون هذه الحروف أسماء للسور على كونها أسماء لله ، قائلا : الحق إن قوله : (المص) اسم لقب لهذه السورة . وأسماء الألقاب لاتفيد فائدة فى المسميات ، بل هى قائمة مقام الإشارات . ولله أن يسمى هذه السورة (المص) كما أن الواحد منا إذا حدث له ولد فإنه يسميه بمحمد [(٤)] .

وأعلن الزمخشرى أن على هذا القول إطباق الأكثر ، وأن سيبويه جعل عنوان الباب الذى خصصه لها فى حدّ مالا ينصرف « باب أسماء السور » [(٥)] .

---

(١) مجاز ١٩٣/٢ .

(٢) تأويل ٢٣٠ - ٢٣١ . الطبرى ٦٩/١ . البغوى ٤٤/١ .

(٣) تأويل ٢٣١ . الطبرى ٦٩/١ . تنزيه ١١ . الرازى ٩/٢ . الزركشى ١٧٤/١ . المنار ١٢٢/١ . الزرقانى ٢٢١/١ . أحمد ٢١١ . حمادة ١٦١ . زرزور ١٤٢ . شرف ٤٠ . خليف ٨٢ . العدل ١٧ .

(٤) الرازى ١٥/٢ .

(٥) الكشاف ٨٣/١ ، ٢٤٠/٣ ، ٣٥٩ ، ٤٤١ ، ٥٠٨ . النسفى ٩/١ . ابن كثير ٣٦/١ . البيضاوى ١٣/١ . الزركشى ١٧٤/١ . النيسابورى ١٢٠/١ ، ١٢٣ . الشربينى ١٥/١ . أبو السعود ٢٥/١ . الآلوسى ٥٩/١١ ، ٢٠٣ ، ١٦١/٢٣ . صبيح ١٠٠ . شرف ٣٩ . عائشة ١٢٩ ، ١٤١ . أحمد ٢١١ . حمادة ١٦١ . إسماعيل ٢٦٥ . العمرى ١١٣ . خليف ٨٢ . كفافى ١٣٤ . العدل ١١ .

ثم أعلن الزمخشرى : هى فى ذلك على ضربين :

أحدهما : مالا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص والمر .

والثانى : مايتأتى فيه الإعراب . وهو إما أن يكون اسما فردا مثل ص ، وق ، ون ، أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد مثل حم . وطس ، ويس ، فإنها موازنة لقابيل وهابيل .

فالنوع الأول محكى ليس إلا . وأما النوع الثانى فسائغ فيه الأمران : الإعراب والحكاية . قال قاتل محمد بن طلحة السجاد ، وهو شريح بن أوفى العنسى :

يذكّرنى حاميمَ والرمحُ شاجر فهلا تلا حاميمَ قبل التقدم

فأعرب حاميم ومنعها من الصرف . وهكذا كل ماأعرب من أخواتها ، لاجتماع سببى منع الصرف فيها ، وهما العلمية والتأنيث .

والحكاية أن تجىء بالقول – بعد نقله إلى العلمية – على استيفاء صورته الأولى ، كقولك : بدأت بـ « الحمدُ لله » وقرأت سورة « أنزلناها » [1] .

وتصور من يعترض على عد هذه الحروف – عند تعددها فى مفتتح السورة الواحدة – أسماء لها ، ويقول إن القرآن إنما نزل بلسان العرب ، مصبوبا فى أساليبهم واستعمالاتهم ، والعرب لم تتجاوز ماسموا به مجموع اسمين ، ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة . والقول بأنها أسماء السور حقيقة يخرج إلى ماليس فى لغة العرب ، ويؤدى أيضا إلى صيرورة الاسم والمسمى واحدا ، وإنما له محمل سوى ماتذهب إليه ، وأنه نظير قول الناس : فلان يروى (قفانبك) ، و (عفت الديار) ؛ ويقول الرجل لصاحبه : ماقرأت ؟ فيقول ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [سورة الفاتحة : ٢] و ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ [سورة التوبة : ١] و ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ [سورة النساء : ١١] وليست هذه الجمل بأسامى هذه القصائد ، وهذه السور والآى ، وإنما تعنى رواية القصيدة التى ذاك استهلالها وتلاوة السورة أو الآية التى تلك فاتحتها . فلما جرى الكلام على

---

(١) الكشاف ٨٣/١ – ٨٥ . الرازى ١١/٢ .

أسلوب من يقصد التسمية ، واستفيد منها مايستفاد من التسمية ، قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة .

وكان جوابه : التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستكره لعمرى ، وخروج عن كلام العرب ، ولكن إذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت ... فلا استنكار فيها ، لأنها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية ، كما سموا بتأبط شرا ، وبرق نحره ، وشاب قرناها ... وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم ، دلالة قاطعة على صحة ذلك .

وأما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا ، لأنها تسمية مؤلَّف بمفرد ، والمؤلف غير المفرد . ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين إليه كقولهم صاد ، فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا ، حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا [١] .

وأيد الرازى هذا الرأى ، وقال : هو قول أكثر المتكلمين ، واختيار الخليل وسيبويه . ونقل عن عبد الله بن أحمد المروزى المعروف بأبى بكر القفال أن العرب سمت بهذه الحروف أشياء . فسموا بلام حارثة بن لام الطائى ، وكقولهم للنحاس : صاد ، وللنقد : عين ، وللسحاب : غين ، وللحوت : نون ، ولجبل : قاف [٢] .

وأفاض الرازى فى الدفاع عن هذا القول ، وإيراد ماقد يوجه إليه من اعتراضات ، ومايدفع هذه الاعتراضات . وألتقط من هذا الجدل مايلى :

إما أن يكون المراد من هذه الحروف جعلها أسماء الألقاب أو أسماء المعانى .

---

(١) الكشاف ٩٨/١ - ٩٠ . الرازى ٨/٢ - ١١ . إسماعيل ٢٦٦ .

(٢) مفاتيح ٥/٢ ، ١٧٤/٢٦ ، ٧٧/٣٠ . الزركشى ١٧٤/١ . النيسابورى ١٢٠/١ ، ١٢٣ . شرف ٣٩ . العمرى ١١٣ .

والثانى باطل لما يأتى :

١ - أن هذه الألفاظ غير موضوعة فى لغة العرب لهذه المعانى التى ذكرها المفسرون ، فيمتنع حملها عليها ، لنزول القرآن بلغة العرب .

٢ - أن المفسرين ذكروا وجوها مختلفة . وليست دلالة هذه الألفاظ على بعض ماذكروه أولى من دلالتها على الباقى . فإما أن يحمل على الكل ، وهو متعذر بالإجماع ، أو لايحمل على شىء منها .

واعترض على هذا بأنه لانزاع فى أنها وحدها غير موضوعة لشىء . ولكن لم لايجوز أن يقال : إنها مع القرينة المخصوصة تفيد معنى معينا ؟

ورد على هذا الاعتراض بأنا لو فتحنا هذا الباب لانفتحت أبواب تأويلات الباطنية وسائر الهذيانات .

ولما بطل هذا القسم وجب الحكم بأنها من أسماء الألقاب .

ثم أورد الاعتراضات التالية على القول بأنها أسماء للسور :

١ - المقصود من اسم العلم إزالة الاشتباه ، والقول بأن هذه الحروف أسماء للسور لايزيله . ولا يمكن الاستدلال بالاشتراك الحاصل فى الأعلام ، لأن الأعلام تفيد التعيين والتبريك ، بخلاف هذه الحروف ، فلا فائدة فيها سوى التعيين . فإذا لم تفده كانت التسمية بها عبثا محضا .

ورد الرازى على هذا الاعتراض بأنه لايبعد أن يكون فى تسمية السور الكثيرة باسم واحد - ثم يميز كل واحدة منها عن الأخرى بعلامة أخرى - حكمة خفية .

٢ - لو كانت هذه الحروف أسماء للسور لوجب أن يُعلم ذلك بالتواتر ، لأنها ليست على قوانين أسماء العرب . والأمور العجيبة تتوفر الدواعى على نقلها .

ورد الرازى بأن تسمية السورة بلفظة معينة ليست من الأمور العظام ، فجاز أن لاتبلغ فى الشهرة إلى حد التواتر .

٣ - لو كانت هذه الحروف أسماء للسور لوجب اشتهار هذه السور بها لابغيرها من الأسماء ، كقولهم : سورة البقرة .

ورد الرازى بأنه لايبعد أن يصير اللقب أكثر شهرة من الاسم الأصلى . فكذا هاهنا .

٤ - هذه الألفاظ داخلة فى السورة وجزء منها ، وجزء الشىء مقدم عليه بالرتبة ، واسم الشىء متأخر عنه بالرتبة . فلو جعلناها أسماء للسور للزم التقدم والتأخر معا .

ورد الرازى بأن الاسم لفظ دال على أمر مستقل بنفسه من غير دلالة على زمانه المعين ، ولفظ الاسم كذلك ، فيكون الاسم اسما لنفسه . فإذا جاز ذلك فلم لايجوز أن يكون جزء الشىء اسما له .

٥ - لو كان الأمر كذلك لوجب أن لاتخلو سورة من سور القرآن من اسم على هذا الوجه .

ورد الرازى بأن وضع الاسم يكون بحسب الحكمة . ولايبعد أن تقتضى الحكمة وضع الحروف اسما لبعض السور دون بعض . على أن القول الحق : إنه تعالى يفعل مايشاء (١) .

وذكر القرطبى فى ﴿ طه ﴾ : قيل : هو اسم للسورة ومفتاح لها (٢) .

ونسب الخازن هذا القول إلى من سماهم : جماعة من المحققين (٣) .

وعضد ابن كثير هذا القول بنص حديث نبوى يوحى بأن هذه الحروف أسماء للسور . ذكر أنه ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة : أن رسول الله - ﷺ - كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة : الم السجدة ، وهل أتى على الإنسان (٤) .

---

(١) مفاتيح ٨/٢ - ١١ . البيضاوى ١٣/١ - ١٤ . النيسابورى ١٢٣/١ - ١٢٤ . شقرف ٥٤ - ٥٥ .

(٢) الجامع ١٦٦/١١ ، ٣٢٣/١٣ .

(٣) لباب ٢٦/١ .

(٤) ابن كثير ٣٦/١ . الزرقانى ٢٢١/١ . خليف ٨٢ .

وأخطأ الشربينى فظن أن الرازى نقض كون الحروف أسماء للسور ، معتلا بأنها لو كانت كذلك لوجب اشتهارها بها [١] . وقد رأينا أن ذاك اعتراض أورده الرازى ثم فنده .

ورجح رشيد رضا كونها أسماء للسور . واعترض على كون (ن) بمعنى الدواة أو الحوت [٢] .

وعقبت د. عائشة عبد الرحمن قائلة : لا يعنى هذا أنها أسماء السور حقيقة : بلى هى التسمية بما افتُتحت به واستهلت . ونظيره قولهم : فلان يروى * قفانبك * و * عفت الديار * وقول القائل : قرأت من القرآن « الحمد لله » و « براءة » [٣] .

وذكر د . يوسف خليف أن من مؤيدى هذا الرأى من يستدلون عليه بوجود أربع سور سميت بالحروف صراحة ، وليس لها أسماء غيرها ، وهى طه ويس وص وق [٤] .

وعد د. محمد عبد السلام كفافى وعبد الله الشريف هذا القول من أوجَه الآراء التى قرآها [٥] .

* * *

ونستبين من هذا أن القول بأن الحروف المقطعة أسماء للسور من أقدم تأويلات الحروف ، وأنه لقى قبولا عاما ، وأن الزمخشرى والرازى هما اللذان اضطلعا بالقسط الأكبر من توضيحه والدفاع عنه .

* * *

---

(١) ١/١٥ .
(٢) المنار ٨/٢٦٤ .
(٣) الإعجاز ١٢٩ .
(٤) ٨٢ .
(٥) فى علوم ١٣٤ .

أسماء للقرآن

نقل القرطبى أن ابن عباس ذهب إلى أن ﴿ ن ﴾ اسم من أسماء القرآن [١] .

ونقل الطبرى عن مجاهد قال : ﴿ الٓم ﴾ اسم من أسماء القرآن [٢] .

ونقل عن طريق معمر وسعيد عن قتادة أنها من أسماء القرآن [٣] .

وروى ابن عطية عنه : هى أسماء للقرآن كالفرقان والذكر [٤] .

وذهب إلى هذا القول الشعبى والسدى وزيد بن أسلم والكلبى وابن جريج والخليل وسيبويه [٥] .

وأتى به جماعة دون نسبة إلى أحد [٦] .

وروى الطبرى عن طريق معبد عن قتادة ذات مرة : ﴿ص﴾ : اسم من أسماء القرآن ، أقسم الله به [٧] . وطبيعى أن ينسحب هذا القول على بقية الحروف .

وعلق الطبرى على هذه الأقوال قائلا : فأما الذين قالوا : ﴿ الٓم ﴾ اسم من أسماء القرآن ، فلقولهم ذلك وجهان :

---

(١) الجامع ١٢/١٧ .

(٢) جامع ٦٧/١ . الطوسى ٤٧/١ . ابن الجوزى ٢٢/١ . ابن كثير ٣٦/١ . شرارة ٣٠ – ٣١ .

(٣) جامع ٦٧/١ ، ٨٥/٨ ، ٥٨/١١ ، ٣٥/١٦ ، ٣٧/١٩ ، ٩٧/٢٢ ، ٧٥/٢٣ ، ٢٦/٢٤ ، ٩٣/٢٦ . الطوسى ٤٧/١ . البغوى ٤٤/١ . الطبرسى ٣٣/١ . ابن الجوزى ٢٢/١ . القرطبى ١٥٦/١ ، ٧٤/١١ ، ٨٨/١٣ ، ١٤٣/١٥ ، ٢٨٩ ، ٢/١٧ . الخازن ٢٠٨/٢ ، ١٧٢/٣ . ابن كثير ٣٦/١ . النيسابورى ١٢١/١ . الشربينى ١٥/١ . أبو السعود ٢٥/١ . الآلوسى ٥٨/١١ ، ٥٧/١٦ . إسماعيل ٢٦٦ . شرارة ٣٠ – ٣١ .

(٤) المحرر ١٢٩/١ ، ٢٧١/١٢ ، ٥٢٤/١٣ ، الإتقان ١١/٢ . عائشة ١٢٩ .

(٥) الطبرى ٦٧/١ . الطوسى ٤٧/١ . ابن الجوزى ٢٢/١ . الرازى ٦/٢ ، ٤/١٢ . ابن كثير ٣٦/١ .

(٦) عياض ٣٤/١ . القرطبى ٣٢٣/١٣ . الخازن ٣٩٣/٣ ، ٢/٤ ، ١٧٤ ، ١٩٢ . البيضاوى ١٤/١ . الشوكانى ٤٨٠/١ . الآلوسى ١٦١/٢٣ . الصالح ٢٤١ . عبد التواب ١٦٩ . غلاب ٣٨ . عائشة ١٢٩ .

(٧) جامع ٧٥/٢٣ . القرطبى ١٤٣/١٥ .

أحدهما أن يكونوا أرادوا أن ﴿ الٓمٓ ﴾ اسم للقرآن كما الفرقان اسم له . وإذا كان معنى قائل ذلك كذلك ، كان تأويل قوله : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ على معنى القسم ، كأنه قال : والقرآن هذا الكتاب لاريب فيه .

والآخر منهما أن يكونوا أرادوا أنه اسم من أسماء السورة التى تعرف به كما تعرف سائر الأشياء بأسمائها التى هى لها أمارات تعرف بها . فيفهم السامع من القائل يقول : قرأت اليوم ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ و ﴿ ن ﴾ ، أى السورة التى قرأها من سور القرآن ، كما يفهم عنه إذا قال : لقيت اليوم عمرا وزيدا ، وهما بزيد وعمرو عارفان من الذى لقى من الناس [١] .

ورجح ابن كثير الوجه الثانى ، لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول : قرأت ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ أن يكون ذلك عبارة عن سورة القرآن لا لمجموع القرآن [٢] .

وروى ابن قتيبة أن الكلبى ذهب إلى أن ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ مختصرة من صفات للقرآن ، وذكر أنه قال : هو كتاب كافٍ ، هادٍ ، حكيم ، عالم ، صادق [٣] . ورفض د. عبد التواب هذا القول [٤] .

ورفض د. محمد غلاب أن تكون هذه الحروف أسماء للقرآن قائلا : لسنا ندرى : كيف يكون معنى الآية الكريمة ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ عند صاحب هذا الرأى ؟ أيكون معناها أقسم بالقرآن والقرآن المجيد ؟ هذا لعمر الحق كلام له خبىء ، معناه ليست لنا عقول [٥] .

وغاب عنه مااعتادت العربية من التكرار باللفظ نفسه أو بمرادفه للتأكيد ، والقسم موضع من المواضع التى تحتاج إليه .

وعد د. عبد التواب هذا الرأى غير صحيح ، يمكن أن يسقط من حسابنا ،

---

(١) الجامع ٦٩/١ .
(٢) ابن كثير ٣٦/١ .
(٣) تأويل ٢٣٠ .
(٤) حول ١٧٤ .
(٥) نظرات ٣٨ .

اعتمادا على وجود فرق بين التسميتين ، فإن الفرقان والذكر .. إلخ لها معان واضحة مفهومة ، بعكس الرموز . وحتى لو سلمنا بأن التسمية قد تكون أحيانا عديمة المعنى ، كأن يسمى إنسان ابنه بشخنعب مثلا ، فإن الكلام لا يستقيم إذا رفعنا الكثير من هذه الرموز ، ووضعنا بدلا منها لفظ القرآن ، مثل ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ [سورة مريم : ١] = القرآن ، ذكر رحمة ربك عبده زكريا .. [١] .

ورفض شرارة هذا الرأى اعتمادا على ابن كثير ود. عبد التواب ، وأضاف إليهما أن التسمية بهذه الأحرف للقرآن لم تشتهر بين العلماء ، وليس للتسمية بها وجه حكمة معقول [٢] .

* * *

---

(١) حول ١٧٠ . الزنجانى ٩٤ .

(٢) شرارة ٣٠ - ٣١ .

الدلالة على معانٍ شتى

أذكر هنا قول أبى العالية (الذى عزاه بعضهم للربيع) الذى أورده الطبرى . وأعلن أنه يريد أن كل حرف منها مأخوذ من كلمات شتى ، ودال على معانى جميع هذه الكلمات . وقصر بهم عن تمام حروف الكلمة أن جميع حروفها لو أُظهرت ، لم تدل إلا على معنى واحد . ولما كان الله قد أراد الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لم يجز إلا أن يفرد الحرف الدال على تلك المعانى ، ليعلم المخاطبون به ماأراد [١] .

وعاب الطبرى الربيع بأنه قصر دلالة كل حرف على ثلاثة معان فقط ، واستصوب أن كل حرف منها يحوى ماقاله الربيع وماقاله غيره من المفسرين ، لم يستثن من ذلك إلا ماعابوه [٢] .

ثم قدم اعتراضا يقول : وكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملا الدلالة على معان كثيرة مختلفة ؟

وكان جوابه : كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة ، كقولهم (أمة) للجماعة من الناس ، والحين من الزمان ، والرجل المتعبد لله ، والدين والملة ... فى أشباه كثيرة يطول الكتاب بإحصائها ! كذلك الحروف المقطعة [٣] .

ولو أن الله أراد بها الدلالة على معنى واحد مما تحتمله – دون سائر المعانى غيره – لأبان ذلك لهم رسول الله – ﷺ – إبانة غير مشكلة ، إذ كان إنما أنزل كتابه على رسوله ليبين لهم مااختلفوا فيه . وفى تركه – ﷺ – إبانة ذلك أوضح الدليل على أنه مراد به جميع وجوهه التى هو محتمل لها .

كذلك يسأل كل من تأول شيئا من ذلك ، على وجه دون الأوجه الأُخر ،

---

(١) جامع ١/٧٠ – ٧١ ، ٨/٨٥ . وانظر الرازى ١٤/١٤ .

(٢) جامع ١/٧٢ .

(٣) جامع ١/٧٢ – ٧٣ . ابن كثير ١/٣٦ . غلاب ٣٨ .

عن البرهان على دعواه . ثم يعارض بقول مخالِفه فى ذلك ، ويسأل الفرق بينه وبينه ، من أصل أو مما يدل عليه أصل [(١)] .

وسار أحمد بن فارس على الدرب الذى اقترحه الطبرى ووسعه ، فذهب إلى أن الله افتتح السور بهذه الحروف إرادةً منه للدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لا على معنى واحد . فتكون جامعة : لأن تكون افتتاحا ، وأن يكون كل واحد منها مأخوذا من اسم من أسماء الله ، وأن يكون الله قد وضعها هذا الوضع فسمّى بها ، أو أن يكون كل حرف منها فى آجال قوم وأرزاق آخرين . وهى – مع ذلك – مأخوذة من صفات الله فى إنعامه وإفضاله ومجده ، وأن الافتتاح بها سبب لأن يَسمَع القرآن من لم يكن سمع ، وأن فيها إعلاما للعرب أن القرآن الدال على نبوة محمد هو بهذه الحروف ، وأن عجزهم عن الإتيان بمثله – مع نزوله بالحروف المتعالمة بينهم – دليل على كفرهم وعنادهم وجحودهم ، وأن كل عدد منها – إذا وقع فى أول كل سورة – فهو اسم لتلك السورة [(٢)] .

وعارض ابن كثير كلام الطبرى قائلا : ليس هذا كما ذكره أبو العالية ، فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا ، وعلى هذا ، وعلى هذا ، معا . ولفظة الأمة ومأأشبهها من الألفاظ المشتركة فى الاصطلاح إنما دل فى القرآن فى كل موطن على معنى واحد ، دل عليه سياق الكلام . فأما حمله على مجموع محامله – إذا أمكن – فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول .

ثم إن لفظ الأمة يدل على كل من معانيها فى سياق الكلام بدلالة الوضع . فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر ، من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر فى التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره ، فهذا مما لا يفهَم إلا بتوقيف . والمسألة مختلف فيها . وليس فيها إجماع حتى يحكم به [(٣)] .

---

(١) جامع ٧٣/١ .

(٢) الزركشى ١٧٥/١ . حمادة ١٦٦ . زرزور ١٤٩ . العمرى ١١٦ . أبو زيد ٢١٩ .

(٣) ابن كثير ٣٦/١ – ٣٧ .

وعاد الآلوسى إلى درب الطبرى ووسعه . فذكر أن كل ماذكر الناس فيها رشفة من بحار معانيها . ومن ادعى قصرا ، فمن قصوره ؛ أو زعم أنه أتى بكثير ، فمن قلة نوره . والعارف يقول باندماج جميع ماذكروه فى صدف فرائدها ، وامتزاج سائر ماسطروه فى طغام فوائدها . فإن شئت فقل : كما أنها مشتملة على هاتيك الأسرار ، يشير كل حرف منها إلى اسم من أسمائه ، وإن شئت فقل ... وإن شئت فقل غير ذلك . حَدِّث عن البحر ، ولا حَرَج [١] .

وذهب عبد الوهاب حمودة إلى أنه لا ضرر من تعدد الأسرار ، واختلاف الحكم ، مادام لا تناقض بينها ولا تعارض فى ورودها . فالواجب ألا تفسر هذه الحروف تفسيرا واحدا ، بل يمكن أن نرى فى بعضها الدلالة على تنبيه السامعين ، وفى بعضها الآخر الدلالة على الإعجاز ، كما يمكن أن نرى فى بعضها دلالة على نوع الموسيقا التى تحكم السورة [٢] .

ولكن د. عبد التواب لم يستطع أن يقتنع برأى حمودة ، اعتمادا على أنه إذا كانت هذه الرموز يربطها فيما بينها رباط واحد ، هو أنها جميعا تتكون من حروف هجائية ، منطوق بها كما تنطق الحروف الهجائية المجردة ، فإنها تتطلب جميعا تفسيرا واحدا [٣] .

ولكن د. غلاب خالف د. عبد التواب ووافق حمودة وقال : هى حروف مقطعة من أسماء وأفعال ، كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر ، ونقل : هى حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة [٤] .

وقال د. زرزور : ليس هناك مايمنع من أن يراد بهذه الفواتح أكثر من معنى ، وأنها جاءت لتؤدى أكثر من غرض فى الكتاب الكريم ... والذى يترجح عندنا أنه أريد بها - والله أعلم - المعنيان الرئيسيان : التحدى والإعجاز من ناحية ،

---

(١) روح ١/١٠٣ .

(٢) رسالة ١/٧٤ . عبد التواب ١٧٤ .

(٣) حول ١٧٥ .

(٤) نظرات ٣٨ .

والدلالة الموسيقية والتمهيد النفسى والشعورى من جهة أخرى . وهذا لا يتعارض مطلقا مع ماذهب إليه بعض السلف من اعتبارها أسماء للسور القرآنية . بل إن فيما ذهب إليه السلف مايشير إلى هذا الرأى الأخير لأنهم قالوا فى الفواتح : إنها أسماء السور ومفاتحها [١] .

ويلى بيان للأشياء الفردية التى فسروا الحروف بها .

* * *

تفسير ﴿ نٓ ﴾

الدواة

نقل ابن كثير عن ابن عساكر عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : إن أول شىء خلقه الله القلم ، ثم خلق النون - وهى الدواة - ثم قال له : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب مايكون - أو ماهو كائن - من عمل أو رزق أو أثر أو أجل . فكتب ذلك إلى يوم القيامة . فذلك قوله : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ثم ختم على القلم ، فلم يتكلم إلى يوم القيامة . ثم خلق العقل وقال : وعزتى لأكملنك فيمن أحببت ، ولأنقصنك ممن أبغضت [٢] .

وسار على هذا التفسير عبد الله بن عباس والضحاك والحسن البصرى وقتادة . واعتمدوا على قول الشاعر :

إذا ما الشوق برّح بى إليهم ... أَلَقتُ النونَ بالدمع السَّجوم [٣]

---

(١) القرآن ٤٩ .

(٢) ابن كثير ٤٢٥/٤ .

(٣) الطبرى ١٠/٢٩ . الزمخشرى ١٤٠/٤ ، ابن عطية ٢٥/١٥ ، الرازى ٧٧/٣٠ . القرطبى ٢٢٣/١٨ . ابن كثير ٤٢٥/٤ . النسفى ٢٩٣/٤ . الخازن ٢٩٣/٤ . أبو حيان ٣٠٧/٨ . الإتقان ١٤/٢ . الآلوسى ٢٨/٢٨ . المنار ١٩٨/٨ . حمودة ٢٨٠/٣ .

اللوح

وروى الطبرى عن معاوية بن قرة عن أبيه عن الرسول - ﷺ - قال : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ لوح من نور يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة [١] .

ونقل السيوطى أنه قد قيل : إن ﴿ نٓ ﴾ هو اللوح المحفوظ [٢] .

الحوت

ونقل ابن كثير عن الطبرانى عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ - : إن أول ماخلق الله القلم والحوت . قال للقلم : اكتب . قال : ما أكتب ؟ قال : كل شىء كائن إلى يوم القيامة . ثم قـــرأ ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فالنون الحوت ، والقلم القلم [٣] .

وينسب إلى ابن عباس أن ﴿ نٓ ﴾ الحوت الذى تحت الأرض ، وتستقر الأرض على ظهره [٤] .

وينسب مثل ذلك إلى مرة الهمدانى ومجاهد والسدى والكلبى ومقاتل وعطاء الخراسانى [٥] .

وذكر الرازى أن الذين فسروا ﴿ نٓ ﴾ بالحوت افترقوا : فمنهم من قال : إنه قسم بالحوت الذى على ظهره الأرض ، وهو فى بحر تحت الأرض السفلى ،

---

(١) جامع ٢٩/١٠ - ١١ . الزمخشرى ١٤٠/٤ . ابن عطية ٢٥/١٥ . الرازى ٧٧/٣٠ . القرطبى ٢٢٣/١٨ . أبو حيان ٣٠٧/٨ . ابن كثير ٤٢٥/٤ . الآلوسى ٢٨/٢٨ .

(٢) الإتقان ١٤/٢ .

(٣) ابن كثير ٤٢٥/٤ . الإتقان ١٤/٢ .

(٤) الطبرى ٩/٢٩ - ١٠ . الرازى ٧٧/٣٠ . ابن كثير ٤٢٥/٤ ، النسفى ٢٩٣/٤ . القرطبى ٢٢٣/١٨ . أبو حيان ٣٠٧/٨ .

(٥) الطبرى ١٠/٢٩ . البغوى ٣٧٤/٤ . الزمخشرى ١٤٠/٤ . الرازى ٧٧/٣٠ . القرطبى ٢٢٣/١٨ . أبو حيان ٣٠٧/٨ . ابن كثير ٤٢٥/٤ . الآلوسى ٢٨/٢٩ . المنار ١٩٨/٨ . حـــمودة ٢٨١/٣ .

ومنهم من قال : إنه قسم بالحوت الذى احتبس يونس – ﷺ – فى بطنه ؛ ومنهم من قال : إنه قسم بالحوت الذى لطخ سهم نمروذ بدمه (١) .

النصر

وروى القرطبى عن محمد بن كعب القرظى : أقســـم الله بنصره للمؤمنين ؛ وهو حق ، بيانه قوله : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الروم : ٤٧] (٢) .

النهر

وروى القرطبى أيضا عن جعفر بن محمد الصادق : هو نهر من أنهار الجنة (٣) .

القلم

ونقل السيوطى عن الكرمانى عن الجاحظ : هو القلم (٤) .

المداد

وذكر الرازى أنه المداد الذى تكتب به الملائكة (٥) .

ورفض الزمخشرى تفسير النون بالدواة أو اللوح أو الحوت ، قائلا : ما أدرى : أهو وضع لغوى أم شرعى ، ولايخلو – إذا كان اسما – من أن يكون جنسا أو عَلَما فلابد له من أن يقع فى تأليف الكلام ، [ولابد له من الإعراب] (٦) واتفق معه أبو حيان قائلا : لعله لايصح شيء من ذلك (٧) .

---

(١) مفاتيح ٧٧/٣٠ . ابن كثير ٤٢٥/٤ . النيسابورى ١٤/٢٩ .

(٢) القرطبى ٢٢٤/١٨ .

(٣) القرطبى ٣٠٧/٨ ، ٢٢٤/١٨ . أبو حيان ٣٠٧/٨ . الآلوسى ٢٨/٢٩ .

(٤) الإتقان ١٤/٢ .

(٥) مفاتيح ٧٧/٣٠ . الإتقان ١٤/٢ .

(٦) الكشاف ١٤٠/٤ – ١٤١ . الرازى ٧٧/٣٠ . أبو حيان ٣٠٧/٨ . الآلوسى ٢٨/٢٩ .

(٧) البحر ٣٠٧/٨ . الآلوسى ٢٨/٢٩ .

وعلق الآلوسى على الرفض قائلا : كأنه – إن كان مطلعا على الروايات التى ذكرناها – لم يعتبر تصحيح الحاكم فيما روى أولا عن ابن عباس ، ولاكون أحد رواته الضياء فى المختارة التى هى فى الاعتبار قرينة من الصحاح ، ولا كثرة راويه عنه ، وهو الذى يغلب على الظن ، لكثرة الاختلاف فيما روى عنه فى تعيين المراد به ...

ولا يخفى – أنه إن أريد الحوت أو نهر فى الجنة – يصير الكلام من باب كم الخليفة وألف باذنجانة . وأما إن أريد الدواة . فالتنكير آبٍ عن ذلك أشد الإباء .

على أنه – كما سمعت عن الزمخشرى – لغة لم تثبت . والرد عليه إنما يتأتّى بإثبات ذلك عن الثقات ، وأنّى به ؟ وذكرُ صاحب القاموس لاينتهض حجة على أنه معنى لغوى .

وفى صحة الروايات كلام . والبيت الذى أنشده ابن عطية لم يثبت عربيا .

وكونه بمعنى الحوت أطلق على الدواة مجازا بعلاقة المشابهة ، فإن بعض الحيتان يستخرج منه شىء أشد سوادا من النّقْس يكتب به . ولايخفى مافيه من السماجة . فإن ذلك البعض لم يشتهر حتى يصح جعله مشبها به ، مع أنه لا دلالة للمنكر على ذلك الصنف بعينه : وكونه بمعنى الحرف مجازا عنها أدهى وأمر . كذا قيل [١] .

ورفض رشيد رضا هذه التفسيرات أيضا . قال : نعم ، قد قيل : إن (ن) هنا بمعنى الدواة ، ولذلك قرن بالقلم لبيان أن هذا الدين يقوم بالعلم والكتابة ، كما قال فى أول مانزل عليها قبلها : ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ [سورة العلق : ٣،٤] وقيل : إنه بمعنى الحوت لأن فى السورة ذكرا لصاحب الحوت يونس . ولوصح هذا أو ذاك لما كتبت النون مفردة ، ونطقت ساكنة ، بل كانت تذكر مركبة ومعربة كقوله : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٧] [٢] .

(١) روح ٢٨/٢٩ – ٢٩ .

(٢) المنار ٢٦٤/٨ .

أضيف إلى ذلك أن قارئ حديثى أبى هريرة وابن عباس لن يفوته أنهما يتحدثان عن أمر واحد على الرغم من الاختلاف بينهما ، كما أن تفسير (ن) بالحوت أو النصر أو النهر يفقد سياق الآيات اتساقها .

تفسير (ق)

اسم جبل

قال الآلوسى : أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس قال : خلق الله من وراء هذه الأرض بحرا محيطا ، ومن وراء ذلك جبلا يقال له (قاف السماء) الدنيا مترفرفة عليه . ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها . ثم خلق وراء ذلك جبلا يقال له : قاف السماء الثانية ، مترفرفة عليه ، حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل .

ولم أجد أنا حديث ابن عباس هذا منسوبا إليه فى سورة ق من تفسير الطبرى .

واستمر الآلوسى يقول : وأخرج ابن أبى الدنيا فى العقوبات ، وأبو الشيخ ، عن ابن عباس أيضا ، أنه قال : خلق الله جبلا يقال له : قاف ، محيطا بالعالم ، وعروقه إلى الصخرة التى عليها الأرض . فإذا أراد الله أن يزلزل قرية ، أمر ذلك الجبل فحرك العرق الذى يلى تلك القرية ، فيزلزلها ويحركها . فمن ثم تحرك القرية دون القرية (١) .

وقال السيوطى : قيل ﴿ ق ﴾ : جبل محيط بالأرض ، أخرجه عبد الرزاق عن مجاهد (٢) .

ونقل القرطبى عن عبد الله بن بريدة فى ﴿ حم عسق ﴾ : اســـم الجبل

(١) روح ١٧١/٢٦ .

(٢) الإتقان ١٤/٢ . الفراء ٧٥/٣ . عياض ٣٤/١ . الرازى ١٤٥/٢٨ . غلاب ٣٨ .

المحيط بالدنيا [١] . ونقل الآلوسى عن ابن بريدة : جبل من زمرد محيط بالدنيا ، عليه كنفا السماء [٢] .

وقال الخازن : جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء ، متصلة عروقه بالصخرة التى عليها الأرض والسماء كهيئة القبة ، وخضرة السماء منه ، والعالم داخله ، ولا يعلم ماوراءه إلا الله . ويقال : هو من وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه مسيرة سنة [٣] .

وقال السيوطى فى ﴿ حم عسق ﴾ : إنه جبل ﴿ ق ﴾ [٤] .

وكان من العلماء من رفض هذه الأقوال وأمثالها . فاستضعف الرازى التفسير بأنه جبل اعتمادا على الوجوه الآتية :

أحدها أن القراءة الوقف ، ولو كان اسم جبل ، لما جاز الوقف فى الإدراج ، لأن من قال ذلك قال بأن الله أقسم به .

وثانيها أنه لو كان كذلك ، لذكر بحرف القسم كما فى قوله تعالى : ﴿ والطور ﴾ ، وذلك لأن حرف القسم يحذف حيث يكون المقسم به مستحقا لأن يُقسَم به ، كقولنا : الله لأفعلن كذا ، ولايحسن أن يقال : زيدٍ لأفعلن .

ثالثها أنه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف مع الألف والفاء كما يكتب ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ [سورة الغاشية : ١٢] ويكتب ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [سورة الزمر : ٣٦] ، ولكنه فى جميع المصاحف يكتب حرف (ق) .

رابعها : أن الظاهر أن الأمر فيه كالأمر فى (ص ، ن ، حم) وهى حروف

---

(١) الجامع ٢/١٦ . وانظر الطبرى ٩٣/٢٦ ، ابن عطية ٥٢٤/١٣ . الرازى ١٤٥/٢٨ . ابن كثير ٢٣٦/٤ .

(٢) روح ١٧١/٢٦ .

(٣) لباب ١٧٤/٤ . وانظر النيسابورى ١٠٤/٢٦ - ١٠٥ .

(٤) الإتقان ١٤/٢ .

لا كلمات . فإن قيل : هو منقول عن ابن عباس ، نقول المنقول عنه أن قاف اسم جبل ، وأما أن المراد فى هذا الموضع به ذلك ، فلا [١] .

وذكر الآلوسى أن أحمد بن إدريس المعروف بالقرافى أعلن أن جبل قاف لا وجود له ، وبرهن عليه بما برهن ، ثم قال : لايجوز اعتقاد مالا دليل عليه [٢] .

وعاب ابن كثير الخبر المنسوب إلى ابن عباس ، فرماه بأنه أثر غريب لايصح سنده ، لأن فيه انقطاعا .

ولم يقتصر على ذاك بل رفض كل المرويات وأمثالها ، فقال : كأن هذا من خرافات بنى إسرائيل التى أخذها عنهم بعض الناس ، لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لايصدق ولايكذب .

وعندى أن هذا وأمثاله من اختلاق بعض زنادقتهم ، يلبّسون به على الناس أمر دينهم ، كما افتُرى فى هذه الأمة – مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها – أحاديث عن النبى – ﷺ – وما بالعهد من قِدَم . فكيف بأمة بنى إسرائيل ، مع طول المدى ، وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشربهم الخمور ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته ؟ وإنما أباح الشارع الرواية عنهم فى قوله : « وحدثوا عن بنى إسرائيل ولاحرج » فيما قد يجوزه العقل . فأما فيما تحيله العقول ، ويحكم فيه بالبطلان ، ويغلب على الظنون كذبه ، فليس من هذا القَبيل [٣] .

ولكن أحمد بن محمد المعروف بابن حجر الهيثمى تعقب القرافى فقال : يرد ذلك ماجاء عن ابن عباس من طرق خرّجها الحفاظ ، وجماعة منهم ممن التزموا تخريج الصحيح . وقول الصحابى ذلك ونحوه مما لامجال للرأى فيه ، حكمه حكم المرفوع إلى النبى – ﷺ – . وقال : وكما يندفع بذلك قوله : لا وجود

---

(١) مفاتيح ١٤٧/٢٨ .

(٢) روح ١٧١/٢٦ .

(٣) ابن كثير ٢٣٦/٤ – ٢٣٧ .

له ، يندفع قوله : ولايجوز اعتقاد .. إلخ ، لأنه إن أراد بالدليل مطلق الأمارة ، فهذه عليه أدلة ، أو الأمارة القطعية فهذا مما يكفى فيه الظن كما هو جَليّ [١] .

وكان الآلوسى على حق حين ختم حديثه بقوله : الذى أذهب إليه ماذهب إليه القرافى من أنه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس . فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات فلم يشاهدوا ذلك . والطعن فى صحة هذه الأخبار – وإن كان جماعة من رواتها ممن التزم تخريج الصحيح – أهون من تكذيب الحس . وليس ذلك من باب نفى الوجود لعدم الوجدان كما لا يخفى على ذوى العرفان [٢] .

ولو كان الآلوسى يعيش معنا عصر الصواريخ ومركبات الفضاء التى مكنت الإنسان من رؤية كل بقعة فى الأرض وحولها ، لازداد اطمئنانا إلى الرأى الذى رأى .

اسم بحر

روى القرطبى عن عكرمة : سأل نافع بن الأزرق عبد الله بن عباس عن ﴿ص﴾ فقال : كان بحرا بمكة ، وكان عليه عرش الرحمن ، إذ لا ليل ولا نهار [٣] .

وروى عن سعيد بن جبير قال : بحر يحيى الله به الموتى بين النفختين [٤] .

وعلق الآلوسى على هذين القولين بما يوحى بالشك ، إذ قال : والله أعلم بصحة هذين الخبرين [٥] .

ولا أشك أنه ينطبق عليهما مانقلت من قول ابن كثير فى تفسير ﴿ ق ﴾ .

---

(١) الآلوسى ١٧١/٢٦ .

(٢) نفسه .

(٣) الجامع ١٤٣/١٥ . النيسابورى ٨٢/٢٣ . الإتقان ١٤/٢ . الآلوسى ١٦١/٢٣ .

(٤) الجامع ١٤٣/١٥ . النيسابورى ٨٢/٢٣ . الإتقان ١٤/٢ . الشوكانى ٤١٩/٣ . الآلوسى ١٦١/٢٣ .

(٥) روح ١٦١/٢٣ .

أسماء مختلفة

نقل القرطبى عن جعفر بن محمد بن على فى ﴿ طسم ﴾ : الطاء شجرة طوبى ، والسين سدرة المنتهى ، والميم محمد - ﷺ ؛ وعن عبد الله بن محمد ابن عقيل : الطاء طور سينا ، والسين الإسكندرية ، والميم مكة (١) .

ونقل الرازى عن الثعلبى فى ﴿ طه ﴾ : الطاء شجرة طوبى ، والهاء الهاوية ، فكأنه أقسم بالجنة والنار . وقال الرازى : الطاء طبول الغزاة (٢) ، والهاء هيبتهم فى قلوب الكفار ، قال الله : ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥١] (٣) . وقال القرطبى : قيل : الطاء طرب أهل الجنة فى الجنة ، والهاء هوان أهل النار فى النار (٤) .

* * *

---

(١) الجامع ٨٨/١٣ .

(٢) فى الأصل : القراء ، والتصحيح عن القرطبى .

(٤) مفاتيح ٣/٢٢ . القرطبى ١٦٦/١١ . النيسابورى ٧٧/١٦ - ٧٨ .

(٥) الجامع ١٦٦/١١ .

مختصرة من جمل وعبارات

إذا كان من المفسرين من ذهب إلى أن هذه الحروف مقتطعة من أسماء مفردة ، فقد كان منهم من ذهب إلى أنها مقتطعة من مركبات . روى ابن الجوزى أن عبد الله بن مسعود قال فى ﴿ الم ﴾ : أنا الله أعلم [١] .

وأُورد فيما يلى الحروف وماقيل فيها من هذا القبيل :

﴿ الر ﴾

روى أبو صالح وسعيد بن جبير وأبو الضحى مسلم بن صبيح الهمدانى عن ابن عباس : أنا الله أرى [٢] وذكر الخازن أن الضحاك وافقه [٣] ، والقرطبى أن الزجاج مال إلى هذا القول [٥] .

وروى الرازى أنه قيل فى تفسيره : أنا الرب لا رب غيرى [٣] .

وجاء بعضهم بقول ابن عباس دون أن ينسبه إليه أو إلى غيره [٦] .

ووضح عبد الوهاب حمودة قول ابن عباس فقال : أنا الله أرى كل شىء يُصنَع معك - يامحمد - وأطلع على كل أفعال خصومك ؛ أو أن الراء اسم فاعل من (أرى) كما فى خطابه - تعالى - لموسى وهارون : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [سورة طه : ٤٦] ، سأنزل من العقاب بأعدائك مايستحقون [٧] .

---

(١) ابن مسعود ١٧ . ابن الجوزى ٢٢/١ .

(٢) الطبرى ٥٧/١١ . البغوى ٤٤/١ ، ١٧٢/٣ . ابن عطية ١٣٩/١ . الرازى ٦/٢ ، ١٥٥ ، ٣/١٧ . القرطبى ١٥٥/١ ، ٣٠٤/٨ ، ٣٢٣/١٣ . الخازن ١٧٢/٣ . أبو حيان ١٢١/٥ ، ٣٠٤/٨. ابن كثير ٤١٤/٢ . الزركشى ١٧٤/١ . النيسابورى ٤٧/١١ . الإتقان ١٠/٢ . الشربينى ١٥/١ . الآلوسى ٥٨/١١ . صبيح ١٠٠ . عائشة ١٢٩ . فودة ٢٧٢ . أبو زيد ٢١٦ . العدل ١٣ .

(٣) مفاتيح ٣/١٧ .

(٤) لباب ١٧٢/٣ .

(٥) الجامع ٣٠٤/٨ .

(٦) أبو حيان ١٢١/٥ . صبيح ١٥٠ . الصالح ٢٣٩ .

(٧) رسالة ٢٨٢/٣ .

ونقل السيوطى عن الكرمانى فى غرائبه : قيل أنا الله أعلم وأرفع [١] . وأخطأ د. صبحى الصالح فظن أن الكرمانى يرويه عن الضحاك [٢] .

وروى أبو حيان : أنا الله الرحمن [٣] .

﴿ الم ﴾

روى الطبرى عن أبى الضحى وسعيد بن جبير عن ابن عباس : أنا الله أعلم [٤] ، وهو التفسير الذى سبقه ابن مسعود إليه ، كما أوردت عن ابن الجوزى .

وهناك من وقف به عند سعيد بن جبير يرويه عنه عطاء بن السائب [٥] .

ورواه السدى عن أبى مالك [٦] ، وهناك من رواه دون أن ينسبه إلى أحد [٧] .

وذكر القرطبى أن الزجاج اختار هذا التفسير [٨] .

وروى عطاء عن ابن عباس : أنا الله الملك الرحمن [٩] .

---

(١) الإتقان ١٠/٢

(٢) مباحث ٢٤٠ .

(٣) البحر ١٢١/٥ .

(٤) جامع ٦٧/١ . البغوى ٤٤/١ . ابن عطية ١٣٩/١ . ابن الجوزى ٢٢/١ . الرازى ٦/٢ ، ١٥٥ ، ٢٣٠/١٨ . القرطبى ١٥٥/١ ، ٣٢٣/١٣ . الشربينى ١٥/١ . صبيح ١٠٠ . الزرقانى ١/ ٢٢٥ . حمودة ٢٨٢/٣ . عائشة ١٢٩ . زرزور ١٤١ . فودة ٢٧٢ . أبو زيد ٢١٦ . العدل ١٣ .

(٥) الطبرى ٦٧/١ . ابن الجوزى ٢٢/١ .

(٦) ابن كثير ٣٦/١ .

(٧) الطبرسى ٣٢/١ .

(٨) الجامع ١٥٥/١ . وانظر العدل ١٣ .

(٩) الرازى ٢٣٠/١٨ .

ونقل عياض عن سهل بن عبد الله التسترى : الألف هو الله ، واللام جبريل ، والميم محمد .

وحكى هذا القول السمرقندى ولم ينسبه إلى سهل ، وجعل معناه الله أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن لاريب فيه (١) .

ونقل الرازى عن الماوردى : المراد أنه ألمَّ بكم ذلك الكتاب ، أى نزل عليكم ، والإلمام الزيارة ، وإنما قال - تعالى - ذلك لأن جبريل نزل به نزول الزائر (٢) .

ونقل الرازى عن بعض الصوفية : الألف معناه أنا ، واللام معناه لى ، والميم معناه منى (٣) .

وقال الرازى أيضا : الألف معناه أَلِف الله محمدا فبعثه نبيا ، واللام أى لامه الجاحدون ، والميم أى ميم الكافرون : غيظوا وكُبتوا بظهور الحق (٤) .

وقال : الألف إشارة إلى مالابد منه من الاستقامة فى أول الأمر ، وهو رعاية الشريعة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ [سورة فصلت : ٣٠] ، واللام إشارة إلى الانحناء ، الحاصل عند المجاهدات ، وهو رعاية الطريقة ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٩] ، والميم إشارة إلى أن يصير العبد ، فى مقام المحبة ، كالدائرة التى تكون نهايتها عين بدايتها ، وبدايتها عين نهايتها . وذلك إنما يكون بالفناء فى الله بالكلية ، وهو مقام الحقيقة ، قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٩١] (٥) .

---

(١) الشفا ٣٤/١ .

(٢) مفاتيح ٧/٢ . النيسابورى ١٢٢/١ . وانظر ص ١٢٠ .

(٣) مفاتيح ٦/٢ . النيسابورى ١٢١/١ .

(٤) مفاتيح ٦/٢ .

(٥) مفاتيح ٧/٢ - ٨ . النيسابورى ١٣٧/١ . الآلوسى ١٠٣/١ .

ونقل القرطبى عن بعضهم : أنزلت عليك هذا الكتاب من اللوح المحفوظ [١] .

وقال النيسابورى : قيل : معناه : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] ، الألف واللام من أوله ، والميم من آخره ، أى أخذت منكم كتاب العهد فى يوم الميثاق [٢] .

﴿ المر ﴾

روى الطبرى عن أبى الضحى وسعيد بن جبير عن ابن عباس : أنا الله أرى [٣] .

وروى البغوى عن سعيد بن جبير : أنا الله أعلم وأرى [٤] . وأورده الطبرسى دون نسبة [٥] .

وروى الرازى عن ابن عباس : أنا الله الملك الرحمن [٦] .

﴿ المص ﴾

روى أبو الضحى عن ابن عباس : أنا الله أفصل [٧] ، ورواه عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير [٨] ، وجعله د. عدنان زرزور : أنا الله أفضل [٩] .

---

(١) جامع ١/١٥٦ .

(٢) غرائب ١/١٢٣ .

(٣) جامع ١٣/٦١ . الرازى ١٨/٢٣٠ . النيسابورى ١/١٢١ .

(٤) معالم ١/٤٤ . ابن عطية ٨/١٠٨ . الخازن ٣/٥٢ . الشربينى ١/١٥ . الآلوسى ١٣/٨٤ .

(٥) مجمع ١/٣٢ .

(٦) مفاتيح ١٨/٢٣٠ . الخازن ٣/٥٢ .

(٧) الطبرى ٨/٨٥ . ابن عطية ١/١٣٩ ، ٥/٤٢٢ . الرازى ٢/٦، ١٥٥ ، ١٤/١٤ . القرطبى ١/١٥٥ . الخازن ٢/٢٠٨ . ابن كثير ٢/٢٠٥ . الزركشى ١/١٧٤ . الإتقان ٢/١٠ . المنار ٨/ ٢٦٤. صبيح ١٠٠ . الصالح ٢٣٩ . عائشة ١٢٩ . فودة ٢٧٢ .

(٨) الطبرى ٨/٨٥ . الآلوسى ٨/٧٤ . العدل ١٣ .

(٩) القرآن ٤١ . أبو زيد ٢١٦ .

وروى البغوى عن سعيد عن ابن عباس : أنا الله أعلم وأفصل [١] . وأتى به الطبرسى دون نسبة [٢] .

ونسب د. صبحى الصالح إلى ابن عباس أنه قال : أنا الله المصور ، وأنا الله الصادق [٣] . ولكن ابن عطية نسب التفسير الأول منهما إلى زيد بن على [٤] ، ونسب السيوطى الثانى إلى الضحاك [٥] .

واعترض الرازى على تحديد التفسير قائلا : ليس هذا اللفظ على قولنا : أنا الله أفصل ، أولى من حمله على قوله : أنا الله أصلح ، أنا الله أمتحن ، أنا الله الملك ، لأنه إن كانت العبرة بحرف الصاد ، فهو موجود فى قولنا : أنا الله أصلح . وإن كانت العبرة بحرف الميم ، فكما أنه موجود فى العلم ، فهو أيضا موجود فى الملك والامتحان . فكان حمل قولنا (المص) على ذلك المعنى بعينه محض التحكم . وأيضا فإن جاء تفسير الألفاظ بناء على مافيها من الحروف ، من غير أن تكون تلك اللفظة موضوعة فى اللغة لذلك المعنى ، انفتحت طريقة الباطنية فى تفسير سائر ألفاظ القرآن بما يشاكل هذا الطريق [٦] .

ونسب الكرمانى إلى بعض المفسرين : معناها : ألم نشرح لك صدرك ، بدليل قوله بعدها : ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ [٧] .

---

(١) معالم ٤٤/١ . الرازى ١٤/١٤ . الخازن ٢٠٨/٢ . النيسابورى ٥٦/٨ . الآلوسى ٧٤/٨ . غلاب ٣٩ .

(٢) مجمع ٣٢/١ .

(٣) مباحث ٢٤٠ .

(٤) المحرر ٤٢٣/٥ .

(٥) الإتقان ١٠/٢ . الآلوسى ٧٤/٨ . المنار ٢٦٤/٨ . وانظر البغوى ٤٤/١ .

(٦) مفاتيح ١٤/١٤ - ١٥ .

(٧) أسرار ٢١ - ٢٢ . الزركشى ١٧٠/١ . النيسابورى ٥٦/٨ . الإتقان ١٤/٢ . الآلوسى ٧٤/٨ .

﴿ حمٓ ﴾

نقل القرطبى : قال الضحاك بن مزاحم وعلى بن حمزة الكسائى معناه : قُضى ماهو كائن ، أى وقع . قال كعب بن مالك :

فلما تلاقيناهم ودارت بنا الرحى وليس لأمر حمَّه الله مدفع (١)

ونقل عنه أيضا : المعنى : حم أمر الله ، أى قرب ، يريد : قرب نصر الله لأوليائه وانتقامه من أعدائه كيوم بدر (٢) .

ونقل عن الزجاج : أى حُمّ الأمر ، أى قضى (٣) .

وقال د . محمد غلاب : اختصار ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤) .

﴿ حم عسق ﴾

نقل ابن كثير عن أبى يَعْلَى الموصلى قال : صعد عمر بن الخطاب المنبر فقال : أيها الناس : هل سمع منكم أحد رسول الله - ﷺ - يفسر ﴿ حم عسق ﴾ ؟ فوثب ابن عباس فقال : أنا ، حم اسم من أسماء الله . قال : فعين ؟ قال : عاين المولون عذاب يوم بدر . قال : فسين ؟ قال : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [سورة الشعراء : ٢٢٧] . قال : فقاف ؟ فسكت . فقام أبو ذر الغفارى ففسر كما قال ابن عباس ، ثم قال : قاف قارعة من السماء تغشى الناس (٥) .

---

(١) الجامع ٢٨٩/١٥ . ابن عطية ٣/١٣ . النيسابورى ٢٤/٢٤ ، ١٠٥/٢٦ . الإتقان ١٤/٢ . الشوكانى ٤٨٠/٣ . وانظر الخازن ٦٥/٤ ، ٧٢ ، ٩٠ ، ١٩٢ .

(٢) الجامع ٢٨٩/١٥ . الشوكانى ٤٨٠/٣ .

(٣) الجامع ٢/١٧ . الخازن ١٩٢/٤ .

(٤) نظرات ٤٣ .

(٥) ابن كثير ١١٤/٤ . القرطبى ٨٨/١٣ . الشوكانى ٥٢٤/٣ .

ولكن ابن كثير لم يقبل الحديث ، ووصم إسناده بأنه ضعيف جدا ومنقطع [١] . ووافقه الشوكانى والآلوسى ، ورجحا عدم ثبوته [٢] .

ونقل الطبرى عن أرطاة بن المنذر قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال له وعنده حذيفة بن اليمان : أخبرنى عن قول الله : ﴿ حم عسق ﴾ فأطرق معرضا عنه . فكرر الرجل طلبه ثلاث مرات وابن عباس لايجيبه . فقال له حذيفة : أنا أنبئك بها ، قد عرفت لم كرهها . نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له : عبد الإله أو عبد الله ، ينزل على نهر من أنهار المشرق ، تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا [٣] . فإذا أذن الله فى زوال ملكهم ، بعث الله على إحداهما نارا ليلا ، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت ، كأن لم تكن مكانها . وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتت . فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد . ثم يخسف الله بها وبهم جميعا . فذلك قوله : ﴿ حم عسق ﴾ يعنى عزيمة من الله وفتنة وقضاء حُمّ ، عين : عدلا منه ، سين : يعنى سكون ، وقاف يعنى واقع بهاتين المدينيتن [٤] .

كذلك رفض ابن كثير هذا الخبر ، وعده أثرا غريبا عجيبا منكرا [٥] . ووافقه الشوكانى معلنا : هذا الحديث لايصح ولايثبت ، وما أظنه إلا من الموضوعات المكذوبات ، والحامل لواضعه عليه مايقع لكثير من الناس من عداوة الدول [٦] . وكان رأى الآلوسى فيه رأيه فى سابقه [٧] .

---

(١) ابن كثير ١١٤/٤ .

(٢) فتح ٥٢٤/٣ . روح ١٠/٢٥ .

(٣) واضح أن المراد مدينة بغداد .

(٤) جامع ٥/٢٥ ، ابن عطية ١٣٨/١٣ . القرطبى ٢/١٦ . الشوكانى ٥٢٤/٣ . الآلوسى ١٠/٢٥ . غلاب ٣٦ .

(٥) ابن كثير ١١٤/٤ .

(٦) فتح ٥٢٤/٢ .

(٧) روح ١٠/٢٥ .

وفسرها الخازن بما يلى :

ح : حرب فى قريش يعز فيها الذليل ، ويذل فيها العزيز .

م : ملك يتحول من قوم إلى قوم .

ع : عدو لقريش يقصدهم .

س : سنون كسنى يوسف .

ق : قدرة الله فى خلقه [١] .

وقال النيسابورى : قيل :

الحاء : حرب عليّ ومعاوية .

الميم : ولاية المروانية .

العين : ولاية العباسية .

السين : ولاية السفيانية .

القاف : قدرة المهدى .

ثم علق على ذلك : هذه الأقاويل ممالا معول عليه [٢] .

﴿ ص ﴾

عزا الخازن إلى ابن عباس : صدق محمد [٣] . وعزا الشوكانى هذا التفسير إلى عطاء [٤] . وأتى به آخرون دون عزو إلى أحد مع تكملته إلى : صدق محمد فى كل ماأخبر به [٥] .

وروى الطبرى عن أبى روق عن الضحاك : صدق الله [٦] . وأتى بهذا التفسير الرازى والسيوطى دون عزو [٧] .

---

(١) لباب ٩٠/٤ .
(٢) غرائب ٢٢/٢٥ .
(٣) لباب ٣٣/٤ . تبيان ابن القيم ٦٣/١ .
(٤) فتح ٤١٩/٣ .
(٥) الرازى ١٧٤/٢٦ . أبو حيان ٣٨٣/٧ . النيسابورى ٨٢/٢٣ .
(٦) جامع ٧٥/٢٣ . القرطبى ١٤٣/١٥ ، ٣٣٧ . أبو حيان ٣٨٣/٧ . الشوكانى ٤١٩/٣ . الآلوسى ١٦١/٢٣ .
(٧) الرازى ١٤٦/٢٨ . الإتقان ١٤/٢ .

وروى الآلوسى عن ابن مردويه عن الضحاك أيضا : إنى أنا الله الصادق [١] .

وذكر الطبرى أن الحسن البصرى قرأ الآية : ﴿ صادِ ﴾ بخفض الدال . ورأى أن المعنى : حادِث القرآن أو عارضْه ، أى أعرضْه على عملك ، فانظر أين عملك من القرآن ، واعمل بأوامره ، وانته عن نواهيه [٢] . وأتى الرازى والنيسابورى بهذا التفسير دون عزو [٣] .

وقال القرطبى : معناه : صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى آمنوا [٤] .

واستغرب الآلوسى هذا القول وقال : لعل القائل به اعتبره فعلا ماضيا مفتوح الآخر أو ساكنه للوقف ، وأنا لا أقول به ولا أرتضيه وجها [٥] .

وقال النيسابورى : قيل : صد الكفارُ عن قبول هذا الدين [٦] .

(طسم)

قال الرازى : قال جعفر بن محمد بن على : الطاء شجرة طوبى ، والسين سدرة المنتهى ، والميم محمد . وقال عبد الله بن محمد بن عقيل : الطاء طور سيناء ، والسين إسكندرية ، والميم مكة . وقيل : قارعة تحل بقوم [٧] .

وذكر د. محمد غلاب أن المستشرق اسبرانجيو رأى أنها - لكى تفهم - يجب أن تعكس لتكون رمزا لقول القرآن : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [سورة الواقعة : ٧٩] وأن لوث أخذ بهذا الرأى ، ونبذه هيرشفلد ونولدكه وشفالى [٨] .

---

(١) روح ١٦١/٢٣ .

(٢) جامع ٧٤/٢٣ . الزمخشرى ٣٥٨/٣ . ابن عطية ٤١٤/٩ . أبو حيان ٣٨٣/٧ . الإتقان ١٤/٢ . الشوكانى ٤١٩/٣ .

(٣) مفاتيح ١٧٤/٢٦ . النيسابورى ٨٢/٢٣ .

(٤) الجامع ١٤٣/١٥ . الإتقان ١٤/٢ . الشوكانى ٤١٩/٣ .

(٥) روح ١٦١/٢٣ .

(٦) غرائب ٨٢/٢٣ . الآلوسى ١٦١/٢٣ .

(٧) مفاتيح ٨٨/١٣ - ٨٩ .

(٨) نظرات ٤٢ .

(طه)

نقل السيوطى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : هو كقولك : افعل [١] .
ولعل السيوطى كان يقصد تفسير هذا القول المبهم حين قال : قيل : ﴿ طه ﴾ : أى طأ الأرض أو اطمئن ، فيكون فعل الأمر ، والهاء مفعول أو للسكت أو مبدلة من الهمزة [٢] .

ووضح الزمخشرى الأمر ، فنقل عن الحسن البصرى أن النبى - ﷺ - كان يقوم فى تهجده على إحدى رجليه ، فأُمر بأن يطأ الأرض بقدميه معا ، وقال الزمخشرى : الأصل (طأ) فقلبت همزته هاء ، أو قلبت ألفا فى (يطأ) فيمن قال : لا هَناك المَرْتع ، ثم بنى عليه الأمر ، والهاء للسكت [٣] .

وروى ابن عطية هذا الكلام دون عزو إلى أحد [٤] . ونسبه كثيرون إلى الربيع ابن أنس [٥] ، والشوكانى إلى ابن الأنبارى [٦] .

واعترض الرازى على القول بأن الأصل (طَأْها) ثم خففت الهمزة بأنه لو كان كذلك لم تسقط منه الألفان . ورسم المصحف - وإن كان لاينقاس - لكن الأصل فيه موافقته للقياس . فلا يُعدَل عنه لغير داع . وليست هذه الألف فى اسم ولا وسطا كما فى (الحَرث) ونحوه لتحذف ، لاسيما وفى حذفها لبس ، فلا يجوز [٧] .

ونقل القرطبى عن مجاهد ومحمد بن الحنفية : طوبى لمن اهتدى [٨] .

---

(١) الإتقان ١٤/٢ .
(٢) نفسه ١٣/٢ - ١٤ .
(٣) الكشاف ٥٢٨/٤ . الرازى ٣/٢٢ . القرطبى ١٦٧/١١ . أبو حيان ٢٢٤/٦ . النيسابورى ٧٨/١٦ . الشوكانى ٣٥٦/٣ .
(٤) المحرر ٢/١٠ . الخازن ٢٥٦/٣ .
(٥) عياض ١٠٧ . ابن كثير ١٥٠/٣ . الشوكانى ٣٥٦/٣ . الآلوسى ١٤٨/١٦ .
(٦) فتح ٣٥٦/٣ .
(٧) مفاتيح ٣/٢٢ .
(٨) الجامع ١٦٦/١١ . وانظر الشوكانى ٣٥٦/٣ .

وقال الرازى : قال الثعلبى (طا) شجرة طوبى ، والهاء الهاوية ، فكأنه أقسم بالجنة والنار [١] .. وقال الرازى أيضا : الطاء طَول القراء ، والهاء هيبتهم فى قلوب الكفار ، قال الله تعالى : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥١] [٢] . ثم عقب على هذا التأويل وأمثاله قائلا : قد عرفت فيما تقدم أن أمثال هذه الأقوال لايجب أن يُعقَد عليها [٣] .

﴿ ق ﴾

نقل القرطبى عن الزجاج : أى قُضى الأمر ، كما قيل فى ﴿ حم ﴾ : حم الأمر [٤] . وأتى جماعة بهذا القول دون نسبة [٥] . وقال الخازن : معناه قضى الأمر أو قضى ماهو كائن [٦] .

ونقل القرطبى عن أبى بكر الوراق : معناه : قِف عند أمرنا ونَهْينا ولا تَعْدُهما [٧] .

وقال النيسابورى : قف - يامحمد - على أداء الرسالة [٨] . وأضاف السيوطى إليه : والعمل بما أمرت به [٩] .

وقال الآلوسى : يجوز أن يكون (قافِ) أمرا من مفاعلة (قَفا أثره) أى تبعه ، والمعنى اتبع القرآن واعمل بما فيه . ولم يُسمَع مأثورا [١٠] .

---

(١) مفاتيح ٣/٢٢ .

(٢) مفاتيح ٣/٢٢ .

(٣) مفاتيح ٣/٢٢ .

(٤) الجامع ١٢/١٧ .

(٥) الرازى ١٤٥/٢٨ - ٦ . ابن كثير ٢٣٧/٤ . النيسابورى ١٠٥/٢٦ . الإتقان ١٤/٢ .

(٦) لباب ١٧٤/٤ .

(٧) الجامع ١٣/١٧ .

(٨) غرائب ١٠٥/٢٦ .

(٩) الإتقان ١٤/٢ .

(١٠) روح ١٧١/٢٦ .

ولما لم يجد د. رمضان عبد التواب فى تفسيرات القدماء مايرضيه أدار نظره نحو المستشرقين يستطلع ماعندهم . فوجد بور وجوسنز يذهبان إلى أن هذه الحروف ليست إلا اختصارات للأسماء القديمة للسور ، وأن كل واحد منهما حاول معتسفا تكملة ماسماه اختصارا .

أما بور فاقترح التفسيرات الآتية :

يس : يسمى (فى آية ١٩) .

ص : الصافنات (آية ٣٠) .

ق : قرينة (آية ٢٢ ، ٢٦) .

طه : طوى (آية ١٢) + هارون (آية ٣١ ، ٧٣ ، ٩٢ ، ٩٤)

ن : مجنون (آية ٢) .

حم : الجحيم أو جهنم (تردد كثيرا فى هذه السور) .

حم عسق : الجحيم أو جهنم + لعل الساعة قريب (آية ١٧) .

كهيعص : سيكفرون بعبادتهم ، ويكونون عليهم ضدا (آية ٨٢) .

طس : طور سينين (سورة ٢/٩٥) .

طسم : طور سينين (سورة ٢/٩٥) + موسى (يتردد كثيرا فى هذه السور) .

الم : المثانى (سورة ٨٧/١٥) (سور الم الست + المص أو المر) .

الر : الرحمن [١] .

كما افترض أن السور التى تحمل رموزا كانت - ذات يوم - منفصلة عن باقى السور ، عند أحد جماع القرآن ، وأن هذا الجامع فرّق بين الأسماء التى كانت مستعملة حينذاك للسور وبين نص هذه السور ، بأن اختصر هذه الأسماء فى رموز مثل ن ، ق ، ص .. إلخ . ثم جاء الشخص الذى جمع القرآن الجمع الأخير بصورته الحالية ، فلم يدرك أنها اختصارات لأسماء السور ، فأضافها إلى النص نفسه بعد البسملة ، واخترع لبقية السور الخالية من الرموز أسماء أخرى .

---

(١) حول ١٧٨ - ١٧٩ .

وأما جوسنز فقد عاب على بور أنه كان لايختار التكملات أحيانا من السورة التى يوجد الرمز على رأسها ، الأمر الذى جعل دائرة الاختيار أمامه واسعة ، فلم تأت تفسيراته حتمية . وحتم هو تكملة الرمز من سورته نفسها ولكنه لم يجد فى بعض السور تكملة مناسبة للرمز الموجود فى أولها ، فاضطر إلى ارتكاب ماسماه عبد التواب مشقة كبيرة وحماقات لم يكن لها مبرر سوى الهوى والغرض ، مثل افتراض أن سورتين كانتا فى القديم متحدتين ثم فصلتا فيما بعد ، وافتراض نقل آيات معينة من مكانها القديم إلى مكان آخر .

وجاء جوسنز بالتفسيرات الآتية :

ن : النون (فى سورة ٨٧/٢١) = الحوت (فى سورة ن ٤٨/٦٨)

ق : القرآن (آية ١)

يس : آل ياسين (سورة الصافات ١٣٠/٣٧) على اعتبار أن سورة الصافات كانت جزءا من (يس) بعد حذف ١١ آية من أولها !

ص : الصافات (سورة الصافات ١/٣٧) على اعتبار أن الآيات ١-١١ من الصافات كانت موجودة فى أول سورة ص .

الر : الرسل ، لأن هذه المجموعة من السور تحكى قصة الرسل .

المر : المرسلون .

الم : المثل (فى كل سور هذه المجموعة ماعدا سورة السجدة ٣٢) = المضاجع (آية ١٦)

المص : المصور (آية ١٠ كلمة (صورناكم) .

كهيعص : الكهف + يحيى + عيسى + الضلالة (على اعتبار أن سورتى الكهف ومريم كانتا سورة واحدة .

طه : طوى + هارون .

طسم فى سورة الشعراء : الطور (آية ٦٣) + الشعراء (آية ٢٢٤) + موسى (آيات ٩ - ٦٨)

طسم فى سورة القصص : الظل (٢٤) أو الطور (٢٩) أو الطين (٣٨) + الشاطىء (٣٠) + موسى (٢) أو مدين (٢١) .

طس : الطير (آية ١٦) + سليمان (آية ١٦) أو سبأ (آية ٢٢) .

حم : الحميم ، لأن هذه الكلمة توجد فى بعض سور المجموعة ، وإن اختلف معناها من الصديق إلى الماء الحميم .

حم عسق : الحميم + لعل الساعة قريب (آية ١٦)[١] .

ووصم عبد التواب هاتين المحاولتين بالاعتساف وعدم الحتمية ، لأن الرمز (يس) يمكن أن يكون مختصرا من كلمة « يسعى » (آية ١٩) أو « يستهزئون » (آية ٣٠) أو « يستطيعون » (آية ٥٠ ، ٧٥) .. إلخ ، إلى جانب مااقترحه بور ؛ والرمز (الم) يمكن أن يكون مختصرا من كلمة « المؤمن » التى توجد فى سور هذه المجموعة ، و (حم) يمكن أن يكون من « الحمد » أو « الحكيم » .. إلخ ، إضافة إلى مااقترحه جوسنز .

وذهب د. عبد التواب إلى أن هذه الرموز : لو كانت أسماء للسور أو اختصارا للأسماء ، لوجب أن توضع قبل البسملة لابعدها ، كما هو الحال فى العناوين الحالية . وعاب فى تفسيرات جوسنز ترقيع الرمز الواحد من عدة كلمات لا رابطة بينها كما فعل فى كهيعص وطسم [٢] .

وذكر د. محمد غلاب أن المستشرق اسبرانجيو ذهب إلى أن السين تشير إلى سيناء ، والميم إلى موسى ، لأن سورتهما تتحدث عن موسى وطور سينين . و (حم) تشير إلى جهنم ، ولعلها كانت تبتدئ بحــــرف الجيم الذى يشبه حرف الحاء تماما ، فاختلط الأمر على العرب الذين كانت كتابتهم حينذاك غير منقوطة .

ثم عقب على هذه الأقوال قائلا : ونحن لايسعنا أن نعلق على هذا الرأى

---

(١) حول ١٧٩ - ١٨١ .

(٢) حول ١٧٨ - ١٨١ .

بأكثر من أنه يستوجب الضحك حتى فى الأوقات التى يتعسر فيها الضحك ويعز الابتسام [١] .

وجعل د. على حلمى موسى حرف الحاء فى (حم) رمزا للوحى ، والميم لتسهيل الذكر ، و(ق) إشارة إلى القرآن [٢] .

* * *

---

(١) نظرات ٤٣ .

(٢) جريدة الأهرام ١٩٩٣/٣/٣ ص ١٣ .

تفسيرات خاصة بفرق

أورد الرازى تفسيرا صوفيا لفاتحة سورة الشعراء يقول : (طسم) : الطاء إشارة إلى طرب قلوب العارفين ، والسين سرور المحبين ، والميم مناجاة المريدين [١] .

وأورد د. رمزى نعناعة تأويلا لإحدى فرق الشيعة مصحوبا برأيه فيه ، فقال : مما لاينقضى منه العجب ماذكره المولى عبد اللطيف الكازرانى فى « مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار » عن الحجة القائم أنه سئل عن تأويل ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فقال : إن هذه الحروف من أنباء الغيب : أطلع الله عليها عبده زكريا ، ثم فصلها على محمد . وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة . فأهبط الله عليه جبريل فعلمه إياها . فكان زكريا إذا ذكر محمدا وعليا وفاطمة والحسن سُرِّى عنه همه وانجلى كربه . وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة ، ووقعت عليه البهرة . فقال ذات يوم : إلهى ، مابالى إذا ذكرت أربعا منهم تسليت بأسمائهم عن همومى ، وإذا ذكرت الحسين تدمع عينى وتثور زفرتى ؟ فأنبأه - تعالى - عن قصته ، فقال : كهيعص . فالكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة ، والياء يزيد - لعنه الله - وهو ظالم الحسين ، والعين عطشه ، والصاد صبره . فلما سمع زكريا بذلك لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ، منع فيها الناس من الدخول عليه [٢] .

وأورد فى (الم) : الألف من أقصى الحلق ، وهو أول مخارج الحروف ، واللام من طرف اللسان ، وهو وسط المخارج ، والميم من الشفة ، وهى آخر المخارج فهذه إشارة إلى أنه لابد وأن يكون أول ذكر العبد ووسطه وآخره ليس إلا الله تعالى ، على ما قال : ﴿ ففروا إلى الله ﴾ [٣] .

* * *

---

(١) مفاتيح ١١٨/٢٤ .

(٢) مفاتيح ٨/٢ .

(٣) بدع ٦٣ - ٦٤ .

دفاع وهجوم

لعل ابن قتيبة كان أول من دافع عن المختصرات قال : وإن كانت حروفا مأخوذة من صفات الله ، فهذا فن من اختصار العرب . وقلما تفعل العرب شيئا فى الكلام المتصل الكثير إلا فعلت مثله فى الحرف الواحد المنقطع . فكما يستعيرون الكلمة فيضعونها مكان الكلمة لتقارب مابينهما ، أو لأن إحداهما سبب للأخرى ، فيقولون للمطر سماء ، لأنه من السماء ينزل ... وكذلك يستعيرون الحرف فى الكلمة مكان الحرف فيقولون : مَدهته ، بمعنى : مدحته ، لأن الحاء والهاء يخرجان جميعا من مخرج واحد .. [1] .

وتبعه الطبرى فذكر أن أصحاب تفسير هذه الاختصارات نحوا بتأويلهم ذلك نحو قول الوليد بن عقبة :

قلنا لها : قفى لنا . قالت : قافْ لا تحسبى أنا نسينا الإيجافْ

يعنى بقوله : « قالت : قاف » قالت : قد وقفت . فصرفوا قوله : (الم) وما أشبهه إلى نحو هذا المعنى .

قالوا : ومستفيض ظاهر فى كلام العرب أن ينقص المتكلم منهم الأحرف من الكلمة ، إذا كان فيما بقى دلالة على ماحذف منها ؛ ويزيد فيها ماليس منها ، إذا لم تكن الزيادة مُلبسة معناها على سامعها ، كحذفهم – فى الترخيم – الثاء من « حارث » فيقولون : ياحار ، وكما قال آخر منهم :

بالخيرِ خيرات ، وإنْ شَرًّا فا

يريد : فشرا ،

ولا أريد الشر إلا أن تا

يريد : إلا أن تشاء .

---

(١) تأويل ٢٣٢ .

وإلى مثل هذا القول ذهب الأخفش والزجاج وابن فارس وابن الأنبارى [١] .

ورأى السيد محمد على الهندى أن أسلوب استعمال الحروف المقطعة فى القرآن لم يكن حديثا فى الأسلوب الأدبى ، بل هو موجود فى كثير من اللغات . وقد ألف الناس استعماله فى غير ماحرج للدلالة على المعانى التى يقصدونها ، واللغة العربية ليست بدعا من اللغات [٢] .

وشبه محمود شلتوت هذه الحروف بالرموز العلمية . قال : الحروف المقطعة رموز إلى معان لاتخفى على العلماء بالله وبآياته وبأحكامه وبحكمتها . ولدينا أمثلة من علوم الهندسة والكيمياء والطب والفلك والرياضيات . فإذا قرأ الرجل العادى المعادلة ا٢ + يد (١) + ٢ ← يد ٢ أ ، أو كب ٢ + أ٢ ← ثانى أكسيد الكبريت ، فإنه لايستطيع أن يفهم منها شيئا . ولكن الكيميائى يعرف – بمجرد النظر – أن الأولى : اكسجين + إيدروجين يساوى ماء ، والثانية : كبريت + اكسجين يعطى ثانى أكسيد الكبريت . فإذا جاء الرجل العادى وقال : إن هذه الرموز لاتعنى شيئا ، أو أنها أسرار لا يعلمها الإنسان بصفة عامة ، لم يكن – بقوله هذا – حجة على العلم ولا على العلماء [٣] .

ووجه أول هجوم عثرت عليه إلى تفسير هذه الاختصارات نحو تحديدها ، بل إلى نوع خاص من التحديد ، وهو جعلها أسماء للذات العلية ، وكان صاحبه القاضى عبد الجبار . قال : ليس جعلها أسماء لله أولى من جعلها أسماء لبعض رسله من الملائكة أو الأنبياء . فالاسم إنما يصير اسما للمسمَّى بواسطة الوضع والاصطلاح ، وذلك مفقود هاهنا [٤] .

---

(١) جامع ١/٧٠ . ابن عطية ١/١٤٠ ، ٩/٤٢٣ . ابن الجوزى ١/٢١ . القرطبى ٢/١٥٥ . الزركشى ١/١٧٣ . الشوكانى ١/٢٩ . زرزور ١٤١ .

(٢) حمودة ٣/٢٧٩ . شرف ٥٩ .

(٣) شقرف ٦١ – ٦٢ .

(٤) الرازى ٢/١٥ .

ووجه ابن العربى هجومه إلى عملية التأويل عامة ، كما رأينا فى الحديث عن المتشابه .

وجمع الرازى بين هجومين . فقد كره التأويل عامة . ووصم أقوال المؤولين بالضعف ، وأنها لايُعقّد عليها ، لأنها غير موضوعة فى لغة العرب لإفادة المعانى التى فسروها بها ، فلا يجوز القول بها لأن القرآن إنما نزل بلغة العرب . ولو فتحنا هذا الباب لانفتحت أبواب تأويلات الباطنية وسائر الهذيانات (١) .

وتابع ابن جنى فى رفض تخصيصها بأسماء الله ، وأضاف إليه رفض تخصيص آخر أخذه من الطبرى ، وهو تخصيصها باسم معين من أسماء الله . قال : ليست دلالة الكاف مثلا على الكبير أولى من دلالته على الكريم . أو على اسم آخر من أسماء الرسول أو الملائكة أو الجنة أو النار ، فيكون حمله على بعضها دون البعض تحكما لاتدل عليه اللغة أصلا (٢) .

واعترض ابن كثير على دفاع ابن قتيبة والطبرى وغيرهما لأن ماأنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة ينطبق هناك لأن فى السياق مايدل على ماحذف بخلاف الأمر هنا (٣) .

وأوجب ابن خلدون فى تأويل المختصر أن يكون بنقل صحيح ، ثم أعلن أن النقل الصحيح متعذر (٤) .

ووضع رشيد رضا شرطا لقبول التأويل ، فقال : إنما يصح أن يكون فيها إشارة إلى ماذكر ، بشرط أن تتفق مع هداية القرآن . وعلى الرغم من ذلك صرح أنه لايصح أن يقال : إنها مأراد الله (٥) .

---

(١) مفاتيح ١٠/٢ ، ١٧٩/٢١ ، ٣/٢٢ ، ٧٧/٣٠ .

(٢) مفاتيح ١٠/٢ ، ١٧٩/٢١ .

(٣) ابن كثير ٣٧/١ .

(٤) المقدمة ١٠٥٢ .

(٥) المنار ٢٦٤/٨ .

وضرب مثالا لما يمكن أن يقع لو فتح هذا الباب دون شروط ، فقال : يقرب من هذا الضعف والسخف ماعنى به بعض الشيعة من حذف المكرر من هذه الحروف ، وصياغة جمل مما بقى منها فى مدح على المرتضى كرم الله وجهه أو تفضيله وترجيح خلافته ؛ فقوبلوا بجمل أخرى مثلها تنقض ذلك ، كما وضحناه فى مقالاتنا (المصلح والمقلد) [١] .

ورفض عبد الوهاب حمودة القول بالاختصار عامة ، لأن هذا النوع من الدلالات – فى رأيه – لم تعرفه العرب فى مجادلتها ، ولم يكن من أساليب بلاغتها . بل لم نره فى أى نص لبليغ من بلغائهم ، أو فى شعر قديم لأحد من فحول شعرائهم ، ولا سيما الكتاب الكريم . فهو كتاب مبين ، جاء ليوضح أغراضه ومقاصده لا ليلغزها ويبهمها . وهو قد نزل بما ألفه العرب من أساليبهم ، حتى لايكون لهم حجة فى عجزهم عن الإتيان بمثله أو عذر فى فشلهم عن معارضته [٢] .

وذهب د. صبحى الصالح إلى أنه لايخفَى على أحد مافى هذه الآراء كلها من التخرصات والظنون . وأقام رأيه هذا على اختلاف الباحثين – بل الأقوال المتعددة للباحث الواحد – فى الإشارة إلى مرموز الحرف الواحد . واستطرد مؤكدا أن مثل هذه التخرصات لاتقف عند حد ، وماهى إلا تأويلات شخصية مردّها هوى كل مفسر . وختم أقواله متسائلا : لماذا تكون القاف مثلا الحرف الأول من اسم الله القاهر ، لا من اسمه القدوس أو القدير أو القوى ؟ ولماذا تدل العين على العليم لا على العزيز ... ومن أين لنا أن (الم) هى الأحرف البارزة فى الرحمن لا فى الرحيم ولا فى قولهم المشهور : اللهم [٣] ؟

واتفق معهما د . عبد التواب ورأى أن هذا الرأى ليس بشىء ، ولا يستطيع

(١) المنار ١٠٣/١ .
(٢) رسالة ٧٤/١ .
(٣) مباحث ٢٣٩ – ٢٤١ .

النقل ولا البحث الحديث أن يقبله حلا للمشكلة . واستند إلى مااستند إليه حمودة والصالح . وأضاف إليهما أن الناظر إلى الروايات الإسلامية فى هذا الرأى يجدها ترجع - فى معظمها - إلى ابن عباس أو محمد بن كعب من الصحابة . ولاترجع إلى الرسول نفسه ، إلا فى واحد من تفسيرات ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ . وأعلن أنه لم يعثر على هذا الحديث فى كتب الحديث الصحاح مما يشكك فى وروده عن النبى [١] .

ورفض د. غلاب هذه الاختصارات معلنا : فى الحق أن هذه التأويلات قد بلغت من الفروض والتخمينات حد الأخيلة والأحلام التى استوجبت - فى العصور القديمة - سخرية الباقلانى وأمثاله من ذوى العقول الراجحة ، واستهزاءهم بها وبأصحابها ، كما استوجبت - ولا تزال تستوجب فى العصر الحديث - من السخرية أكثر مما كان لدى الأقدمين [٢] .

ووجهت د. عائشة هجومها إلى الزركشى متجاهلة كل من سبقه من أصحاب التفسيرات ، وقالت يبدو أن المناسبة بين الحرف فى أول السورة وحروفها لما لم تطرد فى سائر السور المفتتحة بالحروف ، عمد الزركشى إلى التأويل والتخريج ، حتى خرج بها إلى إشاريات بعيدة من مثل قوله : (الم) جمعت المخارج الثلاثة [٣] ...

وسار على الدرب نفسه سعد العدل وصرح بأن هذا الكلام يفتح لنا باب الاحتمالات لما قد يكون مختصرا بعدد كلمات اللغة العربية ، طالما لم يقم دليل على صحة ما نفترض . وحيث أن أصحاب هذا الاتجاه لم يقدموا ولو دليلا واحدا يثبت صحة مايقولون ، فتبقى فرضيتهم كما هى فى عداد الفروض ونظرية الاحتمالات [٤] .

---

(١) حول ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) نظرات ٣٩ .

(٣) الإعجاز ١٣٤ .

(٤) الهيروغليفية ١٧ .

وتبين هذه الجولة أن عدد المعارضين فاق عدد المؤيدين بكثير ، وأن المؤيدين اعتمدوا على أن الاختصار عُرْف عربى ، وأتوا بشواهد عليه ، وأن المعارضين أنكروا أن يكون الاختصار عرفا عربيا ، وشككوا فى صحة ماأتى به المؤيدون من شواهد أو رأوا أنها لاتنطبق على حالة الحروف المقطعة . واستنكروا التخمينات التى لجئوا إليها ، وعدوها هذيانات ، وخشوا على القرآن من فتح باب التأويل ، كيلا تلج منه الفرق المختلفة . واعتمدوا على أن كل ماينتمى إلى اللغة يجب أن يكون وضعا واصطلاحا بين المتكلمين بها ، وأن ذلك مفقود فى هذه الحروف .

وما أكثر من رفضوا اختصارات معينة ، سواء من الرافضين لمبدأ الاختصار أو المؤيدين له . وكان من الرافضين من رفضوا تحديد الرمز باسم واحد ، وإهمال بقية الأسماء التى تبدأ بهذا الرمز . وكان منهم من رفضوا توجيه الرموز وجهة واحدة ، مع إمكان توجيهها وجهات متعددة .

ووضع ابن خلدون – لقبول هذه الاختصارات – شرط الاعتماد على نقل صحيح ، ورشيد رضا شرط الاتفاق مع هداية القرآن .

* * *

وقفة مع الأحاديث

قدمت بعض الفصول السالفة فى التناول لورود الأحاديث التى صدرت بها حديثى عنها ، لأنها – لو صحت – تدل على أن محاولة تفسيرها بما فسرت به بدأت فى حياة الرسول – ﷺ .

ولكننا – إذا استبعدنا الحديث الخاص بطه ويس اللذين رأينا أن لهما وضعا خاصا يفردهما عن بقية الحروف – وجدنا أن هذه الصحة موضع شك كبير ، ومنذ عهد بعيد .

فقد نفى الطبرى تعرض النبى – ﷺ – للحروف المقطعة بالتفسير ، حين أعلن : لو أراد الله بها ، أو بشىء منها ، الدلالة على معنى واحد مما تحتمله ، دون سائر المعانى ، لأبان ذلك لهم رسول الله – ﷺ – إبانة غير مشكلة ، إذ كان – جلّ ثناؤه – إنما أنزل كتابه على رسوله – ﷺ – ليبين لهم مااختلفوا فيه [١] .

وكذلك فعل الشوكانى . قال : فإن قلت : هل ثبت عن رسول الله فى هذه الفواتح شىء يصلح للتمسك به ؟

قلت : لا أعلم أن رسول الله – ﷺ – تكلم فى شىء من معانيها . ولو كان شىء لما قاله الصحابة مأخوذا عن النبى – ﷺ – لاتفقوا عليه ولم يختلفوا كسائر ماهو مأخوذ عنه . فلما اختلفوا فى هذا ، علمنا أنه لم يكن مأخوذًا عن النبى – ﷺ – ثم لو كان عندهم شىء عن النبى – ﷺ – فى هذا ، لما تركوا حكايته عنه ، ورفعه إليه ، لاسيما عند اختلافهم واضطراب أقوالهم فى مثل هذا الكلام الذى لا مجال للغة العرب فيه ولا مدخل لها [٢] .

وسار على دربهما محمود شلتوت ، قال : لم يصح عن الرسول – ﷺ –

---

(١) جامع ٧٣/١ . شقرف ٥٨ .

(٢) فتح ٣١/١ – ٣٢ . فودة ٢٧٢ .

بيان المراد معها [١] . ووافقهم د. محمود بسيونى فودة حين قال : لم يثبت عن رسول الله - ﷺ - أنه تكلم فى شىء من معانيها [٢] .

ومما له دلالته التى لا تخفى أن هذه الأحاديث لم ترد عند المفسرين الأوائل ، وإنما ظهرت - للمرة الأولى - عند مفسرى القرنين السابع والثامن ، وإن كانوا قد أخذوها من كتب متقدمة . أضيف إلى ذلك ماورد من الشك فيها .

* * *

---

(١) علم الجفر ٥٤ . شحاتة ٨٥ .

(٢) المرشد ٢٧١ .

الترتيب التاريخى لسور الحروف

ذكر عبد الوهاب حمودة أن السيد محمد على الهندى ذهب إلى أنه ينبغى أن نتتبع الترتيب التاريخى لنزول السور للوقوف على تأويل الحروف .

ثم ذكر أن سورة القلم أقدم سورة افتتحت بهذه الحروف ، وأن السياق يرجح تفسير ﴿ ن ﴾ فيها بالقلم ؛ وأن ﴿ الم ﴾ و ﴿ حمٓ ﴾ كل منهما افتتاح لخمس سور ، أو لست إذا أضفنا حرفا ، وأن مجموعة السور التى اتحدت فى حروف افتتاحها اتحدت أيضا فى عصر نزولها : كما هو الشأن فى المجموعة التى مفتتحها ﴿ حمٓ ﴾ و ﴿ الر ﴾ . أما مجموعة ﴿ الم ﴾ فقد نزل أربع سور منها فى العهد المكى ، واثنتان فى العهد المدنى .

وذكر أن خير تأويلات ﴿ الم ﴾ أنا الله عالم . وأعلن أن فى ذلك إشارة إلى التنبؤات بانتصار الإسلام . فإن السور المكية الأربع من هذه المجموعة – مع السورة السابقة عليها ﴿ المص ﴾ – تشير إلى مبدأ التنبؤ ، ثم فى السورتين المدنيتين كمال تلك التنبؤات بالانتصار . فإنه – ﷺ – منذ الهجرة – وهى بدء العهد المدنى – أخذت الانتصارات تتوالى ، وشمس الإسلام تشرق .

ونزلت مجموعة ﴿ حمٓ ﴾ فى الأيام الأخيرة من منتصف العهد المكى ، حيث ذاق الرسول الأمرين من اضطهاد المشركين وإيذائهم . فدلت على صفتين من صفات الله هما الرحمن الرحيم ، وإشارة إلى أنه – على الرغم من سوء أفعالهم – رحيم فى معاملتهم .

وتنتسب مجموعة ﴿ المر ﴾ إلى أخريات العهد المكى الذى بلغت فيه معارضة المشركين مبلغا ليس بعده حد . فأشارت ﴿ الم ﴾ من ﴿ المر ﴾ إلى ما أشارت إليه فى الافتتاحات السابقة .

كذلك تمتّ مجموعة ﴿ طسم ﴾ إلى أواخر سور العهد المكى . وإذا اعتمدنا على موضوعها ظهر لنا أن اللون الغالب عليها هو قصة موسى . ولذا نجترئ ونقول : إنها إشارة إلى طور سينا ، وهو الجبل الذى تلقى عليه موسى

الوحى . وفى ذلك تلميح إلى مشابهة الوحى الذى نزل على محمد بالوحى الذى نزل على موسى فى جبل طور سينا [١] .

وأعلنت د. عائشة عبد الرحمن أن منهجها يتجه ابتداء إلى استقراء كامل لجميع السور المفتتحة بالحروف المقطعة ، مرتبة بحسب النزول ، وهى محاولة لا تعلم أن أحدا ممن قرأت لهم اتجه إليها ، مع أنها التى يمكن أن تهدينا إلى ملحظ مشترك فى هذه السور جميعا ، مأخوذ من تدبر سياقها ، وفهم طبيعة المقام الذى اقتضى إيثارها بهذه الفواتح ، مرتبطا بسير الدعوة عصر المبعث ونزول آيات المعجزة .

وذكرت أن أول سورة نزلت مفتتحة بالحروف هى سورة القلم – وهى ثانى السور على المشهور فى ترتيب النزول – وواضح أن الآيات فيها موجهة إلى تأييد المصطفى وتثبيت قلبه ، فى مواجهة من يكذبونه ويجادلون فى معجزته . فيزعمون أن هذا القرآن من مثل مايسطرون من أساطير الأولين . وربطت بينها وبين سورة العلق التى سبقتها فى النزول .

ووالت تحليل السور تحليلا مطولا على ترتيب نزولها : ن ، ق ، ص ، الأعراف ، يس ، مريم ، طه ، الشعراء ، النمل ، القصص ، يونس ، هود ، يوسف ، الحجر ، لقمان ، غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، إبراهيم ، السجدة ، الروم ، العنكبوت ، البقرة ، آل عمران ، الرعد .

وخلصت من هذا الاستقراء إلى :

١ – أنها بدأت من أوائل الوحى لافتة إلى سر الحرف . ثم كثرت وتتابعت فى أواسط العهد المكى حين بلغ الجدل أشده . فعُرضت قضية التحدى ، وظلت الآيات تعاجزهم وتتحداهم أن يأتوا بمثله أو بسورة منه ، إلى أول العهد المدنى ،

---

(١) رسالة ٢٨٠/٣ – ٢٨٣ .

الذى نزلت فيه آية البقرة ، فحسمت الجدل العقيم ، بعد أن لزمتهم الحجة على صدق المعجزة بعجزهم مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله .

٢ - أكثر السور المبدوءة بالحروف نزلت فى المرحلة التى بلغ فيها عتو المشركين أقصى المدى ، وأفحشوا فى حمل الوحى على الافتراء والسحر والشعر والكهانة ، فواجههم القرآن بالتحدى [١] .

* * *

(١) الإعجاز ١٢٧ ، ١٤٥ - ٦٧ .

رموز هيروغليفية

وفى أواخر سنة ١٩٩٩ أصدر سعد عبد المطلب العدل كتابا بعنوان « الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم » أثار زوبعة من الجدل . فقد رفض كل التفسيرات السابقة عليه ، وسعى إلى تفسير وصَفه بالعلمى . فأدى به هذا إلى أن هذه الرموز ليست حروف هجاء ، وإنما هى كلمات وجمل . ولما وجد أن هذه الكلمات لا تؤدى إلى معنى فى اللغة العربية ، كان لزاما عليه – يقول : أن يبحث فى لغة أخرى من اللغات القديمة أو المعاصرة لنزول القرآن . وهداه البحث إلى اللغة الهيروغليفية [١] .

وقد مهد لهذه النتيجة بعدد من الحقائق والفروض :

أولها أن منطقتنا التى هى قلب العالم اختصها الله بكل الرسالات السماوية [٢] .

وثانيها أن اللغة المصرية القديمة ، التى تعرف الآن تحت مسمى (اللغة الهيروغليفية) كانت لغة عالمية . أى كانت لسان العصر لكل من أراد أن يعبر أو يكتب أو يتكلم حتى بعثة نبينا محمد . واستدل على ذلك بإقامة عدد من الأنبياء فى مصر [٣] .

وثالثها وجود صلات بين اللغتين الهيروغليفية والعربية ، استدل عليها بوجود (كلمات لاتعد ولا تحصى) فى قاموس اللغتين ، وبإطلاق أسماء مصرية الأصل على (معظم أسماء الأماكن والمدن والجبال والقبائل والنبات والحيوان ، وجميع أسماء القبائل اليهودية التى كانت تعيش فى الجزيرة العربية على عهد الرسول) [٤] .

---

(١) ١٨ ، ١٩ .

(٢) ٢٠ .

(٣) ٢٠ – ٢٢ .

(٤) ٢٤ – ٢٩ .

ورابعها وجود صلات بين الهيروغليفية والقرآن ، استدل عليها بكلمات وصفها بأن علاقتها بالعربية ضعيفة مما جعل القرآن يوضحها بإيراد آيات تشرح معناها بعدها أو بالتساؤل عن مرادها ، وفسرها هو من المصرية [١] .

وانطلق المؤلف فى تفسير الحروف بالهيروغليفية ، متوخيا – كما قال – تحديد الرموز القرآنية بإعادة كتابتها بلغتها الأصلية ، ثم البحث عن معانيها فى قاموس اللغة المصرية القديمة ، ثم التأكد من صحة معناها فى السياق ، سواء بالحس اللغوى التفسيرى أو بما نستطيع الحصول عليه من كتب السيرة والسنة من إشارات فى هذا الاتجاه [٢] .

ومثل أية دعوة جديدة : توجس بعض العلماء مما وراءها من خبىء ورحب بها بعضهم بصفتها محاولة للاجتهاد مع التوقف عن الفصل فيها ، وهاجمها بعضهم هجوما صريحا عنيفا .

وكان أهم مااعتُمد عليه فى الرفض :

١ – أن القرآن نص فى ثلاث عشرة سورة على أنه قرآن عربى مبين ، مما يحدد اللغة التى نزل بها تحديدا واضحا .

٢ – أن إسحاق ويعقوب والمسيح لم تكن الهيروغليفية لغتهم أو تعلموها ، وأما الذى كان يعرفها فهما يوسف وموسى مع احتفاظهما بلغة قومهما .

٣ – ليس هناك رسول نزلت عليه رسالة بالهيروغليفية فيما هو معروف فى علم الأديان إلى الآن [٣] .

* * *

---

(١) ٣٠ .

(٢) ٣٥ .

(٣) صوت الأزهر . ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢١ .



الفصل الثانى

نظام الحروف

اسمية الحروف

لم يقصر الدارسون جهودهم على استبانة دلالة الحروف المقطعة ، بل تعدوها إلى استبانة وضعها اللغوى ، وبعض الأمور الأخرى . وكان من أول ما اعتنوا به : هل مازالت هذه الحروف حروفا أو فقدت حرفيتها وصارت أسماء ؟

فنقل لنا الطبرى فى ﴿ حمٓ ﴾ : قال آخرون : بل هو اسم . واحتجوا لقولهم ذلك بقول شريح بن أوفى العبسى :

يذكّرنى ﴿ حمٓ ﴾ والرمحُ شاجرٌ ... فهلّا تلا ﴿ حمٓ ﴾ قبل التقدم

وبقول الكميت :

وجدنا لكم فى آل ﴿ حمٓ ﴾ آية ... تأوَّلها منا تقىٌّ ومُعرب

وحُدِّثت عن معمر بن المثنى عن يونس الجرمى : ومن قال هذا القول فهو منكَر عليه ، لأن السورة ﴿ حمٓ ﴾ ساكنة الحروف ، فخرجت مخرج التهجى ، وهذه أسماء خرجت متحركات . وإذا سميت سورة بشىء من هذه الأحرف المجزومة دخله الإعراب (١) .

وأعلن الزمخشرى فى صراحة : اعلم أن هذه الألفاظ التى يتهجى بها أسماء ، مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركّبت الكلم (٢) .

وأورد قول من قال : هلا زعمت أنها حروف كما وقع فى عبارات المتقدمين ! وأجاب : قد استوضحت بالبرهان النيّر أنها أسماء غير حروف . فعلمت أن

---

(١) جامع ٢٧/٢٤ .

(٢) الكشاف ٧٦/١ . الرازى ٢/٢ . النسفى ٩/١ . أبو حيان ٣٢/١ . البيضاوى ١٢/١ . النيسابورى ١٣٣/١ . أبو السعود ٢٣/١ . الآلوسى ٩٨/١ .

قولهم خليق بأن يُصرَف إلى التسامح . وقد وجدناهم متسامحين فى تسمية كثير من الأسماء التى لايقدح إشكال فى اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف ، مستعملين الحرف فى معنى الكلمة [١] .

وذلك أن قولك : ألف ، دلالته على أوسط حروف (قال) و (قام) دلالة (فرس) على الحيوان المخصوص ، لا فضل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين [٢] .

ألا ترى أن الحرف مادل على معنى فى غيره ، وهذا دال على معنى فى نفسه [٣] .

ولأنها متصرَّف فيها بالإمالة كقولك : أباتا ، وبالتفخيم كقولك : باتا ، وبالتعريف والتنكير ، والجمع ، والتصغير ، والوصف ، والإسناد ، والإضافة ، وجميع ما للأسماء المتصرفة [٤] .

والحق إن الزمخشرى هو الذى أفاض فى شرح اسمية هذه الحروف ، والبرهنة عليها ، فاضطر كل من تعرض لهذا الجانب بعده أن يعتمد على أقواله .

وفرق بعضهم بين مابُدئ بحرف واحد وما بدئ بأكثر . قال الزركشى : أما مابدئ بحرف واحد فاختلفوا فيه : فمنهم من لم يجعل ذلك حرفا . وإنما جعله اسما لشىء خاص ، ومنهم من جعله حرفا ، وقال : أراد [الله] أن يتحقق الحروف مفردها ومنظومها [٥] .

* * *

---

(١) الكشاف ٧٨/١ . النيسابورى ١٣٣/١ . أبو السعود ٢٣/١
(٢) الكشاف ٨٧/١ - ٨٩ .
(٣) الكشاف ٧٩/١ . النسفى ٩/١ .
(٤) الكشاف ٧٩/١ . الرازى ٢/٢ . النسفى ٩/١ . البيضاوى ١٢/١ . النيسابورى ١٣٣/١ . أبو السعود ٢٣/١ . الآلوسى ٩٨/١ .
(٥) البرهان ١٦٨/١ .

إعراب الحروف

خصص سيبويه بابا فى كتابه لإعراب الحروف المقطعة . فأبان أن :

ص لايُصرَف .

ن يجوز صرفه عند من يصرف هندا ، فيجوز رفعه ونصبه .

ص ويس يجوز بناؤهما على الفتح .

حم وطس ويس : لاينصرف ، جعلته اسما للسورة ، أو أضفته إليه ، لأنهم أنزلوه بمنزلة الاسم الأعجمى .

طسم إن شئت بنيته على فتح الجزئين – طاسينَ ميمَ – بمنزلة بعلَبكَّ .
وإن شئت حكيته ، وتركت الحروف ساكنة على حالها .

كهيعص والمر : ليس فيهما إلا الحكاية [١] .

وأفاض الزمخشرى طويلا فى الحديث عن هذا الجانب ، فقال : حكمها – مالم تلها العوامل – أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد ، فيقال : ألفْ ، لامْ ، ميمْ ، كما يقال : واحدْ ، اثنانْ ، ثلاثة . فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب [٢] .

فإن قلت : من أى قبيل هى من الأسماء : أمعربة أم مبنية ؟

قلت : بل هى أسماء معربة . وإنما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الأسماء ، حيث لايمسها إعراب ، لِفقد مقتضيه وموجبه . والدليل على أن سكونها وقف ليس ببناء أنها لو بُنيت لَحُذى بها حذو كيفَ وهؤلاءِ ، ولم يقل : ص ، ق ، ن ، مجموعا فيها بين الساكنين [٣] .

---

(١) الكتاب ٢٥٦/٣ – ٢٥٩ .

(٢) الكشاف ٧٨/١ ، الرازى ٢/٢ . أبو حيان ٣٢/١ . البيضاوى ١٢/١ . النيسابورى ١٣٣/١ . أبو السعود ٢٤/١ ، ٢٦ ، الآلوسى ٩٩/١ . المنار ١٢٢/١ ، ١٩٦/٨ . شرف ٤٨ .

(٣) الكشاف ٨٢/١ – ٣ . الرازى ٣/٢ . النسفى ٩/١ . البيضاوى ١٢/١ . النيسابورى ١٣٤/١ . الآلوسى ٩٩/١ ، ١٠٤ .

وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذى كسره على ذكرها ، فى حد مالا ينصرف ، بباب أسماء السور [١] .

وهى فى ذلك على ضربين : أحدهما مالا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص والمر . والثانى مايتأتى فيه الإعراب . وهو إما أن يكون اسما فردا كص ، وق ، ون ، أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس ، فإنها موازنة لقابيل وهابيل ، وكذلك طسم يتأتى فيها أن تفتح نونها وتصير ميم مضمومة إلى طس ، فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد . فالنوع الأول محكى ليس إلا . وأما النوع الثانى فسائغ فيه الأمران : الإعراب والحكاية [٢] ، قال قاتل محمد بن طلحة السجاد ، وهو شريح بن أوفى العبسى :

يذكرنى ﴿حمٓ﴾ والرمح شاجر فهلا تلا ﴿حمٓ﴾ قبل التقدم

فأعرب حم ومنعها الصرف . وهكذا كل ماأعرب من أخواتها ، لاجتماع سببى منع الصرف فيها ، وهما العلمية والتأنيث . والحكاية أن تجىء بالقول – بعد نقله – على استبقاء صورته الأولى ، كقولك : دعنى من تمرتان ، وبدأت بـ « الحمدُ لله » .

وروى منصوبا ومجرورا . فإن قلت : فما وجه قراءة من قرأ ص ، وق ، ون ، مفتوحات ؟

قلت : الأَوجه أن يقال : ذاك نصب وليس بفتح . وإنما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف . وانتصابها بفعل مضمر نحو (اذكرْ) [٣] .

وحكى أبو سعيد السيرافى أن بعضهم قرأ ﴿ يسٓ ﴾ ويجوز أن يقال : حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [٤] .

---

(١) الكشاف ٨٣/١ .

(٢) الكشاف ٨٣/١ . الرازى ١١/٢ – ٢ . الزركشى ١٧١/١ . النيسابورى ١٣٨/١ . أبو السعود ٢٦/١ . الآلوسى ١٠٤/١ .

(٣) الكشاف ٨٤/١ – ٨٦ . النيسابورى ١٣٨/١ – ٩ . الآلوسى ١٠٥/١ .

(٤) الكشاف ٨٦/١ . النيسابورى ١٣٩/١ . أبو السعود ٢٦/١ .

والذى يبسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر بهذه الأسامى ، شاكلت لذلك مااجتمع فى آخره ساكنان من المبنيات . فعوملت تارة معاملة الآنَ ، وأخرى معاملة هؤلاءِ [(١)] .

فإن قلت : هلا زعمت أن ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ - عند نصبها - مقسم بها ، وأنها نُصبت نصبَ قولهم : نِعَمَ اللهِ لأفعلن ، وآىَ اللهِ لأفعلن ، على حذف حرف الجر ، وإعمال فعل القسم !

قلت : إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما . فلو زعمت ذلك لجمعت بين قَسَمين على مُقْسَم واحد . وقد استكرهوا ذلك [(٢)] .

فإن قلت : فقدِّرها مجرورة بإضمار الباء القسمية لا بحذفها ، فقد جاء عنهم : اللهِ لأفعلن - مجرورا - واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير إلى ما أشرت إليه !

قلت : هذا لايبعد عن الصواب ، ويعضده ماورووا عن ابن عباس أنه قال : أقسم الله بهذه الحروف [(٣)] .

فإن قلت : هل تسوّغ لى فى المحكية مثل ماسوغت لى فى المعربة من إرادة معنى القسم ؟

قلت : لاعليك فى ذلك ، وأن تقدر حق القسم مضمرا فى نحو قوله : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ كأنه قيل : أقسم بهذه السورة ، والكتاب المبين ، إنا جعلناه [(٤)] .

فإن قلت : هل لهذه الفواتح محل من الإعراب ؟

---

(١) الكشاف ٩١/١ . النيسابورى ١٣٩/١ . أبو السعود ٢٦/١ .
(٢) الكشاف ٨٦/١ - ٨٧ . أبو السعود ٢٦/١ .
(٣) الكشاف ٩٠/١ - ٩١ .
(٤) الكشاف ٩١/١ - ٩٢ .

قلت : نعم ، لها محل فيمن جعلها أسماء السور ، لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام .

فإن قلت : ما محلها ؟

قلت : يحتمل الأوجه الثلاثة : أما الرفع فعلى الابتداء ، وأما النصب والجر فلِما مرّ من صحة القسم بها وكونها بمنزله ﴿ الله والله ﴾ على اللغتين .

ومن لم يجعلها أسماء للسور ، لم يتصور أن يكون لها محل فى مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة [١] .

وأجمل ابن عطية الحديث عنها مع الشمول فقال : الوقف على هذه الحروف على السكون لنقصانها ، إلا إذا أخبرت عنها أو عطفتها ، فإنك تعربها . وموضع ﴿ الم ﴾ من الإعراب رفع على أنه خبر ابتداء مضمر ، أو على أنه ابتداء [٢] ، أو نصب بإضمار فعل ، أو خفض بالقسم . وهذا الإعراب يتجه الرفع منه فى بعض الأقوال المتقدمة فى الحروف ، والنصب فى بعض ، والخفض فى قول ابن عباس : إنها أسماء لله ، أقسم بها [٣] .

وكشف القرطبى عن موقف النحاة منها فقال : اختُلف : هل لها محل من الإعراب ؟ فقيل : لا ، لأنها ليست أسماء متمكنة ، ولا أفعالا مضارعة ، وإنما هى بمنزلة حروف التهجى ، فهى محكية . هذا مذهب الخليل وسيبويه . ومن قال : إنها أسماء السور ، فموضعها عنده الرفع على أنها عنده خبر ابتداء مضمر ، أى هذه ﴿ الم ﴾ ، كما تقول : هذه سورة البقرة ، أو تكون رفعا على الابتداء . والخبر ذلك ، كما تقول : زيد ذلك الرجل . وقال ابن كيسان النحوى : ﴿ الم ﴾ فى موضع نصب كما تقول : اقرأ ﴿ الم ﴾ ، أو عليك ﴿ الم ﴾ . وقيل : فى موضع خفض بالقسم ، لقول ابن عباس [٤] .

---

(١) الكشاف ١٠٧/١ – ١٠٨ . الرازى ١٢/٢ . النسفى ١٠/١ . ابن جزى ٦٠/١ . النيسابورى ١٣٩/١ . الشربينى ١٥/١ .

(٢) المحرر ١٤١/١ . وانظر المنار ٤/١٢ .

(٣) المحرر ٦/١ .

(٤) جامع ١٥٦/١ – ١٥٧ .

نظام الحروف المستخدمة

كان أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى أول من أشار إلى أن الحروف المقطعة المذكورة فى أول السور ذات نظام خاص ، فقد جعل المعنى [الوجه] التاسع من معانى بديع نظم القرآن المتضمن للإعجاز .

١ – أن الحروف التى بُنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا ، وعدد السور التى افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة [١] .

٢ – وجملة ماذكر من هذه الحروف فى أوائل السور نصف الجملة ، وهو أربعة عشر حرفا [٢] ، ليدل بالمذكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التى ينظمون بها كلامهم .

٣ – والذى تنقسم إليه هذه الحروف – على ماقسمه أهل العربية ، وبنوا عليها وجوهها – أقسام ، نحن ذاكروها :

فمن ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة ، وأخرى مجهورة . فالمهموسة عشرة ، وهى الحاء ، والهاء ، والخاء ، والكاف ، والشين ، والثاء ، والفاء ، والتاء ، والصاد ، والسين . وما سوى ذلك من الحروف فهى مجهورة .

وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة فى جملة الحروف المذكورة فى أوائل السور . وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء ، لا زيادة ولا نقصان .

وكذلك مما يقسمون إليه الحروف ضربان : أحدهما حروف الحلق ، وهى ستة أحرف : العين ، والحاء ، والهمزة ، والهاء ، والخاء ، والغين .

---

(١) إعجاز ٤٤ . الزمخشرى ١٠١/١ . الرازى ١٢/٢ . النسفى ٩/١ . الخازن ٢٧/١ . البيضاوى ١٢/١ . الزركشى ١٦٦/١ – ١٧٧،٨ – ٨ . النيسابورى ١٣٧/١ . أبو السعود ٢٥/١ . الشوكانى ٢٩/١–٣٠ . الآلوسى ١٠١/١ . صبيح ١٥٢ . حمودة ١٩٥/٢ . غلاب ٣٧ . شرف ٣٧ . بن نبى ٣٣٠ . عائشة ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٤٠ . إسماعيل ٢٦٦ . حمادة ١٦٠ . أحمد ٢٠٥ . ظاهرة ١٣٧ . كفافى ١٣٣ . خليف ٨٠ . شقرف ٣٣ .

(٢) انظر « عدد الحروف » .

والنصف من هذه الحروف [الحلْقية] مذكور فى جملة الحروف التى تشتمل عليها الحروف المثبتة فى أوائل السور . وكذلك النصف من الحروف التى ليست بحروف الحلق .

وكذلك تنقسم هذه الحروف إلى قسمين آخرين : الحروف الشديدة ، وهى التى تمنع الصوت أن يجرى فيه ، وهى الهمزة ، والقاف ، والكاف ، والجيم ، والظاء ، والذال ، والطاء ، والباء ؛ والحروف غير الشديدة .

ومن ذلك الحروف المُطْبَقة ، وهى أربعة أحرف : الطاء ، والظاء ، والصاد ، والضاد ؛ وما سواها منفتحة .

وقد علمنا أن نصف هذه وتلك مذكور فى جملة تلك الحروف المبدوء بها فى أوائل السور .

فدل وقوع الحروف المقطعة الموقع الذى يقع التواضع عليه ، بعد العهد الطويل ، أنه لايجوز أن يقع إلا من الله ، لأن ذلك يجرى مجرى علم الغيوب .

وإن كان اللغويون إنما تنبهوا على مابُنى عليه اللسان فى أصله ، ولم يكن لهم فى التقسيم شىء ، فذلك أيضا من البديع الذى يدل على أن أصل وضعه وقع موقع الحكمة التى يقصر عنها اللسان .

فإن كان أصل اللغة توقيفا ، فالأمر فى ذلك أَبْين . وإن كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضا ، لأنه لاتصح أن تجتمع هممهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله ، وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة فى ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من وجه [١] .

نستبين مما سبق أن الباقلانى وقف فى نظام الحروف المقطعة عند ثلاثة جوانب : عدد السور التى وردت فى أوائلها ، وعدد الحروف نفسها ، واحتوائها على نصف كل واحد من أجناس حروف اللغة ، وعلى هذا الترتيب أتحدث عنها .

---

(١) إعجاز ٤٤ – ٥٥ . المنار ٢٦٢/٨ . عائشة ١٢٨ . أبو زيد ٢١٧ – ٢١٨ .

عدد السور

اتفق الزمخشرى مع الباقلانى فى أن الحروف المقطعة وردت فى صدر تسع وعشرين سورة ، أى على عدد حروف المعجم [١] .

وأَوَّلَ محيى الدين بن عربى هذا العدد تأويلا صوفيا ، فقال فى « الفتوحات المكية » : جعلها - تبارك وتعالى - تسعا وعشرين سورة ، وهو كمال الصورة ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ ﴾ [سورة يس : ٣٩] . والتاسع والعشرون القطب الذى به قوام الفلك ، وهو علة وجودة ، وهو سورة آل عمران ﴿ الم الله ﴾ . ولولا ذلك ماثبتت الثمانية والعشرون [٢] .

وأوّلها الزركشى تأويلا قريبا فقال : الأَولى أن الأحرف إنما جاءت فى تسع وعشرين سورة ، لتكون عدة السور دالّة لنا على عدة الحروف . فيعلم أن الأربعة عشر عوض عن تسعة وعشرين . ويحتمل أن السور المبدوءة بالحروف خصصت بعلامات لفضيلة ، وَجَب من أجلها أن تُعلَم لينبه على فضلها [٣] .

ولست أدرى علام اعتمد محمد عزة دروزة عندما جعلها ٢٧ سورة [٤] .

وذهب مالك بن نبى إلى أن فى وجود هذه الحروف فى بعض السور دون بعضها الآخر مايدل على وجود تنظيم ضمنى مقصود ، ينفى افتراض الصدفة ، أو مجرد شرود ذات سلبية غير واعية [٥] .

---

(١) الكشاف ١٠١/١ . الزملكانى ٥٩ . الزركشى ١٦٥/١ - ٨ ، ١٧٧ - ١٠٨ . الشوكانى ٢٩/١ . المنار ٢٦٢/٨ . صبيح ١٠١ . غلاب ٣٧ . عبد التواب ١٦٥ . حمادة ١٦٠ ، ١٦٣ . زرزور ١٣٩ . العدل ٩ .

(٢) الآلوسى ١٠١/١ . الصالح ٢٣٨ .

(٣) البرهان ١٧٨/١ .

(٤) القرآن ٣٥٠ .

(٥) الظاهرة ٣٣٣ .

ونقل د. محمد غلاب أن بعض الباحثين رتب السور التى ابتدأت بها ووضع لها جدولاً على النحو التالى :

سورة ٢ البقرة الم	سورة ١٠ يونس الر	سورة ١٣ الرعد المر
سورة ٣ آل عمران الم	سورة ١١ هود الر	سورة ١٤ إبراهيم المر
سورة ٧ الأعراف المص	سورة ١٢ يوسف الر	سورة ١٥ الحجر الر
سورة ١٩ مريم كهيعص	سورة ٣١ لقمان الم	سورة ٤٣ الزخرف حم
سورة ٢٠ طه	سورة ٣٢ السجدة الم	سورة ٤٤ الدخان حم
سورة ٢٦ الشعراء طسم	سورة ٣٦ يس يس	سورة ٤٥ الجاثية حم
سورة ٢٧ النمل طس	سورة ٣٨ ص ص	سورة ٤٦ الأحقاف حم
سورة ٢٨ القصص طسم	سورة ٤٠ غافر حم	سورة ٥٠ ق ق
سورة ٢٩ العنكبوت الم	سورة ٤١ فصلت حم	سورة ٦٨ القلم ن
سورة ٣٠ الروم الم	سورة ٤٢ الشورى حم عسق	

* * *

عدد الحروف

ذكر الباقلانى - كما رأينا - أن عدد حروف اللغة ٢٩ ، وعدد الحروف المقطعة ١٤ ، وعلى الرغم من ذلك وصفها بأنها نصفها . ثم استدرك الأمر فقال : يشبه أن يكون التنصيف وقع فى هذه الحروف دون الألف ، لأن الألف قد تُلغَى ، وقد تقع هى والهمزة موقعا واحدا (١) .

واتفق معه الزمخشرى ، وسرد هذه الحروف ، فقال : اعلم أنك - إذا تأملت ما أورده الله فى الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامى حروف المعجم : أربعة عشر سواء ، وهى الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون (٢) .

وفطن الزمخشرى إلى أن الحروف التى ذكرها القرآن كثيرة الدوران ، قال :

إنك إذا استقريت الكلم وتراكيبها ، رأيت الحروف التى ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها . فسبحان الذى دقت فى كل شىء حكمته .. ومما يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا فى تراكيب الكلم أن الألف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها ، جاءتا فى معظم هذه الفواتح مكررتين ، وهى فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والأعراف والرعد ويونس وإبراهيم وهود ويوسف والحجر (٣) .

---

(١) إعجاز ٤٦ . البيضاوى ١٢/١ .

(٢) الكشاف ١٠٠/١ - ١ . الرازى ١٢/١ ، ٣٩/٢٦ . الزملكانى ٥٨ . ابن أبى الإصبع ٧٥ - ٧٦ . النسفى ٩/١ . الخازن ٢٦/١ . ابن كثير ٣٧/١ . البيضاوى ١٢١/١ . الزركشى ١٦٥/١ . ١٧٦ . النيسابورى ١٣٧/١ . الإتقان ١٣/٢ . الشوكانى ٢٩/١ . الآلوسى ١٠١/١ . المنار ٢٦٢/٨ الصالح ٢٣٥ . حمودة ٧٥/١ . شرف ٣٧ . عبد التواب ١٦٥ . غلاب ٣٧ . عائشة ١٢٧ . إسماعيل ٢٦٧ . حمادة ١٦٠ ، ١٦٣ . أحمد ٢٠٦ . زرزور ١٤٠ ، ١٤٣ . العمرى ١٠٨ - ١٠٩. شحاتة ٨٣ . شقرف ٣٣ . أبو زيد ٢١٥ - ٢١٦ .

(٣) الكشاف ١٠٣/١ - ١٠٤ .

وحصر ابن أبى الإصبع ورود هذه الحروف فى السور حسب بنيتها ، فقال :
١ – المفردات . أى الفواتح من حرف واحد – ثلاث سور ، هى ص ، ق ، ن
٢ – الثنائيات تسع سور ، وهى طه ، طس ، يس ، والحواميم سوى الشورى .
٣ – الثلاثيات ثلاث عشرة سورة ، وهى ثلاثة أضرب :
ضرب افتتح بـ ﴿ الٓمٓ ﴾ وهو ست سور : البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة .
وضرب افتتح بـ ﴿ الٓر ﴾ وهو خمس سور : وهى يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر .
وضرب افتتح بـ ﴿ طسٓمٓ ﴾ ، وهو سورتان : الشعراء ، القصص .
٤ – الرباعيات سورتان ، وهما ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ الأعراف ، و ﴿ الٓمٓر ﴾ الرعد .
٥ – الخماسيات سورتان أيضا ، وهما ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ مريم ، و ﴿ حمٓ عٓسٓقٓ ﴾ الشورى [١] .

وذهب الرازى إلى أن حروف لسان العرب ٢٨ حرفا ، على قولنا : الهمزة ألف متحركة [٢] .

وذكر أنه – تعالى – قسم الحروف ثلاثة أقسام :
١ – تسعة أحرف من الألف إلى الذال .
٢ – وتسعة أحرف أُخر فى آخر الحروف من الفاء إلى الياء .
٣ – وعشرة من الوسط : من الراء إلى العين .

وأعلن أنه ذكر من القسم الأول حرفين ، هما الألف والحاء ، وترك سبعة . وترك من القسم الثانى حرفين ، هما الفاء والواو ، وذكر سبعة . وذكر من القسم الأخير حرفا وترك حرفا : فذكر الراء وترك الزاى ، وذكر السين وترك الشين ، وذكر الصاد وترك الضاد ، وذكر الطاء وترك الظاء ، وذكر الغين وترك العين .

---

(١) الخواطر ٧٥ – ٧٦ . الرازى ٣٩/٢٦ . الزركشى ١٦٧/١ . الصالح ٢٣٤ – ٢٣٥ . حمادة ١٥٩ . زرزور ١٣٩ . العمرى ١٠٧ . العدل ١٠ – ١١ .
(٢) مفاتيح ٣٩/٢٦ .

ولم يترك من القسم الأول ، من حروف الحلق والصدر ، إلا واحدا ، لم يذكره ، وهو الخاء ، ولم يذكر من القسم الثانى ، من حروف الشفة ، إلا واحدا لم يتركه ، وهو الميم [١] .

وإذا كان الزمخشرى نظر إلى مدى دوران الحروف المذكورة والحروف المهملة فى الكلام ، فإن ابن كثير نظر إلى قدرها فى ذاتها ، ورأى أن المذكور منها أشرف من المتروك [٢] .

وقال الزركشى : هذا واضح على من عدّ حروف المعجم ثمانيا وعشرين حرفا ، وقال : (لا) مركبة من اللام والألف . والصحيح أنها تسعة وعشرون حرفًا . والجواب على هذا المذهب أن الحرف لايمكن تنصيفه ، فيتعين سقوطه ، لأنه الأليق بالإيجاز [٣] .

وحصر مجموعها الكلى وتفاصيله ، فقال : اعلم أن الأسماء المتهجاة فى أول السور ثمانية وسبعون حرفا [٤] .

فالكاف والنون : كل واحد منهما فى مكان واحد .
والعين والياء والهاء والقاف : كل واحد فى مكانين .
والصاد فى ثلاثة .
والطاء فى أربعة .
والسين فى خمسة .
والراء فى ستة .
والحاء فى سبعة .
والألف واللام فى ثلاثة عشر .
والميم فى سبعة عشر [٥] .

---

(١) مفاتيح ٣٩/٢٦ .
(٢) التفسير ٣٧/١ .
(٣) البرهان ١٧٦/١ - ١٧٧ .
(٤) نفسه ١٦٧/١ . شقرف ٣٣ .
(٥) نفس الموضع .

وذكر الزرقانى أن الله خلق العالم منظما محكما ، متناسقا متناسبا .
والكتاب السماوى - إذا جاء مطابقا لنظامه ، موافقا لإبداعه - دل ذلك على أنه من عنده . والعالم المشاهد فيه عدد الثمانية والعشرين ، وذلك فيماياتى :

١ - مفاصل اليدين فى كل يد أربعة عشر .
٢ - خرزات عمود ظهر الإنسان منها أربع عشرة فى أسفل الصلب ، وأربع عشرة فى أعلاه .
٣ - خرزات العمود التى فى أصلاب الحيوانات التامة الخلقة كالبقر والجمال والحمير والسباع وسائر الحيوانات التى تلد أولادها ، منها أربع عشرة فى مؤخر الصلب وأربع عشرة فى مؤخر البدن .
٤ - عدد الريشات التى فى أجنحة الطير المعتمدة عليها فى الطيران أربع عشرة ريشة ظاهرة فى كل جناح .
٥ - عدد الخرزات التى فى أذناب الحيوانات الطويلة الأذناب كالبقر والسباع .
٦ - عمود صلب الحيوانات الطويلة الخلقة ، كالسمك والحيات وبعض الحشرات .
٧ - عدد الحروف التى فى لغة العرب التى هى أتمّ اللغات - ثمان وعشرون حرفا . منها أربعة عشر يدغم فيها لام التعريف ، وأربعة عشر لاتدغم اللام فيها .
٨ - الحروف التى تخَط بالقلم قسمان . منها أربعة عشر معلمة بالنقط وهى : ب ت ث ...
وأربعة عشر غير معلمة ، وهى ا ح د ... وبقيت الياء ، وهى تنقط فى وسط الكلمة ، ولا تنقط فى آخرها .
٩ - منازل القمر ثمان وعشرون منزلة . فى البروج الشمالية أربع عشرة ، وفى الجنوبية أربع عشرة ...

فمن أين لبشر كمحمد أو غيره أن ينظم هذا النظام ، ويجعل هذه الأعداد موافقة للنظام الذى وضعته ؟

إن القرآن تنزيل منى . وقد وضعت هذه الحروف فى أوائل السور لتستخرجوا منها ذلك (١) .

وذكر د. محمد رشاد خليفة أن القرآن يتميز بخاصة هامة ، هى وجود الحروف النورانية المعروفة باسم فواتح السور . فإننا نجد بالضبط (١٤) حرفا تشترك فى (١٤) فاتحة من فواتح السور . وهذه الفواتح نجدها فى ٢٩ سورة ، لأن بعض هذه الفواتح تجىء فى أكثر من سورة فإذا جمعنا ١٤ + ١٤ + ٢٩ = نجد أن المجموع ٥٧ ، وهو ثلاثة أضعاف رقم (١٩) . ونجد أن الرقم (١٩) هو القاسم المشترك الأعظم بين جميع فواتح السور دون استثناء (٢) .

وذهب د. غلاب إلى أنه مما هو خليق بالذكر هنا أن جميع حروف فواتح السور نجدها فى فاتحة الكتاب .

ومن ذلك أيضا أن علماء العلوم الخفية اتفقوا على أن الحروف الهجائية قسمان :

أولهما حروف النور المتعلقة بالأمور العلوية .

والآخر حروف الظلمة المتعلقة بالأمور السفلية .

وجميع حروف فواتح السور هى حروف النور كلها . وليس منها حرف واحد من حروف الظلمة (٣) .

ونقل عبد المنعم شقرف أن محيى الدين بن عربى حصر تكرار كل واحد من الحروف المقطعة ، فكانت النتيجة كما يلى :

---

(١) مناهل ١/٢٢٧ - ٢٢٩ .
(٢) الحمصى ١٩٧ ، ٢٨٥ .
(٣) نظرات ٤٥ .

حرف الألف	١٣ مرة	حرف الحاء	٧ مرات
حرف الراء	٦ مرات	حرف السين	٥ مرات
حرف الصاد	٣ مرات	حرف الطاء	٤ مرات
حرف العين	مرتين	حرف القاف	مرتين
حرف اللام	١٣ مرة	حرف الميم	١٣ مرة
حرف النون	مرة واحدة	حرف الهاء	مرتين
حرف الياء	مرتين(١)		

ورصد سعد العدل المرات التى تكررت فيها هذه الرموز . فجاءت كما يلى :

الم	تكرر	٦ مرات
المص		١ »
الر		٥ »
المر		١ »
كهيعص		١ »
طه		١ »
يس		١ »
طس		١ »
طسم		٢ »
حم عسق		١ »
حم		٦ »
ص		١ » وتكررت فى آخر كهيعص والمص
ق		١ » » » » » عسق
ن		١ » (٢)

(١) علم الجفر ٣٣ - ٣٤ . وانظر العدل ٩ .

(٢) الهيروغليفية ١٠ .

أجناس الحروف

تبين لنا أن الباقلانى فطن إلى أن الحروف المقطعة اشتملت على نصف الحروف المجهورة والمهموسة ، والحلقية وغيرها ، والشديدة وغيرها ، والمطبقة والمنفتحة .

وقد اتفق معه فى هذه الظاهرة الزمخشرى ، غير أنه توسع فيها وجعلها نظرية أثرت فيمن جاء بعده ، قال : إذا نظرت فى هذه الحروف الأربعة عشر وجدتها مشتملة على نصف أجناس الحروف . بيان ذلك أن فيها :

من المهموسة نصفها : الصاد ، والكاف ، والهاء ، والسين ، والحاء .

ومن المجهورة نصفها : الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والباء والنون .

ومن الشديدة نصفها : الألف والكاف والطاء والقاف .

ومن الرخوة نصفها : اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون .

ومن المطبقة نصفها : الصاد والطاء .

ومن المنفتحة نصفها : الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون .

ومن المستعلية نصفها : القاف والصاد والطاء .

ومن المنخفضة نصفها : الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون .

ومن حروف القلقلة نصفها : القاف والطاء ..

فسبحان الذى دقت فى كل شىء حكمته [١] .

---

(١) الكشاف ١/١٠١ - ٣ . الزملكانى ٥٩ . النسفى ١/٩ -١٠ . ابن كثير ١/٣٧ . البيضاوى ١/١٢ . الزركشى ١/١٦٦ . النيسابورى ١/١٣٧ . الإتقان ٢/١٣ . الشوكانى ١/٢٩ . الآلوسى ١/١٠١ . الصالح ٢٣٦ . حمودة ١/٧٥ . عائشة ١٢٧ - ١٢٨ . حمادة ١٦٠ ، ١٦٣ . العمرى ١٠٩ . شحاتة ٨٦ . زرزور ١٤٣ . أبو زيد ٢١٦ - ٢١٧

وزاد البيضاوى عليه : ومن اللينتين الياء لأنها أقل ثقلا .

ومن حروف البدل - وهى ثمانية عشر - الألف والهاء والطاء والميم والياء والنون واللام والصاد والعين .

ومما يدغم فى مثله ، ولا يدغم فى المقارب - وهى خمسة عشر : الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والحاء ، أى نصفها الأقل .

ومما يدغم فيهما - وهى ثلاثة عشر - نصفها الأكثر : الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون ، لما فى الإدغام من الخفة والفصاحة .

ومن الأربعة التى لاتدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها نصفها : الميم والسين .

ولما كانت الحروف الذلقية - التى يعتمد عليها بذلق اللسان ، وهى ستة يجمعها « رب منفل » ، والحروف الحلقية ، كثيرة الوقوع فى الكلام ، ذكر ثلثيهما .

ولما كانت أبنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ، ذكر من الزوائد العشرة التى يجمعها « اليوم تنساه » سبعة أحرف منها ، تنبيها على ذلك [١] .

ويبدو أن نسخة الكشاف التى كانت عند الزركشى كانت ناقصة ، فعابه بإهمال الحروف الشديدة والمنفتحة ، ثم أضاف إليه أشياء أخرى ، قال : بقى عليه من الأصناف الشديدة والمنفتحة ، وقد ذكر - تعالى - نصفها .

أما حروف الصفير فهى ثلاثة ليس لها نصف ، فجاء منها السين والصاد .

وكذلك الحروف اللينة ثلاثة ، ذكر منها اثنين : الألف والياء .

أما المكرر - وهو الراء - والهاوى - وهو الألف - والمنحرف - وهو اللام - فذكرها .

ولم يأت خارجا عن هذا النمط إلا مابين الشديدة والرخوة ، فإنه ذكر فيه أكثر من النصف [٢] .

---

(١) أنوار ١٢/١ - ١٣ .

(٢) البرهان ١٦٦/١ .

والحق إن أغلب ماأضافه البيضاوى والزركشى لاتنطبق عليه نظرية الأنصاف التى نادى بها الباقلانى والزمخشرى .

وقال الزركشى أيضا : تأمل اقتران الطاء بالسين والهاء فى القرآن – يريد طه وطس – فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها ، وهى الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والإصمات ، والسين مهموس رخو مستفل صفيرى منفتح . فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها كالسين والهاء . فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف [١] .

وأضاف السيوطى : ومن التى فوق حروف الحلق : القاف والكاف ، ومن الحرفين الشفهيين : الميم [٢] .

وأراد أبو السعود أن تتسع عبارته لكل ماذكر – وبخاصة فى الأعداد – دون أن يعيبها أحد ، فصرح أن الحروف المقطعة تنطوى على أنصاف أصنافها تحقيقا أو تقريبا [٣] .

وعاب الشوكانى فعل [الباقلانى و] الزمخشرى ومن تبعهما فقال : هذا التدقيق لا يأتى بفائدة يعتدّ بها . وبيانه أنه – إذا كان المراد منه إلزام الحجة والتبكيت – كما قال – فهذا متيسر بأن يقال لهم : هذا القرآن هو من الحروف التى تتكلمون بها ليس هو من حروف مغايرة لها . فيكون هذا تبكيتا وإلزاما يفهمه كل سامع منهم من دون إلغاز ، وتعمية ، وتفريق لهذه الحروف فى فواتح تسع وعشرين سورة ، فإن هذا – مع مافيه من التطويل الذى لا يستوفيه سامعه إلا بسماع جميع هذه الفواتح – هو أيضا مما لا يفهمه أحد من السامعين ولا يتعقَّل شيئا منه ، فضلا عن أن يكون تبكيتا له وإلزاما للحجة أيا كان . فإن ذلك هو أمر وراء الفهم .

---

(١) البرهان ١٦٩/١ . أحمد ٢٠٧ .

(٢) الإتقان ١٣/٢ . الصالح ٢٣٦ . العمرى ١٠٩ .

(٣) إرشاد ٢٥/١ . إسماعيل ٢٦٧ .

ولا ذكر أهل العلم عن فرد من أفراد الجاهلية الذين وقع التحدى لهم بالقرآن أنه بلغ فهمه إلى بعض هذا فضلا عن كله .

ثم كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف التى ركبت لغة العرب منها ... هو أمر لا يتعلق به فائدة لجاهلى ولا إسلامى ، ولا مقرّ ولا منكر ، ولا مسلم ولا معارض ، ولايصح أن يكون مقصدا من مقاصد الرب ، الذى أنزل كتابه للإرشاد إلى شرائعه والهداية به .

وهب أن هذه صناعة عجيبة ونكتة غريبة ، فليس ذلك ما يتصف بفصاحة ولا بلاغة حتى يكون مفيدا أنه كلام بليغ أو فصيح .

وإذا عرفت هذا ، فاعلم أن من تكلم فى بيان معانى هذه الحروف جازما بأن ذلك هو ماأراده الله فقط ، غلط أقبح الغلط ، وركب فى فهمه ودعواه أعظم الشطط [١] .

وعلق د. صبحى الصالح على هذه الظاهرة قائلا : إذا كنا اليوم – بعقلية القرن العشرين – لا نرى فى هذا الأمر أكثر من مصادفة ، فما كان ليخطر على بال السلف الصالح إلا أن الفواتح نظمت فى القرآن على هذا النمط منذ الأزل ، لتحتوى على كل مامن شأنه إعجاز البشر عن الإتيان بمثل هذا الكتاب العزيز ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا [٢] .

ووصفها عبد الوهاب حمودة بأنها أشبه ببرلمان تمثل هذه الأحرف الأربعة عشر أخواتها الباقية [٣] .

وعلق د. نصر حامد على كلام الباقلانى قائلا : إن الدلالة التى يضفيها الباقلانى هنا دلالة مشابهة لدلالة « الإخبار عن الغيوب » على إعجاز النص . ولكن

---

(١) فتح ٣٠/١ .

(٢) مباحث ٢٣٦ .

(٣) رسالة ٧٥/١ .

علينا أن نكون على ذكر بأن هذه الدلالة دلالة أضافتها الثقافة على هذه الحروف بعد تطور الدرس اللغوى . ولا يقلل من هذه الدلالة الآن أن تقسيم الأصوات مخالف لتقسيم القدماء الذين كانوا يعتمدون على مجرد الملاحظة المباشرة . هذا بالإضافة إلى تطور نطق بعض الأصوات فى اللغة الحديثة [١] .

* * *

---

(١) مفهوم ٢١٨ .

بنية الحروف

لاحظ الزمخشرى اختلاف بنية هذه الحروف فى السور المختلفة ، وبحث عن علته ، فقال : فإن قلت : فهلا جاءت على وتيرة واحدة ! ولم اختلفت أعداد حروفها ، فوردت ص وق ون على حرف واحد ، وطه وطس ويس وحم على حرفين ، والم والر وطسم على ثلاثة أحرف ، والمص والمر على أربعة أحرف ، وكهيعص وحم عسق على خمسة أحرف (١) .

قلت : هذا على عادتهم فى افتنانهم فى أساليب الكلام ، وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة (٢) .

وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف فقط لم تتجاوز ذلك ، سُلك بهذه الفواتح ذلك المسلك (٣) .

فإن قلت : فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التى اختصت بها ؟

قلت : إذا كان الغرض هو التنبيه ، والمبادئ كلها فى تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة ، كان تطلُّب وجه الاختصاص ساقطا ، كما إذا سمى الرجل بعض أولاده : زيدا ، والآخر : عمرا : لم يُقَل له : لم خصصت ولدك هذا بزيد ، وذاك بعمرو ؛ لأن الغرض هو التمييز ، وهو حاصل أية سلك (٤) .

---

(١) الكشاف ١/١٠٤ - ٥ . الرازى ١/١٢ ، ٣٩/٢٦ . الزركشى ١/١٦٧ . النسفى ١/١٠ . ابن كثير ١/٣٨ . الإتقان ٢/١٣ . الشربينى ١/١٥ . أبو السعود ١/٢٥ . حمودة ١/٧٥ . الصالح ٢٣٤ . غلاب ١٠٧ . شرف ٣٧ . عائشة ١٤٠ . إسماعيل ٢٦٧ . أحمد ٢٠٥ . شحاتة ٨٤ . زرزور ١٣٩ . العمرى ١٠٧ . كفافى ١٣٣ . خليف ٨٠ . شقرف ٣٣ . العدل ١٠ .

(٢) الكشاف ١/١٠٥ . النسفى ١/١٠ . الشربينى ١/١٥ . أبو السعود ١/٢٥ . صبيح ١٠٠ حمودة ١/٧٦ . إسماعيل ٢٦٧ .

(٣) الكشاف ١/١٠٥ . النسفى ١/١٠ . ابن كثير ١/٣٨ . الإتقان ٢/١٣ . الشربينى ١/١٥ . حمودة ١/٧٦ . عائشة ١٤٠ . إسماعيل ٢٦٧ .

(٤) الكشاف ١/١٠٥ . الشربينى ١/١٥ . عائشة ١٣٧ .

وقال الرازى : فإن قال قائل : فما الحكمة فى اختصاص بعض السور بهذه الحروف .

فنقول : عقل البشر عن إدراك الأشياء الجزئية على تفاصيلها عاجز [١] .

وقال : فماذا يقول هذا القائل فى تخصيص بعض السور بالحرف الواحد ، والبعض بأكثر ؟ فلا يعلم تمام السر إلا الله ومن أعلمه الله به [٢] .

وذكر الآلوسى أن محيى الدين بن عربى تكلم على سر عدد حروفها بالتكرار ، وعدد حروفها بغير تكرار ، وعلى جملتها فى السور ، وعلى أفرادها فى ص و ق و ن ، وتثنيتها فى يس وطه وأخواتهما ، وجمعها من ثلاثة فصاعدا ، ولم بلغت خمس حروف ، ولم وُصل بعضها وقُطع بعض [٣] . وطبيعى أن كلامه كان تأويلا صوفيا لكل مظاهرها .

وعجيب أن يقتصر سعد العدل - عندما تكلم عن أشكالها - على المكونة من حرف واثنين وثلاثة ، وسها عن المكون من أربعة وخمسة [٤] .

* * *

---

(١) مفاتيح ٢٦/٢٢ . عائشة ١٣٧ .

(٢) مفاتيح ٤٠/٢٦ ، ١٤٦/٢٨ .

(٣) روح ١٠١/١ .

(٤) الهيروغليفية ١٠ .

دوران الحروف

تساءل الزمخشرى عن عدم جمع كل الحروف المقطعة فى موضع واحد فى أول القرآن وإيثار تفريقها على السور . ثم ذكر أن سبب ذلك إعادة التنبيه على أن المتحدَّى به مؤلف منها لاغير ، وتجديده فى غير موضع واحد أَوْصَل إلى الغرض ، وأَقرّ له فى الأسماع والقلوب ، من أن يفرد ذكره مرة . وكذلك مذهب كل تكرير جاء فى القرآن ، فالمطلوب به تمكين المكرر فى النفوس وتقريره [١] .

ونظر ابن كثير إلى أقوال الزمخشرى نظرة عامة ، ثم لخصها فى أنه قال : لم ترد كلها مجموعة فى أول القرآن ، وإنما كررت ليكون أبلغ فى التحدى والتبكيت ، كما كررت قصص كثيرة ، وكرر التحدى بالصريح فى أماكن [٢] .

وذكر أبو السعود أن ذلك كان لأسباب ثلاثة :

١ - للافتنان .

٢ - ولما فى التكرير والإعادة من زيادة الإفادة .

٣ - ولتخصيص كل منها بسورتها [٣] .

والتمس عبد المنعم السيد حسن سر التكرار فى ثلاثة أمور أيضا :

الأول : أن إثبات إعجاز القرآن يستدعى مزيدا من العناية والاهتمام بالوسائل المثبتة له . فتكرارها تذكير للمنكرين وتجديد لإيمان المؤمنين بإعجاز كتاب الله .

الثانى : أن إثبات الإعجاز من الأمور المتصلة بالعقيدة . وقد ألفنا من القرآن معاودة التذكير بهذه الأمور ، وإعطاءها المزيد من التركيز ، كآيات التوحيد والبعث .

---

(١) الكشاف ١٠٤/١ . النسفى ١٠/١ . البيضاوى ١٣/١ . الشربينى ١٥/١ . صبيح ٥٠ .

(٢) ابن كثير ٣٨/١ .

(٣) إرشاد ٢٥/١ - ٢٦ . إسماعيل ٢٦٧ .

الثالث : أن فى إيراد هذه الأحرف على هذا النسق من الغموض والإبهام مايدعو إلى الإيمان بالغيب . فتكرارها دليل على مدى خضوع المؤمنين لله ، وتفويضهم له كل مايرد فى كتابه [١] .

* * *

(١) ظاهرة ١٣٦ - ١٣٧ .



القسم الثانى

الفواتح اللفظية



الفصل الأول

كتاب ابن أبى الإصبع

إذا كنت قد أطلت فى الحديث عن افتتاح السور بالحروف المقطعة فإن السبب أن المفكرين أطالوا الحديث عنها وشعبوه . ولكنهم - مع ذلك - لم يهملوا الفواتح اللفظية ، بل أعطوها شيئا من الاهتمام .

وأقدم من تعرض لها من مصادرى الطبرى ، الذى أتى بإشارة موجزة فى أثناء حديثه عن ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ قال : كل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته ، كما افتتح سورا كثيرة بتحميده ، وتسبيحه ، وتعظيمه [١] .

فذكر ثلاثة أنواع من الفواتح .

وقفزت الدراسة بسرعة إلى كتاب مستقل صغير خاص بالفواتح عند ابن أبى الإصبع ، سماه « الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح » .

دفعه إلى ذلك - فيما يقول - أنه لحظ كل لفظة افتُتحت بها سورة - دون مابعدها من كلمات - كلفظة (الحمد) بمجردها من الفاتحة ، فرآها ينتظم منها إعجاز يحصل به الاستدلال القاطع للمُنازع عند الجدل ، على أنها مفردات ، على الرغم أن الإعجاز يقع بالجمل المؤلفات . فكان هذا خارجا مخرج العجب العجاب [٢] .

وبنى المؤلف كتابه على مقدمة وثلاثة أركان ، ينقسم كل واحد منها إلى بابين ، ثم خاتمة .

أما المقدمة التى لم يضع لها عنوانا فقد تحدث فيها عن الإعجاز ، وظروف تأليفه كتابه ، وخطته فيه .

---

(١) الجامع ١٥/١ . ابن كثير ٣٦/١ . النيسابورى ١٢١/١ . الآلوسى ٥٧/١٦ .

(٢) الخواطر ٧٣ - ٧٤ .

وخصص الركن الأول لتعريف الفواتح وحصر أقسامها ، والركن الثانى لكشف أسرارها وخصائصها ، وجعل الباب الأول فى كل منهما لما سماه الفواتح المعجمة ، وعنى بها الحروف المفردة ، والباب الثانى لما سماه الفواتح المعربة ، أى ما سميته الفواتح اللفظية . وخصص الباب الأول من الركن الثالث للاستدلال على دلالة الفواتح على الصانع والمصنوعات ، والباب الثانى لاستنباط المعجزات .

وحصر الفواتح المعربة (اللفظية) فى خمس وثمانين فاتحة ، قسمها إلى خمسة أقسام ، كما فعل مع الحروف ، هى مايلى :

١ - المفتتح بالخبر .
٢ - المفتتح بالاستخبار .
٣ - المفتتح بالقسم .
٤ - المفتتح بالأمر .
٥ - المفتتح بالشرط .

ثم تناول كل واحد منها بالدراسة كما يلى [١] :

(١) المفتتح بالخبر [٢]

خمسون سورة . وجعل الزركشى وزرزور المفتتح بالجمل الخبرية ٢٣ سورة [٣] .

وهى على ضربين :

الضرب الأول المؤتلف العدد : وهو ماوقعت أقسامه كلها متساوية فى عدد السور التى تنتمى إليها ، فكلها خماسية السور .

الضرب الثانى المختلف العدد ، فمنه الخماسى والسداسى والسباعى ، ولا شيء فوق ذلك .

---

(١) الخواطر ٧٧ - ٧٨ .

(٢) الخواطر ٧٧ - ٧٨ . الزركشى ١٧٩/١ . زرزور ١٣٩ .

(٣) البرهان ١٧٩/١ . القرآن ١٣٩ .

الضرب الأول المؤتلف : وينقسم إلى أربعة أقسام :

١ - ما افتتح بالتحميد : يشمل خمس سور هى الفاتحة ، الأنعام ، الكهف ، سبأ ، فاطر [١] .

٢ - ما افتتح بالتسبيح ، خمس سور هى [الإسراء] ، الحديد ، الحشر ، الصف ، التغابن [٢] .

وجمع الزركشى وزرزور بين التحميد والتسبيح تحت عنوان الثناء على الله . وذكرا أنه قسمان :

إثبات لصفات المدح نحو (الحمد لله) فى خمس سور [٣] ، و(تبارك) فى سورتين [٤] .

وتنزيه عن صفات النقص نحو ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ ﴾ [سورة الإسراء : ١] .

وحصرا الثناء فى أربع عشرة سورة ، نصفها لثبوت صفات الكمال ، ونصفها لسلب النقائص [٥] .

وعقب الزركشى على هذا قائلا : وهو سر عظيم من أسرار الألوهية [٦] .

وجمع دروزة بين الثناء والحمد والتسبيح ، وحصرها فى تسع سور هى : الفاتحة ، الأعلى ، الملك ، فاطر ، سبأ ، الفرقان ، الكهف ، الإسراء ، الأنعام [٧] .

---

(١) الخواطر ٧٨ .

(٢) الخواطر ٧٨ .

(٣) البرهان ١٦٤/١ . القرآن ١٣٨ . وهى الفاتحة ، الأنعام ، الكهف ، سبأ ، فاطر .

(٤) وهما الفرقان والملك .

(٥) وسور التنزيه هى الإسراء ، الأعلى ، الحديد ، الحشر ، الصف ، الجمعة ، التغابن .

(٦) البرهان ١٦٥/١ .

(٧) القرآن ٣٥٠ .

٣ – ما افتتح بنداء الأمة : خمس سور ، وهى : النساء ، المائدة ، الحج ، الحجرات ، الممتحنة [١] .

٤ – ما افتتح بنداء الرسول : خمس سور وهى : الأحزاب ، الطلاق ، التحريم ، المزمل ، المدثر [٢] .

وجمع الزركشى وزرزور نوعى النداء معا [٣] ودروزة بين النداء والأمر تحت اسم خطاب النبى ، ووضع فيه ٩ سور ، هى : الناس ، الفلق ، الإخلاص ، الكافرون ، الكوثر ، العلق ، المدثر ، المزمل ، الجن [٤] .

الضرب الثانى المختلف : ثلاثون سورة وقسمها إلى :

١ – ماصُدّر باسم ، وهو قسمان :

أ – صُدِّر باسم مجرد : وهى ١٤ [٥] سورة ، هى : التوبة ، النور ، الزمر ، محمد ، الفتح ، الرحمن ، سبحان (الإسراء) ، الحاقة ، نوح ، المطففون ، القدر ، القارعة ، الهمزة ، الكوثر .

ب – صُدّر باسم مجرور : سورة واحدة ، هى قريش .

٢ – ما صدر بفعل ، وينقسم إلى :

أ – فعل ماضٍ ، وهو صنفان :

– مُعلم ، وهو سورتان : المؤمنون ، المجادلة

– مُغفَل ، وهو عشر سور ، هى : النحل ، الإسراء ، الأنبياء ، الفرقان ، القمر ، الملك ، المعارج ، عبس ، التكاثر ، المسد .

ب – فعل مضارع ، وهو صنفان :

– موجب : وهو سورة واحدة ، هى الأنفال .

– منفى ، ثلاث سور ، هى : القيامة ، البلد ، البينة [٦] .

---

(١) الخواطر ٧٨ .

(٢) الخواطر ٧٨ .

(٣) البرهان ٧٨/١ . القرآن ١٣٨ .

(٤) القرآن ٣٥٠ .

(٥) فى الأصل ١٣ .

(٦) الخواطر ٧٨ – ٧٩ .

(٣) المفتتح بالاستخبار [١]

وهو على ضربين :

١ - ماصدر بحرف الاستفهام : خمس سور ، هى : الإنسان ، الغاشية ، الشرح ، الفيل ، الماعون .

٢ - ماصدر بجارّ ومجرور : سورة واحدة ، هى النبأ .

وسماه الزركشى ودروزة وزرزور المفتتح بالاستفهام . وانفرد زرزور بجعلها تسع سور هى : الماعون ، الفيل ، الشرح ، القارعة ، الغاشية ، النبأ ، الإنسان ، المعارج ، الحاقة [٢] .

(٤) المفتتح بالقَسَم [٣]

اتفق ابن أبى الإصبع والزركشى وزرزور على أنها ١٥ سورة ، ذكرها الزركشى وهى : الصافات ، الذاريات ، الطور ، النجم ، المرسلات ، النازعات ، البروج ، الطارق ، الفجر ، الشمس ، الليل ، الضحى ، التين ، العاديات ، العصر . وجعلها دروزة ١٧ سورة بزيادة القيامة والبلد : المبدوءتين بـ (لا أقسم)[٤] .

وقسم ابن أبى الإصبع المغرم بالتقسيم هذه السور إلى :

١ - المقسم فيه بالملائكة ، سورة واحدة . هى الصافات .

٢ - المقسم فيه بالأفلاك ، سورتان هما : البروج والطارق .

٣ - المقسم فيه بلوازم الأفلاك ، ست سور هى : النجم ، الفجر ، الشمس ، الليل ، الضحى ، العصر .

٤ - المقسم فيه بالعناصر ، وهو قسمان :

أ - بالهواء ، سورتان ، هما المرسلات والذاريات .

---

(١) الخواطر ٧٩ . الزركشى ١٨٠/١ . دروزة ٣٥٠ . زرزور ١٣٩ .

(٢) القرآن ٣٥٠ .

(٣) ابن أبى الإصبع ٨٠ - ٨٢ . الزركشى ١٧٩/١ . دروزة ٣٥٠ . زرزور ١٣٩ .

(٤) القرآن ٣٥٠ .

ب - بالتربة ، سورة واحدة ، هى الطور .

والحكمة فى ذكر هذين العنصرين أن جميع المولدات من العناصر لاتخرج عن لطيف وكثيف ، فكثافة الكثيف من التراب ، ولطافة اللطيف من الهواء . فلأجل ذلك كان ذكرهما دون غيرهما مما تقتضيه البلاغة . يضاف إلى ذلك أن طبيعتهما تمثل طبيعة الحياة والموت ، اللذين لايعرى الموجود عن أحدهما .

٥ - المقسم فيه بالمولدات ، وهو ثلاثة أضرب :

أ - الجمادات ، سورة واحدة ، هى الطور .

ب - النبات ، سورة واحدة ، هى التين .

جـ - الحيوان ، وهو صنفان .

- الحيوان الناطق ، سورة واحدة ، هى النازعات .
- الحيوان البهيم ، سورة واحدة ، هى العاديات .

(٥) المفتتح بالشرط [١]

سبع سور ، جعلها ابن أبى الإصبع على ضربين :

١ - ولى شرطه اسم ، ثلاث سور هى : التكوير ، الانفطار ، الانشقاق .

٢ - ولى شرطه فعل ، أربع سور هى : الواقعة ، المنافقون ، الزلزلة ، النصر .

وسمى دروزة هذا النوع مايبتدىء بحرف (إذا) التنبيهى أوالتنكيرى ، وجعله ٥ سور فقط ، بإهمال المنافقون والنصر .

(٦) المفتتح بالأمر [٢]

جعلها الزركشى وزرزور ست سور ، ذكرها أولهما وهى : الجن ، العلق ، الكافرون ، الإخلاص ، المعوذتان . وجعلها ابن أبى الإصبع سبع سور ، فزاد عليها الأعلى ، وقسمها قسمين :

---

(١) الخواطر ٨٢ . الزركشى ١٨٠/١ . دروزة ٣٥١ . زرزور ١٣٩ .

(٢) ابن أبى الإصبع ٨٢ . الزركشى ١٨٠/١ . زرزور ١٣٩ .

١ - قسم مشتق من القول : خمس سور .
٢ - قسم مشتق من غير القول ، سورتان : سورة مشتقة من التسبيح ، هى الأعلى ؛ وسورة مشتقة من القراءة هى العلق .

(٧) المفتتح بالدعاء [١]

وهى ثلاث سور : المطففون ، الهمزة ، المسد . وجمع دروزة بين الدعاء والإنذار ، وجعل سورهما أربعا ، هى المسد ، الهمزة ، التكاثر ، المطففون .

(٨) المفتتح بالتعليل [٢]

سورة واحدة هى قريش .

وهنا ختم الزركشى الفصل . وصرح بأن الذى جمعه هو أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى ، الذى سجل الملاحظ الآتية على ماعمل :

- ماذكرناه فى قسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر .
- وكذا الثناء على الله كله خبر إلا ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ فإنه يدخل أيضًا فى قسم الأمر ، و﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ يحتمل الأمر والخبر .

ونظم ذلك فى بيتين قال فيهما :

أثنى على نفسه سبحانه بثبو
ت المدح والسلب لما استفتح السورا
والأمر شرط الندا التعليلُ والقَسَم الـ
ـدُعا حروف التهجى استفهم الخبرا [٣]

* * *

(١) الزركشى ١٨٠/١ . دروزة ٣٥٠ . زرزور ١٣٩ .
(٢) الزركشى ١٨٠/١ . زرزور ١٣٩ .
(٣) البرهان ١٨٠/١ - ١٨١ .



الفصل الثانى

بلاغة وإعجاز
دلالة أنصاف الأجناس

مهد الباقلانى لإعلان إعجاز القرآن بإبانة أن اللغة العربية مؤهلة لأن يوجد فيها كتاب معجز من الجانب البيانى . فذكر أن الله اختارها ، وجعلها حلبة لنظم القرآن ، وعلق بها الإعجاز ، الذى صار دلالة فى النبوة ، لأنها أشد اللغات تمكّنا وأشرفها تصرفا ، وأعدلها .

• واستدل على ذلك بأن أكثرها موضوع بالحروف المعتدلة ، لأن العرب أهملوا الألفاظ المستكرهة فى نظمها ، وأسقطوها من كلامهم ، وجعلوا عامة لسانهم على الأعْدل . ولذلك صار أكثر كلامهم من الثلاثى - لأنهم بدءوا بحرف ، وسكتوا على آخر ، وجعلوا حرفا وُصْلة بين الحرفين ، ليتم الابتداء والانتهاء على ذلك - والثنائى أقل ، وكذلك الرباعى والخماسى أقل . ولو كان كله ثنائيا لتكررت الحروف . ولو كان رباعيا أو خماسيا لكثرت الكلمات .

وكذلك بنى أمر الحروف التى ابتدىء بها السور على هذا . فأكثر هذه السور التى ابتُدئت بذكر الحروف ذُكر فيها ثلاثة أحرف . وماهو أربعة أحرف سورتان ، وما ابتدىء بخمسة أحرف سورتان [1] .

وجعل الباقلانى الوجه الثالث من وجوه إعجاز القرآن أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناهٍ فى البلاغة إلى الحد الذى يُعلَم عجز الخلق عنه . ومن أجل إثبات ذلك نسّق حديثه فى عشر مَعانٍ ، كان التاسع منها إتيان القرآن بأنصاف أجناس الحروف التى تحتوى عليها اللغة العربية قبل أن يفطن إليها العلماء بزمان طويل ،

---

(١) إعجاز ١١٨ .

كما ذكرنا سابقا مما يوجب إثبات الحكمة فى ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من أحد الوجوه [١] .

* * *

(١) إعجاز ٣٥ ، ٤٤ .

دلالة نطق الأمى بأسماء الحروف

لم يكتف الزمخشرى بإثبات إعجاز القرآن اعتمادا على تحديه باستعمال الحروف العربية للإتيان بمثيل للقرآن ، وسلك طريقا آخر اعتمد فيه على طريقة إتيان القرآن بهذه الحروف . قال : النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام : الأميون منهم وأهل الكتاب ، بخلاف النطق بأسامى الحروف ، فإنه كان مختصا بمن خَطّ وقرأ ، وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم . وكان مستغربا مستبعدا من الأمى التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة ، كما قال - عز وجل = ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [١] .

فكان حكم النطق بذلك - مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهله - حكم الأقاصيص المذكورة فى القرآن التى لم تكن قريش ومن دان بدينها فى شىء من الإحاطة بها ، فى أن ذلك حاصل له من جهة الوحى ، وشاهد بصحة نبوته ، وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير أن يسمعها من أحد » [٢] .

وقد أوضح الرازى قول الزمخشرى فى عبارة موجزة ، فقال : إن التكلم بهذه الحروف - وإن كان معتادا لكل أحد - إلا أن كونها مسماة بهذه الأسماء لا يعرفه إلا من اشتغل بالتعلم والاستفادة . فلما أخبر الرسول عنها من غير سبق تعلم واستفادة ، كان ذلك إخبارا عن الغيب . فلهذا السبب قدم الله ذكرها ليكون أول مايسمع من هذه السورة معجزة دالة على صدقه [٣] .

وعبر د. غلاب عن هذا الرأى تعبيرا أدبيا فقال : جاءت كذلك ليكون مطلع مايتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة أنموذجا لما فى الباقى من فنون الإعجاز .

---

(١) سورة العنكبوت ٤٨ . وانظر الزركشى ١٧٦/١ .

(٢) الكشاف ٩٩/١ ، ١٠٠ .

(٣) مفاتيح ٧/٢ .

فإن النطق بأنفس الحروف فى تضاعيف الكلام - وإن كان على طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام - لكن التلفظ بأسمائها إنما يتأتى عن درس وخط . وأما من لم يحم حول ذلك فأعز من بيض الأنوق ، وأبعد من مناط العيوق ، ولاسيما إذا كان على نمط عجيب ، وأسلوب غريب ، منبىء عن سر سرىٍّ ، مبنى على نهج عبقرى ، بحيث يحار فيه أرباب العقول ، ويعجز عن إدراكه ألباب الفحول [1] .

* * *

(١) نظرات ٤٠ .

التوازن الحرفي

عرّف مصطفى الدباغ ماسماه « التوازن الحرفى » بأن المقصود به هو ذلك الإعجاز القرآنى الذى يبدو فى مجال حروف القرآن ، من حيث عددها وتكراراتها وترابطها مع غيرها [١] .

وذكر أن الأولين تنبهوا لها وكتبوا عن بعض جوانبها ، وأن محمد حقى بن على النازلى الصوفى عقد بابا لأقوال الأئمة والمشايخ فى خواص الآيات الخمس التى تحتوى كل منها على عشر قافات .

ولعلنا لا نتجاوز الحق عند مانفهم من كتاب النازلى أن أبا العباس أحمد بن على البونى المتصوف أول من فطن إلى هذا الإحصاء ونبه عليه [٢] .

وذكر مصطفى الدباغ أن فكرة الرقم (١٩) – وهو عدد حروف البسملة – ودلالته الخاصة التى جعلت منه ميزانا لسائر حروف القرآن ، وميزانا للنظام الإحصائى العددى فيه ، كان أول من أشار إليها وفصل القول فيها د. محمد رشاد خليفة ، الذى أفاد من الدراسات الحديثة واستخدام الحاسب الالكترونى (الكمبيوتر) .

فقد كشف عن ترابط كامل بين البسملة وهذه الحروف فمثلا الحرف (ق) وُجد فى سورتى ﴿ قٓ ﴾ والشورى . وعدد القافات فى سورة ﴿ قٓ ﴾ ٥٧ أى ١٩ × ٣ . وكذلك عددها فى سورة الشورى ، مع أن سورة الشورى أطول من سورة ﴿ قٓ ﴾ بمرتين ونصف . فهناك إذن سورتان يتكرر الحرف ق فى كل منهما ٥٦ مرة . وأضاف الله فى بدايتهما هذا الحرف ليتم العدد ٥٧ . فلو جمعنا القافات فى السورتين كان الناتج ١١٤ وهو يساوى عدد سور القرآن . والسؤال الآن : من الذى يمكن أن تتوفر لديه القدرة على معرفة توزيع الحروف الأبجدية

---

(١) وجوه ٥٥ .

(٢) خزينة ٧٣ .

فى القرآن ؟ ثم معرفة أن هناك سورتين فقط تحتويان على هذا العدد المساوى لعدد سور القرآن ؟ من الذى يمكنه ذلك حتى قبل اكتمال نزول القرآن ؟ هو الله - تعالى - ولا شيء غير هذا .

ولزيادة الإيضاح ذكر أن قوم لوط مذكورون فى القرآن ١٢ مرة . وفى كل مرة يسمون قوم لوط ، ماعدا سورة ﴿ قٓ ﴾ إذ يسمون فيها : إخوان لوط . ولو استخدمت كلمة « قوم » لازدادت القافات إلى ٥٨ - وهذا العدد ليس من مكررات الرقم ١٩ - ولاختل النظام . كما أنه لو حدث - خلال ١٤٠٠ سنة الماضية - أى تحوير أو تحريف بكلمة تحوى هذا الحرف فى السورتين ، لاختل النظام واختفت هذه الظواهر الإعجازية .

واستمر فدرس تكرر حرفى النون والصاد ، بل الفواتح المكونة من أكثر من حرف واحد ، فوصل إلى أن الحروف - عندما نجمعها ليس فقط فى السورة نفسها بل فى السور المختلفة التى يوجد فيها الحرف نفسه - نجد مجموع هذه الحروف من مضاعفات الرقم ١٩ .

وأُجمل ماوصل إليه فى الجداول والنتائج الآتية :

جدول رقم (٤)

الفواتح	عدد السور	مجموع حروفها	مضاعفات الـ ١٩
ن	١	١٣٣	٧×١٩
ق	٢	١١٤	٦ × ١٩
ص	٣	١٥٢	٨ ×١٩
يس	١	٢٨٥	١٥ × ١٩
طه	١	٣٤٢	١٨ × ١٩
طس	٦	٤٩٤	٢٦ × ١٩
طسم	٦	١٤٤٤	٧٦ × ١٩
حم	٧	٢١٦٦	١١٤ × ١٩
عسق	١	٢٠٩	١١ × ١٩
حم عسق	١	٥٧٠	٣٠ × ١٩
الم	٨	٢٦٦٧٦	١٤٠٤ × ١٩
الر	٥	٩٧٠٩	٥١١ × ١٩+الرعد
المص	١	٥٣٥٨	٢٨٢ × ١٩
المر	١	١٥٠١	٧٩ × ١٩
كهيعص	١	٧٩٨	٤٢ × ١٩
المجموع		٤٩٩٥١	٢٦٢٩ × ١٩

جدول رقم (٢)

الحروف	عددها	مضاعفات الـ ١٩
أ	١٧٤٩٩	٩٢١ × ١٩
ل	١١٧٨٠	٦٢٠ × ١٩
م	٨٦٨٣	٤٥٧ × ١٩
ر	١٢٣٥	٦٥ × ١٩
ص	١٥٢	٨ × ١٩
ح	٣٠٤	١٦ × ١٩
ق	١١٤	٦ × ١٩
ن	١٣٣	٧ × ١٩
ط + س	٤٩٤	٢٦ × ١٩
ط + هـ	٥٨٩	٣١ × ١٩
ي + س	٩٦٩	٥١ × ١٩
ع + س + ق	٧٢٢	٣٨ × ١٩
ح + م	٨٩٨٧	٤٧٣ × ١٩
أ + ل + م	٣٧٩٦٢	١٩٩٨ × ١٩
أ + ل + ر	٣٠٥١٤	١٦٠٦ × ١٩
ط + س + م	٩١٧٧	٤٨٣ × ١٩
أ + ل + م + ر	٣٩١٩٧	٢٠٦٣ × ١٩
أ + ل + م + ص	٣٨١١٤	٢٠٠٦ × ١٩

ملاحظة : فى جدول ١ عدد السور هو عدد السور التى افتُتحت بالحرف المذكور فى الخانة الأولى . وأما (عددها) فى جدول ٢ هو مجموع هذه الحروف فى السور التى افتُتحت بها .

من ناحية أخرى ، وفى مجال التوازن الحرفى نفسه ، سنجد أن أعلى المتوسطات والمعدلات للحرف ق موجودة فى سورة ق . وقد تفوقت هذه السورة حسابيًا على المصحف كله فى هذا الحرف من حيث عدده البالغ بها ٥٧. وبالمثل سورة الشورى . سورة الرعد تبدأ بالحروف أ ل م ر . وتتوارد هذه الحروف فى داخل السورة بمجاميع على هذا النحو :

أ ترد ٦٢٥ مرة

ل ترد ٤٧٩ مرة

م ترد ٢٦٠ مرة

ر ترد ١٣٧ مرة

فى ترتيب تنازلى كما نرى وكما كتبت الحروف فى أول السور أل م ر وإن معدلات توارد هذه الحروف فى المصحف هى أقل منها فى سورة الرعد . فهذه السورة تفوقت حسابيًا فى عدد توارد هذه الحروف على جميع المصحف .

والأمر نفسه نجده فى البقرة أ ٤٥٩٢ مرة ، ل ٣٢٠٤ مرة ، م ٢١٩٥ مرة وبالترتيب التنازلى نفسه ، ولهذه الحروف الثلاثة تفوق حسابى على باقى الحروف فى داخل السورة نفسها .

وكذلك نجد فى سورة آل عمران أ وردت ٢٥٧٨ مرة ، ل ١٨٨٥ مرة ، م ١٢٥١ مرة . وبالترتيب التنازلى وهى تتوارد فى السورة بمعدلات أعلى من باقى الحروف .

والأمر نفسه فى سورة العنكبوت حيث أ ترد ٧٨٤ مرة ، ل ٥٥٤ مرة ثم م ٣٤٤ مرة . وبالترتيب التنازلى وهى تتوارد فى السورة بمعدلات أعلى من باقى الحروف .

كذلك الأمر فى سورة الروم حيث أ ٤٥٧ مرة ، ل ٣٩٦ مرة ، م ٣١٨ مرة وبترتيب تنازلى ، وتتوارد بالسورة بمعدلات أعلى من باقى الحروف .

وفى جميع السور التى ابتدأت بالحروف أ ل م نجد أن السور المكية تتفوق حسابيًا فى معدلاتها من هذه الحروف على باقى السور المكية ، والمدنية تتفوق حسابيًا فى معدلاتها من هذه الحروف على باقى السور المدنية .

وبالمثل فى أ ل م ص سورة الأعراف ، فمعدلات هذه الحروف هى أعلى ما تكون فى سورة الأعراف وأنها تتفوق حسابيًا على كل السور المكية فى المصحف . وكذلك فى سورة طه الحرف ط والحرف هـ ، وفى سورة مريم نجد أن الحرفين ط ، هـ ترتفع معدلاتهما على جميع السور المكية .

والأمر نفسه ينطبق على حم فى جميع السور التى افتتحت به حيث معدلات توارد الحرف ح والحرف م تتفوق على جميع السور المكية فى القرآن الكريم (١) .

وبالمثل فالسورتان اللتان افتتحتا بحرف ص وهما سورة ص والأعراف أ ل م ص وهما متتابعتان نزولًا فى الوحى ، إذا ضمتا معًا تفوقتا حسابيًا فى هذه الحروف على باقى سور القرآن الكريم .

وكذلك السور التى افتتحت بالحروف أ ل ر وهى إبراهيم ويونس وهود ويوسف والحجر ، وأربع منها جاءت متتابعة فى تواريخ الوحى ، فإنها إذا ضمت لبعضها فإنها ذات أعلى معدلات فى نسبة توارد حروفها أ ل ر على جميع السور المكية فى القرآن الكريم .

أما فى سورة يس فإننا نلاحظ الدلالة الإحصائية نفسها ولكن معكوسة حيث ترتيب الحروف جاء بعكس الترتيب الأبجدى فنجد أن توارد الحرف ى و س فى السورة هو أقل من تواره فى جميع المصحف مكيًا ومدنيًا !!

---

(١) مصطفى محمود . حوار مع صديقى الملحد . دار المتوسط بيروت ص ١٠٦ - ١١١ .

وترتيب السور التى جاءت بها أ ل م كافتتاحيات لها هى :

البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، ونجد أن تكرارات أ ل م فى البقرة أعلى منها فى آل عمران ، وهى فى آل عمران أعلى منها فى العنكبوت ، وفى العنكبوت أعلى منها فى سورة الروم ، وبالترتيب التنازلى نفسه بالنسبة للسور كما كان بالنسبة للحروف [1] .

إن التوازن الحرفى هو أحد وجوه الإعجاز العددى أو الإحصائى للقرآن الكريم . وهذا الوجه لاشك سوف نظل فى حيرة ودهشة بل فى انبهار أمام عظمة هذا البناء الفذ الذى هو فى منتهى الإحكام والتماسك والتوازن جاءنا على يدى رجل أمى - ﷺ - وعلى مدى ٢٣ عامًا . وصدق الله عز وجل :

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾
[٢١ - الحشر]

﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ .. ﴾ [١ - هود]

* * *

(١) وجوه ٢١ - ٢٤ .

مناسبة فاتحة السورة لختام التى قبلها

كان الأخفش أول من فطن – من مصادرى – إلى العلاقة بين فاتحة السورة وختام السورة التى قبلها . قال أبو حيان عن سورة قريش : ومناسبتها لما قبلها ظاهرة ، ولاسيما إن جعلت اللام متعلقة بنفس (فجعلهم) وهو قول الأخفش ، أو بإضمار فعلنا ذلك لإيلاف قريش ، وهو مروى عن الأخفش [١] .

وعنى الرازى بالكشف عن الروابط بين السور المتعاقبة . قال مثلا فى أول تفسيره لسورة العنكبوت : المسألة الأولى فى تعلق أول هذه السورة بما قبلها . وفيه وجوه :

الأول : لما قال الله – تعالى – قبل هذه السورة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ وكان المراد منه أن يرده إلى مكة ظاهرا ، غالبا على الكفار ، ظافرا طالبا للثأر ، وكان فيه احتمال مشاق القتال ، صعب على البعض ذلك ، فقال الله : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ ولا يؤمروا بالجهاد .

الوجه الثانى هو أنه – تعالى – لما قال فى أواخر السورة المتقدمة : ﴿ وادع إلى ربك ﴾ وكان فى الدعاء إليه الطعان والحراب والضراب ، لأن النبى – عليه السلام – وأصحابه كانوا مأمورين بالجهاد ، إن لم يؤمن الكفار بمجرد الدعاء . فشق على البعض ذلك ، فقال : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ ﴾ .

الوجه الثالث : هو أنه – تعالى – لما قال فى آخر السورة المتقدمة : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ ذكر بعده مايبطل قول المنكرين للحشر فقال : ﴿ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يعنى ليس كل شىء هالكا من غير رجوع بل كل هالك وله رجوع إلى الله [٢] .

---

(١) أبو حيان ٥١٣/٨ . الزركشى ٣٨/١ ، ١٨٦ . الإتقان ١٢٨/٢ . العمرى ١٢٢ .

(٢) مفاتيح ٢٥/٢٥ . عبد الحميد ١٦٣ – ١٦٤ .

واتفق معهم الكواشى الذى قال : لما ختم سورة النساء أمرا بالتوحيد والعدل بين العباد ، أكّد ذلك بقوله فى أول سورة المائدة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ (١) .

وعلل تاج الدين السبكى تقديم سورة الإسراء على الكهف بأن التسبيح – حيث جاء – مقدم على التحميد نحو ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ (٢) ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ (٣) .

وعد الزركشى المناسبة بين فاتحة السورة بخاتمة التى قبلها من أسرار القرآن .

وجعل من لطائف سورة الكوثر – أنها كالمقابلة لسورة الماعون التى قبلها ، لأن السابقة وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة . فذكر هنا :

فى مقابلة البخل : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ أى الكثير .

وفى مقابلة ترك الصلاة : ﴿ فصَلِّ ﴾ أى دُمْ عليها .

وفى مقابلة الرياء : ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ أى لرضاه لا للناس .

وفى مقابلة منع الماعون : ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ وأراد به التصدق بلحم الأضاحى (٤) .

وروى السيوطى أن هناك من قال : إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته فى غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى ، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ، فإنه مناسب ختام المائدة من فصل القضاء كما قال تعالى : ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٥) .

---

(١) الزركشى ١٨٦/١ ، الإتقان ١٢٨/٢ . العمرى ١٢٢ .

(٢) سورة الحجر ٩٨ . النصر ٣. وانظر طه ١٣٠ . الفرقان ٥٨ . غافر ٥٥ . ق ٣٩ . الطور ٤٨

(٣) معترك ٨٢/١ . الاتقان ١٣١/٢ . وانظر سورتى الروم ١٧ ، ١٨ ، والصافات ١٨٠ ، ١٨٢ .

(٤) الإتقان ١٨٢/٢ . زرزور ٣٩ ، ١٨٦ .

(٥) الإتقان ١٢٨/٢ . العمرى ١٢٠ – ١٢٢ .

وروى أن بعضهم رأى أن لترتيب السور في المصحف الأسباب الآتية :

أحدها : بحسب الحروف كما في الحواميم .

الثاني : موافقة أول السورة لآخر ماقبلها كآخر الحمد [الفاتحة] في المعنى وأول البقرة .

الثالث : التوازن في اللفظ كآخر تبَّت [المسد] وأول الإخلاص .

الرابع : مشابهة جملة السورة لجملة السورة الأخرى كالضحى وألم نشرح [١] .

* * *

(١) الإتقان ١٢٩/٢ . العمرى ١٢٢ .

مناسبة فاتحة السورة لمضمونها

رأينا الطبرى أول من فطن إلى أن القرآن راعى أمورا معينة فى مستهل السور . فذكر أن الله جعل مفاتحها حمد نفسه مثل ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الفاتحة : ٢] و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [سورة الأنعام : ١] . وتعظيمها وإجلالها بالتسبيح كما قال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [سورة الإسراء : ١] ، وتعظيمها وتنزيهها ومدحها أحيانا بالعلم ، وأحيانا بالعدل ، وأحيانا بالإحسان ، وما أشبه ذلك [١] .

وذكر على بن إبراهيم الحوفى أن الفاتحة افتتحت بقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فوُصف بأنه مالك جميع المخلوقين ، وفى الأنعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصَف بذلك ، بل بفرد من أفراد صفاته ، وهو خلق السموات والأرض والظلمات والنور فى الأنعام ، وإنزال الكتاب فى الكهف ، ومالك مافى السموات ومافى الأرض فى سبأ ، وخلقهما فى فاطر ؛ لأن الفاتحة أم القرآن ومطلعه ، فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها [٢] .

وعلل الزملكانى بدء سورتى الإسراء والكهف ، قال : سورة الإسراء لما اشتملت على الإسراء الذى كذب المشركون به النبى - وتكذيبه تكذيب لله - أتى بـ (سبحان) لتنزيه الله عما نُسب إليه ولنبيه من الكذب .

وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف ، وتأخر الوحى ، نزلت مبيّنة أن الله لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين ، بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب ، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة [٣] .

وضرب العلوى أمثلة للافتتاحات التى وصفها بالروعة من القرآن وغير القرآن . نكتفى منها بقوله : ومن هذا قوله - تعالى - فى افتتاح سورة النساء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) جامع ١/٧١ . ابن كثير ١/٣٦ .

(٢) معترك ١/٨٢ - ٨٣ . الإتقان ٢/١٣١ .

(٣) معترك ١/٨٢ . الإتقان ٢/١٣١ . العمرى ١٢٢ .

ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ لأنه لما كان غرضه بيان الأحكام المشروعة فى حقهن من الطلاق والميراث وغير ذلك من الأحكام ، صدّر السورة بما يكون فيه دلالة وتنبيه على ذلك .

وخالف ماذكره فى صدر سورة الحج لما ذكره فى سورة النساء ، حيث قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ لأنه لما كان غرضه ذكر البعث ، والاحتجاج عليه ، والنعى على منكريه ، صدَّره بما يلائمه ويناسبه من ذلك .

فافتتاح كل واحدة من السورتين مخالف للأخرى ، لكنه مناسب لما يريد ذكره من كل واحدة منهما من الأغراض والمقاصد التى ضمَّنها فيها [١] .

والتفت الآلوسى إلى الصلة بين فواتح السور المتوالية ، وإلى فاتحة السورة ومضمونها ، قال : عندى فيما نحن فيه لطائف ، وسبحان من لا تتناهى أسرار كلامه . فقد أشار بمفتتح الفاتحة حيث أتى واضحا إلى اسمه الظاهر ، وبمبدأ سورة البقرة إلى اسمه الباطن . فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن . وأشار بتقديم الأول إلى أن الظاهر مقدم ، وبه عموم البعثة ، نحن نحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر . وأيضا فى الأول إشارة إلى مقام الجمع ، وفى الثانى رمز إلى الفرق بعد الجمع .

وأيضا افتتاح هذه السورة بالمبهم ثم تعقيبه بالواضح ، فيه أتم مناسبة لقصة البقرة التى سميت السورة بها : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [٢] .

وصرح د. عبد الله شحاتة بالمناسبة بين فاتحة كل سورة ومضمونها قائلا :

---

(١) الطراز ٣/٢٦٩ .

(٢) روح ١/١٠٣ .

فى كل سورة نجد روحا عامة تسيطر عليها ، وفكرة أساسية هى محور اهتمامها . وقد تنوعت فواتح السور تبعا لتنوع موضوعها [١] .

وعقد عبد المنعم السيد حسن فصلا للمسبحات من السور ، عرّف فيه التسبيح ، وصيغه ، وتحدث عن العلاقة بين فاتحة السورة ومضمونها ، وبين فاتحة السورة وخاتمة السورة التى قبلها [٢] .

* * *

(١) علوم ٨٣ . ظاهرة ١١٦ .

(٢) ظاهرة ١٠٨ - ١٢٧ .

مناسبة فاتحة السورة لختامها

وفطن الكرماني إلى المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها . قال في سورة ص : بدأها بالذكر . وختمها به في قوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وفي سورة ن بدأها بقوله : ﴿ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ وختمها بقوله ﴿ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (١)

ووافقه الزمخشري فقال : وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنون ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وأورد في خاتمتها ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة (٢) .

وسار على دربهما الرازي فقال عن سورة الحجرات : ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ إشارة إلى أنه لايخفى عليه أسراركم . وأعمال قلوبكم الخفية . وقال ﴿ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ يبصر أعمال جوارحكم الظاهرة . وآخر السورة - مع التئامه بما قبله - فيه تقرير مافي أول السورة ، وهو قوله : ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فإنه لايخفى عليه سر ، فلا تتركوا خوفه في السر ، ولايخفى عليه علن ، فلا تأمنوه في العلانية (٣) .

وعد الزركشي المناسبة بين فواتح السور وخواتمها من أسرار القرآن . وقال ذات مرة انظر إلى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته وقوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ وخروجه من وطنه ، وختمت بأمر النبي - ﷺ - بأن لايكون ظهيرا للكافرين ، وتسليته عن إخراجه من مكة ، ووعده بالعودة إليها لقوله في أول السورة : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ ﴾ (٤) .

---

(١) الإتقان ١٢٨/٢ .

(٢) الكشاف ٤٥/٣ . الزركشي ١٨٦/١ . الإتقان ١٢٨/٢ .

(٣) مفاتيح ١٤٤/٢٨ .

(٤) البرهان ١٨٥/١ . الإتقان ١٢٨/٢ .

واتسع السيوطى فى هذا السبيل ، فألف كتابا لطيفا سماه « مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع » [١] .

ودأب سيد قطب على إبانة مايربط فاتحة كل سورة فسرها بخاتمتها .

قال مثلا عن سورة البقرة : فى النهاية نرى ختام السورة ينعطف على افتتاحها ، فيبين طبيعة التصور الإيمانى ، وإيمان الأمة المسلمة بالأنبياء كلهم . وبالكتب كلها ، وبالغيب وماوراءه ، مع السمع والطاعة : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ... فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ ومن ثم يتناسق البدء والختام ، وتتجمع موضوعات السورة بين صفتين من صفات المؤمنين وخصائص الإيمان [٢] .

وكشف دروزة عن الروابط بين فواتح السور وخواتمها ، وماتضمه من آيات متعاقبة . فقال : مثل (الصف) التى فيها استطراد إلى ذكر موسى وعيسى ومواقف أقوامهم معهم : مما يتناسب مع التنديد الذى بدأت به السورة . وقد ختمت بالدعوة إلى الجهاد ، وضرب المثل بانتصار الحواريين لعيسى ، مما يتناسب كذلك مع بداية السورة [٣] .

* * *

---

(١) الإتقان ١٢٨/٢ .

(٢) فى ظلال ٢٧٧،٣٥ ، ٧٥٢ .

(٣) القرآن ٣٥٦ - ٣٥٧ .

جمال التعبير

قال ابن أبي الإصبع : ميل النفوس بالطبع إلى الموزون من الكلام وغيره أكثر من ميلها إلى غير الموزون . ومع هذا فإنك تجد الموزون الموصوف بجميع صفات الحسن ، المنفى عنه كل صفات القبح ، إذا قُرن بهذه الفواتح ، وما ثلت بينه وبينها ، وجدت النفوس الزكية ذوات الطباع السليمة إليها أميل إيثارا للفضيلة ، وترجيحا للمرتبة العلية النبيلة ، لأن هذه الفواتح فى باب البلاغة أعلى رتبة من كل مايماثلها ، وأوزن حصاة من كل كلام يوازنها ويعادلها . لأنك ترى الكلمة الواحدة قد أفادت معانى تضيق العبارة عن حصرها ، وتعيا الألفاظ دون عدها . وتجد البيت العالى من الشعر النادر والمتخير من أشعار الشاعر الفاضل ، ساقطا فى معناه دون اللفظة الواحدة من هذه الألفاظ التى هى فواتح السور ، مقصرا عما جمعت من الحاصل الطائل ، والمعانى الجلائل ، فحينئذ يشهد أن هذا النمط لايكون فى وسع البشر ، ولا يتأتى لمخلوق ، ولايقدر عليه إلا القادر المطلق الذى عجّزت قدرته القادرين ، ويتحقق أن عجز المتكلمين عن مماثلة كلامه كعجز أرباب الصناعات عن مماثلة مصنوعاته [١] .

وقال الزملكانى عن الحروف المقطعة : إذا نظرتها ببادئ الرأى وجدتها مما يكاد يمجّه السمع ، ويقل به النفع ، مع أنها من الحسن ترفل فى أثواب الحبر ، ويقصر عنها دقيق النظر ، وذلك من وجوه ... ومن وقف على ذلك علم أن هذا القرآن ليس من كلام البشر ، وجزم بأنه كلام خالق القُوَى والقُدَر ... وكذلك لسائر الحروف الفواتح شأن ليس لغيرها . ووراء ذلك من الأسرار الإلاهية مالا تستقل بفهمه البشرية [٢] .

وصرح البيضاوى بأن القرآن راعى فى فواتحه مايعجز عنه الأديب الأريب الفائق فى فنه [٣] .

---

(١) الخواطر ١١٧ - ١١٩ .

(٢) البرهان ٥٧ - ٦٠ .

(٣) أنوار ١٢/١ .

وذهب يحيى بن حمزة العلوى إلى أن الوجه السديد من وجوه الإعجاز هو ماتضمنه القرآن من المزايا الظاهرة ، والبدائع الرائقة ، وفى الفواتح والمقاصد والخواتيم فى كل سورة ، وفى مبادىء الآيات وفواصلها (١) .

وذهب السيوطى إلى أن الوجه الخامس من وجوه إعجاز القرآن : افتتاح السور وخواتمها (٢) .

وذكر أن أهل البيان يعدون حسن الابتداء من البلاغة ، وأن جميع فواتح السور جاءت على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها (٣) .

وخص بالحديث نوعا من الابتداء الحسن سماه « براعة الاستهلال » ، وعرّفه بأن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلَّم فيه ، ويشير إلى ماسبق الكلام لأجله .

وجعل الفاتحة – التى هى مطلع القرآن – العَلَم الأسنى فى ذلك . وعلل ذلك بأنها – بسبب الافتتاح بها – نبه فيها على جميع مقاصد القرآن . وهذا هو الغاية فى براعة الاستهلال ، مع مااشتملت عليه من الألفاظ الحسنة ، والمقاطع المستحسنة ، وأنواع البلاغة . وضرب مثالا آخر بسورة العلق (٤) .

وذكر د. زكى مبارك عددا من الصفات تفرد بها القرآن عن الآثار النثرية . فكان منها : الابتداء بهذه الحروف . وختم كلامه بأن هذا النمط من الابتداء لم نجده فى النصوص الأدبية الجاهلية ولا الإسلامية (٥) .

ووصف د. دراز القرآن بالجمع بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة فكان مما قال فى صدد التدليل على ذلك : أولا تراه – فى معمعة براهينه وأحكامه – لاينسى

---

(١) الطراز ٤٠٣/٣ – ٤٠٤ .

(٢) معترك ٧٤/١ . الصابونى ١٠١ . العمرى ١٠٤ . شرف الدين ٨٧ .

(٣) معترك ٧٤/١ – ٧٥ . الإتقان ١٢٢/٢ . شرف الدين ٨٧ .

(٤) معترك ٧٥/١ . الإتقان ١٢٢/٢ .

(٥) النثر ٤٧/١ . صبيح ١٥٢ .

حظ القلب ، من تشويق وترقيق ، وتحذير وتنفير ، وتهويل وتعجيب ، وتبكيت وتأنيب ؟

يبث ذلك فى مطالع آياته ومقاطعها وتضاعيفها ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (١) [سورة الزمر : ٢٣] .

وجعل هبة الدين الحسينى من أسرار إعجاز القرآن : اشتماله على الرموز فى فواتح السور ، ودهشة الفكر حولها وحول غيرها مما يبعثه على التساؤل (٢) .

ووصف محمد الزفزاف استخدام هذه الحروف بالبعد كل البعد عن أسلوب العرب ، لأنه أسلوب ابتُكر فى القرآن ، لم يسبَق إليه قط . وعدّه ضربا مما امتاز به القرآن من أساليب غريبة ، لايبعد أن نجعله من باب الإعجاز فيه (٣) .

وجعلها نعيم الحمصى من المميزات الواضحة الخاصة بأسلوب القرآن (٤) .

ووصف دروزة بعض السور بأنها ذات بدايات ممتازة (٥) ، أو ذات مطلع خاص فيه دلالة ماعلى شخصية السورة واستقلالها (٦) ، أو ذات طابع خاص بدءا وخاتمة يدل على شخصيتها واستقلالها (٧) .

وأعلن د. عبد الله شحاتة : لايبعد أن يكون الإعجاز فى هذه الأحرف هو اشتمالها على جميع الوجوه التى ذكرها العلماء فى معانيها (٨) .

وقال د. أحمد جمال العمرى : إن هذه الفواتح آية من آيات الله التى لا تنفد ،

---

(١) النبأ ١١٦ . الغزالى ١٥٢ . نصار ٢٢١ .
(٢) الغزالى ١٥٩ .
(٣) التعريف ١١٧ .
(٤) فكرة ٢٩ . فقيهى ١٨٦ .
(٥) القرآن ٣٥٠ - ٣٥١ ، ٣٥٤ .
(٦) القرآن ٣٥١ .
(٧) القرآن ٣٥١ .
(٨) علوم ٨٩ .

ودليل على عظمة القدرة الإلهية التى أودعها الحق كتابه العظيم . فظهرت فيه بوصفها آية جديدة من آيات الإعجاز القرآنى [١] .

وذهب د. نصر حامد إلى أن التأويلات المتعددة للحروف تؤكد - ولاشك - إحساس القدماء بأن « غموض » دلالة هذه الحروف يشكل جانبا من جوانب خصوصية النص . فهو غموض يؤكد « الاختلاف » بين القرآن وغيره من النصوص . من هنا تختلف الحروف المقطعة عن غيرها من ظواهر الغموض التى ناقشناها فى الفقرات السابقة [من المتشابه] ، من حيث إن هذه الأخيرة ظواهر غموض دلالية تبينها وتكشف عنها أجزاء أخرى من النص ، وهى من ثم ظواهر غموض تبرز اختلاف النص داخليا . وهكذا يكون النص قد خالف بين ذاته وبين غيره من النصوص من جهة ، وخالف بين أجزائه من جهة أخرى . ولم تكن هذه المخالفة إلا آلية من آليات النص حقق بها تميزه ، وحقق بها من ثم قدرته على التفاعل مع الثقافة فى المكان والزمان [٢] .

وقد لقى القول بأن الحروف آية التحدى والإعجاز الرضا العام ، ويكاد يغطى على غيره من الأقوال .

* * *

---

(١) مباحث ١١٧ .

(٢) مفهوم ٢١٩ - ٢٢٠ .



ضمائم



وفيات العلماء

الآلوسي - شهاب الدين محمود بن عبد الله - ١٢١٧ - ١٨٠٢/١٢٧٠ - ١٨٥٤.
إبراهيم بن السرى = الزجاج .
ابن أبزى الخزاعي = عبد الرحمن - تابعي . ويقال : له صحبة .
ابن أبي الإصبع ، عبد العظيم بن عبد الواحد العدواني ٥٩٥ - ١١٩٨/٦٥٤ - ١٢٥٦ .
ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد - ٢٤٠ - ٨٥٤/٣٢٧ - ٩٣٨ .
ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد - ٢٠٨ - ٨٢٣/٢٨١ - ٨٩٤ .
ابن الأثير ، ضياء الدين نصر الله بن محمد - ٥٥٨ - ١١٦٣/٦٣٧ - ٢٣٩ .
ابن الأثير ، مجد الدين المبارك بن محمد - ٥٤٤ - ١١٥٠/٦٠٦ - ١٢١٠ .
ابن إسحاق ، محمد - ٧٦٨/١٥١ .
ابن الأنبارى ، أبو بكر محمد بن القاسم - ٢٧١ - ٨٨٤/٣٢٨ - ٩٤٠ .
ابن برجان ، عبد السلام بن عبد الرحمن - ١١٤١/٥٣٦ .
ابن بريدة = عبد الله .
ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم - ٦٦١ - ١٢٦٣/٧٢٨ - ١٣٢٨ .
ابن جبير = سعيد .
ابن جريج ، عبد الملك بن عبد العزيز - ٨٠ - ٦٩٩/١٥٠ - ٧٦٧ .
ابن جرير = الطبرى .
ابن جزى ، محمد بن أحمد - ٦٩٣ - ١٢٩٤/٧٤١ - ١٣٤٠ .
ابن جنى ، أبو الفتح عثمان - ١٠٠٢/٣٩٢ .
ابن الجوزى ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على - ٥٠٨ - ١١١٤/٥٩٧ - ١٢٠١ .
ابن حبان ، أبو حاتم محمد التميمى البستى - ٩٦٥/٣٥٤ .
ابن حجر العسقلانى ، أحمد بن على - ٧٧٣ - ٣٧٢/٨٥٢ - ١٤٤٩ .
ابن حجر الهيثمى ، أحمد بن محمد - ٩٠٩ - ١٥٠٤/٩٧٤ - ١٥٦٧ .
ابن الحنفية ، محمد بن على - ٢١ - ٦٤٢/٨١ - ٧٠٠ .
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد - ٧٣٢ - ١٣٣٢/٨٠٨ - ١٤٠٦ .
ابن روق ، محمد بن الحسن الراسبى - ٧٨٤/١٦٨ .
ابن عباس = عبد الله .
ابن العربى ، أبو بكر محمد بن عبد الله - ٤٦٨ - ١٠٧٦/٥٤٣ - ١١٤٨ .
ابن عربى ، محيى الدين محمد بن على الحاتمى - ٥٦٠ - ١١٦٥/٦٣٨ - ١٢٤٠ .
ابن عساكر ، على بن الحسن - ٤٩٩ - ١١٠٥/٥٧١ - ١١٧٦ .
ابن عطية ، عبد الحق بن غالب - ٤٨١ - ١٠٨٨/٥٤٢ - ١١٤٨ .

* * *

المصادر والمراجع

- الآلوسى ، شهاب الدين محمود بن عبد الله : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى – بيروت – دار الفكر – ١٣٩٨/١٩٧٨ (فرغ من تأليفه ١٢٦٧/١٨٥١ . وطبع أول مرة فى ١٣٠١/١٨٨٤)
- ابن أبى الإصبع ، عبد العظيم بن عبد الواحد العدوانى : الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح تحقيق د. حفنى محمد شرف – مصر – مطبعة الرسالة – ١٩٦٠
- ابن الأثير ، ضياء الدين نصر الله بن محمد :
١ – الجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام والمنثور – العراق – بغداد – مطبعة المجمع العلمى العراقى – ١٩٥٦
٢ – المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مصر – مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر – ١٩٣٩
- ابن الأثير ، المبارك بن محمد : النهاية فى غريب الحديث والأثر – لبنان – بيروت – المكتبة العلمية .
- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم : التفسير الكبير – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية – (الطبعة الأولى فى ١٤٠٨/١٩٨٨) .
- ابن جزى ، محمد بن أحمد : التسهيل لعلوم التنزيل – مصر – دار الكتب الحديثة – مطبعة حسان
- ابن جنى ، أبو الفتح عثمان : المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – مصر – نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – طبع دار التحرير – ١٣٨٩/١٩٦٩
- ابن الجوزى ، عبد الرحمن بن على : زاد المسير فى علم التفسير – المكتب الإسلامى للطباعة والنشر .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : المقدمة – تحقيق د. على عبد الواحد وافى – مصر لجنة البيان العربى – ط ١ – ١٣٧٩/١٩٦٠
- ابن عطية ، عبد الحق بن غالب : المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز – طبع على نفقة سمو أمير دولة قطر .
- ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم :
تأويل مشكل القرآن – مصر – دار إحياء الكتب العربية – ١٣٧٣/١٩٥٤
تفسير غريب القرآن – مصر – دار إحياء الكتب العربية – ١٣٧٨/١٩٥٨
ابن القيم ، محمد بن أبى بكر : التبيان فى أقسام القرآن – طبع المؤسسة السعيدية بالرياض .

ابن كثير ، أبو الفدا إسماعيل بن عمر : تفسير القرآن العظيم – مصر – مطبعة الفجالة الجديدة – ط ١ – ١٣٨٤/١٩٦٥
ابن مسعود ، عبد الله : تفسيره – السعودية – الرياض – شركة الطباعة العربية – ط ١ – ١٤٠٥/١٩٨٥
ابن هشام المعافرى ، عبد الملك : السيرة النبوية – مصر – مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده – ١٣٥٥/١٩٣٦
أبو حيان ، محمد بن يوسف الجيانى : البحر المحيط – السعودية – الرياض – مكتبة ومطابع النصر الحديثة .
د. أبو زيد ، نصر حامد : مفهوم النص – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٠
أبو السعود ، محمد بن محمد : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – لبنان – بيروت – دار إحياء التراث العربى .
أبو شهبة ، محمد بن محمد : المدخل لدراسة القرآن الكريم – مصر – دار اللواء (ألفه فى ١٩٧٣)
أبو عبيدة ، معمر بن المثنى : مجاز القرآن – بيروت – مؤسسة الرسالة – ط ٢ – ١٤٠١/ ١٩٨١
أبو على ، محمد بركات حمدى : فى إعجاز القرآن الكريم – منشورات الخافقين ومكتبتها – المكتبة الدولية – ط ١ – ١٤٠٣/١٩٨٣
أحمد عادل كمال : علوم القرآن – مصر – ١٩٥١
أحمد = فاضل شاكر وفرج توفيق الوليد : المنتقى – بغداد – دار الحرية – ١٩٧٨
د. إسماعيل ، شعبان محمد : المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية – القاهرة – مطبعة التقدم – ط ١ – ١٤٠٠/١٩٨٠
الباقلانى ، محمد بن الطيب : إعجاز القرآن – مصر – دار المعارف – ط ٤ – ١٩٧٧
البغوى ، الحسين بن مسعود : معالم التنزيل – لبنان – بيروت – دار المعرفة .
د. بكار ، يوسف حسين : بناء القصيدة العربية – مصر – دار الثقافة – ١٩٧٩
د. البوطى ، محمد سعيد رمضان : من روائع القرآن – مكتبة الفارابى – ط ٣ – شعبان ١٣٩٢/ أيلول ١٩٧٢ (ألف فى ٢٨ شباط ١٩٦٨)
البيضاوى ، عبد الله بن عمر الشيرازى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل – مصر – مصطفى البابى الحلبى وأولاده – ط ٢ – ١٣٨٨/١٩٦٨
الحمصى ، نعيم : فكرة إعجاز القرآن – بيروت – مؤسسة الرسالة – ط ٢ – ١٤٠٠/١٩٨٠ (ألفه فى ١٩٥٥)
الخازن ، على بن محمد : لباب التأويل فى معانى التنزيل – لبنان – بيروت – دار المعرفة .

الخطيب ، عبد الكريم : إعجاز القرآن – مصر – مطابع دار الكتاب العربى – ط١ – رمضان ١٣٨٣/ فبراير ١٩٦٤

خليف ، يوسف : دراسات فى القرآن والحديث – مصر – مكتبة غريب .

الدباغ ، مصطفى : وجوه من الإعجاز القرآنى – الأردن – عمان – مطابع الدستور التجارية – ط ١ – ١٩٨٢

الدبل ، محمد بن سعد : النظم القرآنى فى سورة الرعد – مصر – عالم الكتب – دار النصر للطباعة الإسلامية – ١٩٨١

د. دراز ، محمد عبد الله : النبأ العظيم – مصر – مطبعة السعادة – ١٩٦٩/١٣٨٩

دروزة ، محمد عزة : القرآن والمبشرون – المكتب الإسلامى – ١٩٧٢

الرازى ، فخر الدين محمد بن عمر : مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير – طهران – دار الكتب العلمية – ط ٢

الرافعى ، مصطفى صادق : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – مصر – مطبعة الاستقامة . ط ٤ – ١٩٤٠/١٣٥٩ . (ألفه فى ١٩٢٦) .

رضا ، محمد رشيد : تفسير المنار – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٢ . (ألفه بين سنتى ١٩١٦ و١٩١٩) .

رمزى نعناعة : بدع التفاسير فى الماضى والحاضر – منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية – طبع جمعية عمال المطابع التعاونية – الأردن – عمان – ١٩٧٠/١٣٩٠

رمضان عبد التواب : حول فواتح بعض سور القرآن الكريم – مصر – مجلة كلية الآداب بجامعة عين شمس – المجلد ٨ – السنة ١٩٦٣

الرومى ، فهد بن عبد الرحمن : خصائص القرآن الكريم – ط ٤ – شوال ١٩٨٨/١٤٠٩ .

الريس ، محمد فتحى إدريس : مقال الهيروغليفية لا تفسر القرآن الكريم – مجلة صوت الأزهر – ٢٥ جمادى الأولى ٢٥/١٤٢١ أغسطس ٢٠٠٠

د. زرزور ، عدنان : دراسات قرآنية – دمشق – مكتبة دار الفتح – ط ١ – رمضان ١٣٩٥/ أيلول / سبتمبر ١٩٧٥ .

: القرآن ونصوصه – دمشق – مطبعة خالد بن الوليد – ١٩٨٠/١٤٠٠ .

الزرقانى ، محمد عبد العظيم : مناهل العرفان فى علوم القرآن – مصر – دار إحياء الكتب العربية – ط ٣ – جمادى الآخرة ١٣٦٢/ يونيه ١٩٤٣

الزركشى ، محمد بن عبد الله : البرهان فى علوم القرآن – مصر – دار إحياء الكتب العربية – ط ١ – ١٩٥٧/١٣٧٦ إلى ١٩٥٩/١٣٧٨

زكى مبارك : النثر الفنى فى القرن الرابع – مصر – دار الكتب المصرية – ١٩٣٤

الزمخشرى ، جار الله محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل – بيروت – دار الفكر – ط ١ – ١٣٩٧/١٩٧٧ .
الزملكانى ، عبد الواحد بن عبد الكريم : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن – بغداد – مطبعة العانى – ط ١ – ١٣٩٤/١٩٧٤ .
الزنجانى ، أبو عبد الله بن الميرزا نصر الله : تاريخ القرآن – لبنان – بيروت – منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات – ط ٣ – ١٣٨٨/١٩٦٩ .
السهيلى ، عبد الرحمن بن عبد الله : التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام فى القرآن الكريم – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية .
سيبويه ، عمرو بن عثمان : الكتاب – لبنان – بيروت – دار الجيل – ط ١ .
السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر :
: الإتقان فى علوم القرآن – المطبعة الموسوية – ٢٢ شعبان ١٢٨٧ .
: معترك الأقران فى إعجاز القرآن – مصر – دار الثقافة العربية للطباعة – ١٩٦٩
سيد قطب : فى ظلال القرآن – دار الشروق – ط ١٢ – ١٩٨٦/١٤٠٦ .
د. شحاتة ، عبد الله محمود : علوم التفسير – الهيئة المصرية العامة للكتاب – المكتبة الثقافية – العدد ٣١٦ – ١٩٧٥ .
شرارة ، عبد الجبار حمد حسين : الحروف المقطعة فى القرآن الكريم – بغداد – مطبعة الإرشاد – ١٩٨٠ .
الشربينى ، محمد بن أحمد الخطيب : السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير – لبنان – بيروت – دار الفكر
شرف ، حفنى محمد : مقدمة تحقيقه للخواطر السوانح لابن أبى الإصبع .
شرف الدين ، صالحة عبد الحكيم : القرآن الحكيم : إعجازه وبلاغته وعلومه – الكويت – مطابع كويت تايمز – رجب ١٤٠٤ / أبريل ١٩٨٤ .
الشريف ، عبد الله = انظر كفافى .
شقرف ، عبد المنعم محمد : علم الجفر .
الشهاب الخفاجى ، أحمد بن محمد : عناية القاضى وكفاية الراضى – مصر – مطبعة بولاق – ١٢٨٣
الشوكانى ، محمد بن على : فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير – دار الفكر – ط ٣ – ١٣٩٣/١٩٧٣ .
د. الصالح ، صبحى : مباحث فى علوم القرآن – بيروت – دار العلم للملايين – ط ٨ – كانون الثانى (يناير) ١٩٧٤ – (ألفه فى ١٩٥٨) .
صبيح ، محمد : بحث جديد عن القرآن – ط ٥ – ١٩٦١ (صدرت طبعته الأولى ١٩٤٠) .

الطبرسى ، الفضل بن محمد : مجمع البيان فى تفسير القرآن - بيروت - دار إحياء التراث العربى .
الطبرى ، محمد بن جرير : جامع البيان فى تفسير القرآن لبنان - بيروت - دار المعرفة - ط ٤ - ١٩٨٠/١٤٠٠
الطوسى ، محمد بن الحسن : التبيان الجامع لعلوم القرآن - العراق - النجف الأشرف - مكتبة الأمين .
عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ : الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرق . مصر - دار المعارف - ١٩٧٧ (ألفته فى ١٩٧١) .
د. عبد التواب = رمضان .
عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادى :
: تنزيه القرآن عن المطاعن - بيروت - دار النهضة الحديثة .
: المغنى فى أبواب التوحيد والعدل - مصر - مطبعة دار الكتب - ط ١ - ١٣٨٠/ ١٩٦٠ .
عبد الحميد ، محسن : الرازى مفسرا - بغداد - دار الحرية للطباعة - ١٩٧٤/١٣٩٤ . (رسالة نوقشت فى ١٩٧٢) .
عبد الرحمن بن عبد الله = السهيلى .
عبد الكريم = الخطيب .
عبد الله = الشريف .
عبد الله محمود = شحاتة
عبد المنعم السيد حسن : ظاهرة التكرار فى القرآن الكريم - مصر - دار المطبوعات الدولية - ط ١ - ١٩٨٠/١٤٠٠ .
عبد المنعم محمد = شقرف
عبد الوهاب حمودة : أسرار القسم فى القرآن - مجلة لواء الإسلام - جمادى الثانية ١٣٦٨/ ١٩٤٨ .
: رأى فى تأويل فواتح السور - مجلة رسالة الإسلام - العدد الأول - السنة ١٢ - رجب - رمضان ١٣٧٩/يناير - مارس ١٩٦٠
موسيقا القرآن - مصر - مجلة الأزهر - السنة ٣٩ - رجب ١٣٨٧ / أكتوبر ١٩٦٧
العدل ، سعد عبد المطلب : الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم - مصر - مكتبة الأمل للأوفست - ١٩٩٩
عرفة ، محمد أحمد : نقض مطاعن فى القرآن الكريم - مصر - مطبعة المنار - ط ١ - ١٣٥١ .

العلوى ، يحيى بن حمزة : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – مصر – مطبعة المقتطف – ١٩١٤ .
على حلمى موسى : صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٩٣/٣/٣ ص ١٣ .
د. العمرى ، أحمد جمال : مباحث فى إعجاز القرآن – مصر – مكتبة الشباب – ١٩٨٠ .
عياض بن موسى اليحصبى القاضى : الشفا بتعريف حقوق المصطفى – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية .
الغزالى ، أبو حامد محمد بن محمد : جواهر القرآن – مصر – مطبعة كردستان العلمية – ط – ١٣٢٩ .
الغزالى ، محمد : نظرات فى القرآن – مطبعة حسان – ط ٥ .
د. غلاب ، محمد : نظرات استشراقية فى الإسلام – مصر – دار الكاتب العربى – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر – وزارة الثقافة .
د. فاروق حمادة : مدخل إلى علوم القرآن والتفسير – المغرب – الرباط – مكتبة المعارف – ط ١ – ١٩٧٩/١٣٩٩ .
فاضل شاكر أحمد وفرج توفيق الوليد : المنتقى فى علوم القرآن – بغداد – مطبعة جامعة بغداد – ١٩٧٩ .
الفراهى ، عبد الحميد : أساليب القرآن – الدائرة الحميدية – ط ١ – ١٣٨٩ .
فرج توفيق الوليد = أحمد .
الفرّاء ، يحيى بن زياد : معانى القرآن – بيروت – عالم الكتب – ط ٣ – ١٩٨٣/١٤٠٣ .
فقيهى ، محمد حنيف : نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجانى – ط ١ – ١٤٠١/ ١٩٨١
فودة ، محمود بسيونى : المرشد الوافى فى علوم القرآن – مصر – مطبعة الأمانة – ١٤٠٢/ ١٩٨٢ .
القرطبى ، محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن – مصر – مطبعة دار الكتب المصرية .
قطب = سيد .
القطان ، مناع خليل : مباحث فى علوم القرآن – الرياض – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – ط ١ – ١٩٩٢/١٤١٣ (ألفه فى ١٩٧٦/١٣٩٦) ؟
قمحاوى ، محمد الصادق : شبهات مزعومة حول القرآن الكريم ودحضها – ط ١ – ١٣٨٩/ ١٩٧٨ .
الكرمانى ، محمود بن حمزة : أسرار التكرار فى القرآن – دار الاعتصام – ط ٢ – ١٣٩٦/ ١٩٧٦ .

د. كفافى ، محمد عبد السلام وعبد الله الشريف : فى علوم القرآن دراسات ومحاضرات . لبنان – بيروت – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – ١٩٨١ . (ألفاه فى ١٩٧٢) .
مالك بن نبى : الظاهرة القرآنية – ترجمة د. عبد الصبور شاهين – طبع الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية – ١٩٧٨/١٣٩٨ . (الطبعة الأولى ١٩٦٢/١١/١) .
الماوردى ، على بن محمد : أعلام النبوة – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية – ط ١ – ١٩٧٣/١٣٩٣ .
محسن = عبد الحميد .
محمد أحمد = عرفة .
محمد رشيد = رضا .
محمد الزفزاف : التعريف بالقرآن والحديث . مكة المكرمة – نشر عباس أحمد الباز – ١٩٨٠/١٤٠٠ . (ألفه فى ١٩٥٤) .
محمد الصادق = قمحاوى .
محمد = صبيح .
محمد عبد السلام = كفافى
محمد عزة = دروزة .
د. محمد = غلاب .
محمود بسيونى – فودة .
مصطفى = الدباغ .
مصطفى محمود : حوار مع صديقى الملحد – بيروت – دار المتوسط .
النازلى ، محمد حقى بن على : خزينة الأسرار – مصر – المطبعة الأزهرية – ١٩٢٨
النسفى ، عبد الله بن أحمد : تفسيره – مصر – دار إحياء الكتب العربية .
نصر حامد = أبو زيد .
نعيم = الحمصى .
النيسابورى ، الحسن بن محمد القمى : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان – على هامش تفسير الطبرى
يحيى بن حمزة = العلوى .
يوسف = خليف .

* * *

محتويات الكتاب

* * *